التيارات الوافدة

وموقف الإسلام منها

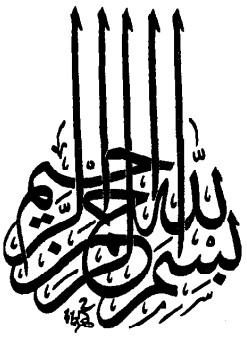

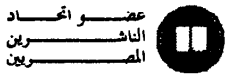

رقم الإيداع

٢٠١٥/١٤١٩٠

ترقيم دولي

978-977-794-002-3

التيارات الوافدة

وموقف الإسلام منها

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

مزروعة، محمود محمد

التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها

تأليف محمود محمد مزروعة

القاهرة، دار اليسر ٢٠١٥م.

٢٨٨ص، ١٧سم × ٢٤سم.

تدمك ٩٧٨٩٧٧٧٩٤٠٠٢٣

١- الإسلام والمذاهب الإلحادية

٢- الإسلام - دعوة

٣- الإسلام - وضع مطاعن

أ- العنوان

٢١٤.٢٠١١٨

دار اليسر للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إليكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

٢٠ ش عبد العزيز عيسى ، المنطقة التاسعة ، الحي الثامن

مدينة نصر ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٢ ٢٤٧٠٩٢٦٩ محمول : ٠١٠٦٢٢٧٦٢٠٨

فاكس : ٠٢ ٢٤٧١٤٨٠١ خدمة عملاء: ٠١١١٨٠٠٦٠٦٠

www.dar-alyousr.com

Email:alyousr@gmail.com

info@dar-alyousr.com

سلسلة

دراسات في العقيدة والأديان

التيارات الوافدة

وموقف الإسلام منها

تأليف

الأستاذ الدكتور

محمود محمد مزروعة

أستاذ العقيدة والأديان بجامعة الأزهر وأم القرى

ورئيس جبهة العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة الله إلى العالمين، وخير خلق الله أجمعين، وسيد الأولين والآخرين، سيدنا ونبينا محمد، وعلى إخوانه النبيين المرسلين، وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المهديين الهادين، والتابعين، لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أكرم أمتنا بالإسلام دينًا، وبمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رسولًا، وأنزل الله -عَزَّ وَجَلَّ- علينا كتابه القرآن، الذي جمع فأوعى، وشمل فاستقصى، لم يترك خيرًا إلا ودلَّ عليه، وأمر به، ومهد الطريق إليه، ولا شرًّا إلا ونهى عنه، وحذر منه، وأغلق السبل المؤدية إليه، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-:

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ثم جاءت السنة النبوية المطهرة مبينةً للقرآن المجيد ومفصلة، وشارحة وموضحة، فهي مع القرآن المجيد مرجع الأمة المسلمة، وسندها وعصمتها، في إطارهما يغدو المسلم ويروح، ومنهما يستمد منهجه في أمور الحياة جميعها، لا يخرج عنهما، ولا يطلب الهدى فيما سواهما.

ولقد وعى هذه الحقائقَ سلفُنا الصالح -رضوان الله تعالى عليهم-؛ فالتزموا الكتاب والسنة، عليهما يَرِدُون، وعنهما يصدرون، ومن نورهما يقتبسون، وبهدايتهما يهتدون ويهدون، وبضيائهما يستضيئون، من أجلهما فتحوا البلاد، وبهما هدوا العباد، حتى صاروا ضياءَ العالم، ونور الوجود.

ثم خلف من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الهدى من الكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالح -رضوان الله عليهم- واتبعوا مذاهب وتيارات وفدت على الأمة المسلمة تعارض- بل تناقص- الكتاب والسنة، وما اجتمع عليه سلف الأمة، ففتحوا آذانهم، وولوا وجوههم وعقولهم وقلوبهم قِبَلَ تلك التيارات الوافدة الضالة، فلقوا من بعد الإيمان والهدى كفرًا وغَيًّا.

وهذه التيارات الضالة منها ما واكَب الصدرَ الأول للدعوة، ومنها ما هو حديث معاصر، وما بين مجيء الرسالة الخاتمة وحتى عصرنا الحديث وكل تيارات الدعوات الضالة المناوئه للإسلام والمسلمين ما تزال أهدافها هي الأهداف، وغاياتها هي الغايات، وإن تلبَّست لكل عصر من الأشكال ما يناسبه، ومن الوسائل والأدوات ما يتمشى معه.

ونحن فيما كتبنا لم نتجنَّ، ولن نتجنَّى- إن شاء الله- على أحد ممن سنتناولهم في مباحث هذا الكتاب، وليس بيننا وبين أحد من أصحاب التيارات الضالة والمذاهب الفاسدة ثارات شخصية، ولا أحقاد خاصة، ولكننا مسلمون، رأس مالنا، وأساس وجودِنا، وأصل حياتنا هو ديننا؛ دين الله الحق الإسلام، ونحن على ثغوره، أقامنا الله -تعالى- عليها دفاعًا عنه، وذودًا عن حياضه.

وإذا كان هَمُّ كثيرٍ من الناسِ ما يسمونه: (رأسَ المال) فرأس مالنا نحن، بل

رأس حياتنا ووجودنا- نحن المسلمين- هو ديننا وإسلامنا، وإننا نؤمن بأنه بناء على أنه رأس مالنا في الدنيا، سيكون رأس مالنا في الآخرة، وأن ما نقوم به من دعوة إلى ديننا، ودفاع عنه فيما نحن فيه من حال، سيكون حسابنا وجزاؤنا- مثوبةً أو عقوبةً- فيما ينتظرنا من مآل، فنحن- كما ذكرنا- ليس بيننا وبين طرفٍ آخَرَ ثارات خاصة، ولا أحقاد شخصية، ولا معارك جانبية، وليست لنا حسابات مع أحد نصفيها في هذا الكتاب؛ وذلك لأمر بسيط وواضح، وهو أن المسلم إنما يقيم علاقته بالآخر انطلاقًا من دين الله الحق الإسلام، فإذا كانت مواقف الآخرين من دين الله -تعالى- تقوم على الظلم والافتراء والاعتداء، كان موقفنا من هذا الآخر هو البراء أولًا، والانتصار لدين الله ثانيًا، ذلكم هو موقف المسلم من الآخَر، وسواء كان ذلك الآخَر شخصًا، أو جماعة، وسواء كانت تلكم الجماعة صغيرة، أو كبيرة، أو كانت فِرقة من الفِرق، أو طائفة من الطوائف، وسواء كان ذلكم الآخَر من المتكلمة، أو المتصوفة، أو المتفلسفة، أو كان من الباطنية الرافضة، أو الباطنية الغالية، أو غير هؤلاء وأولئك، فكل هؤلاء- أو جلهم- كتبنا عنهم، وكانت مواقفنا منهم صدى لمواقفهم من دين الله الحق الإسلام.

وهذا الكتاب يأتي لتحقيق هدفين اثنين:

الهدف الأول: بيان التيارات والمذاهب الوافدة على المجتمعات الإسلامية.

والهدف الثاني: بيان موقف الإسلام من هذه التيارات، أو هذه المذاهب وبيان حكمه على الذين يدينون بها، ويدعون إليها، دونما تعريض بأشخاص بأعيانهم إلا إذا كان هؤلاء الأشخاص قد اشتُهروا بهذه المذاهب والتصقت بهم، وعرف الناس ذلك عنهم.

والتيارات الوافدة على الإسلام لن تكون بطبيعة الحال إسلامًا، ولا هي من الإسلام؛ لأن الإسلام قد جاءنا من قِبل الله -سبحانه-، والذي جاء به هو رسول الله محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وليس بعد محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نبي ولا رسول، فقد ختم الله -تعالى- الرسل والأنبياء بمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وختم الرسالات برسالته، وختم الكتب بكتابه القرآن الذي جاء مصدقًا لما سبقه من كتب ومهيمنًا عليها، فَبَدَهِيّ- إذن- أن كل تيار نُعنَى بذكره في هذا الكتاب، ونبين أسسه وأهدافه، وموقف الإسلام منه، إنما هو من تيارات الزيف والضلال، ومع أن تيارات الضلال كثيرة لا تكاد تحصى، ولا يكاد يمر طويل وقت حتى ترمينا مجتمعات الكفر بتيار من هذه التيارات، إلا أننا في اختيارنا للتيارات التي سنتكلم عنها نعتمد أمرين:

الأمر الأول: مدى خطورة التيار، ومدى تأثيره.

والأمر الثاني: مدى قرب هذا التيار من البيئات والمجتمعات الإسلامية، ومدى خطورته عليها.

فهناك بعض المذاهب والتيارات شديدة الخطورة، لكنها- بحمد الله- بعيدة عن مجتمعاتنا وبيئاتنا فلا نتحدث عنها ولا نثيرها، ومنها ما هو قريب من بيئاتنا المسلمة، لكنها قليلة الخطر، ضعيفة الأثر، فلا نقيم لها وزنًا، ولا نعطيها من الاهتمام ما لا تستحقه، أما التيارات الضالة التي دخلت علينا بيئاتنا، ووجت علينا أبياتنا، وقفزت إلينا من الأبواب والنوافذ، وأطلت علينا من صفحات الكتب والصحف، والإذاعات والتلفاز، وغيرها من الوسائل تهدد ديننا وقيمنا؛ فإننا نبينها، وننبه إليها، ونحذر منها، نتحدث عنها بموضوعية شديدة، وبوضوح

أشد، دون مواربة، أو مواراة، أو مداهنة، أو مداجاة، ودونما خوف، أو مبالاة، فليس من مناهج أصحاب الحق أن يلفوا، أو يدوروا في بيان قضاياهم، أو الدفاع عنها؛ ولأنه إذا كان أعداء الإسلام- على كفرهم، وضلالهم، وزيف ما هم عليه- يهاجموننا مواجهةً، ويقول قائلهم: إننا مع المسلمين نطبق المثل الأسباني القائل: «إذا هاجمت الثور فأطبق عليه من قرنيه» إذا كان هذا منهجهم؛ فهل نتوارى نحن خلف الثور لنحاربه من ذيله؟ ونحن أصحاب الحق! وعلى الدين الحق! والمنافحون عن الحق!

نبين هذا توضيحًا لعقيدتنا، وبيانًا لوجهة نظرنا، وتذكيرًا لإخوة أفاضل ينصحون بهدوء النبرة، وعدم المواجهة، نقول لهم: إن الكثير من الطوائف في زماننا هذا لا يعرفون الحق إلا من قوة كلمته، وسطوة حديثه، وإن للحق لصولةً، وللحديث عنه لسطوة. والله من رواء القصد، وهو يهدي السبيل.

محمود محمد مزروعة

مدينة نصر في ١٠ رجب ١٤٣٦هـ

الموافق ٢٩/ ٤/ ٢٠١٥م

تمهيد

وفدت على الأمة المسلمة تيارات ومذاهب مختلفة تحت عوامل كثيرة، وأسباب عديدة، من أهمها:

أولًا: الأحقاد والأضغان التي امتلأت بها قلوب غير المسلمين، ممن أجلاهم المسلمون عن ديارهم، أو ممن فتح الله على المسلمين بلادهم، فانطوت قلوب هؤلاء وأولئك على الحقد والمقت للإسلام والمسلمين، ولما لم يكن بأيدي هؤلاء من القوة والسلطان ما يُمَكِّنهم من الأخذ بثاراتهم من المسلمين، فقد لجأوا إلى أساليب المكر والغدر والخديعة، فكان أنْ أظهروا الإسلام نفاقًا، ثم أخذوا يبثون الأفكار والمذاهب الضالة، ويبذرون بذور الفتن بين المسلمين.

والمثال على ذلك أمة يهود، ثم أمة الفرس.

أما أمة يهود؛ فقد أوقع رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه -رضوان الله -تعالى- عليهم- باليهود الجزاء الذي يستحقون من تقتيل، أو إجلاء، فانطوت قلوب اليهود- وهي بطبعها حاقدة على الوجود كله بعامة، وعلى المسلمين بخاصة- على مزيد حقد وضغينة على الإسلام والمسلمين، فجهدوا جهدهم لكيد الإسلام والمسلمين، وكان المثال على كيدهم ذلك، ما قام به ابن السوداء عبد الله بن سبأ -لعنه الله- من بثِّ فتنته التي انتشرت واستشرت، وكانت أساسًا لكثير من المذاهب الرافضة بعد ذلك، على ما سنبينه في حينه- بحول الله -تعالى.

وأما أمة الفرس؛ فقد فتح الله -سبحانه وتعالى- بلاد فارس على الأمة المسلمة، فكان من ذلك خير كثير، وشر ليس باليسير، أما الخير فقد تمثَّل في أولئك الأفذاذ من العلماء الذين كانت آثارهم في خدمة كتاب الله كبيرة، وفي خدمة سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكبر وأشهر.

وأما الشر الذي نشأ عن الفرس فقد بدأت آثاره بكسر باب الفتنة، أو بفتحه، وذلك بقتلهم أمير المؤمنين ابن الخطاب عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، على يد أبي لؤلؤة الفارسي المجوسي بمؤامرة مع بعض كبار الفرس آنذاك، ثم استمرت الفتن على أيديهم تزداد وتستشري.

ثانيًا: من الأسباب الهامة- أيضًا- والتي أدت إلى وفود تيارات ضالة فاسدة إلى البيئة المسلمة-: ترجمة الفلسفات الوثنية التي أفرزها الفكر اليوناني الوثني، فَفُتن بها الكثيرون، ووقعوا أسراها حتى استبدلوا تلك الفلسفات بكتاب الله وسنة رسوله، وكانت سببًا في نشأة الكثير من المذاهب والفِرق.

ثالثًا: أما العامل الثالث فيعود إلى المسلمين أنفسهم، وذلك حين تراخت أيدي الكثيرين منهم عن الاعتصام بحبل الله، والاستمساك بالقرآن والسنة، وما عليه سلف الأمة، فحين تراخى المسلمون في ذلك كان سهلًا أن تغشاهم تلك الفتنُ، وتَفِدَ عليهم- في ديارهم- تلك التياراتُ، فتعمل عملها، على ما سيتبين لنا حين نتناول كلًّا من هذه التيارات في مباحث هذا الكتاب- بحول الله -تعالى-

الطوائف التي نشأت في أعقاب الفتح الإسلامي

نعرض في هذا المبحث للطوائف التي نشأت في أعقاب الفتح الإسلامي؛ فقد ابتعث الله -تعالى- محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا، وأرسله رحمة للعالمين، فبلَّغ رسالة ربه إلى العرب، ثم في حياته الشريفة المباركة وضع لأصحابه -رضوان الله عليهم- ولأمته من بعده، أسس تبليغ الدعوة إلى الأمم كلها، فبعث -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رسله يحملون كتبه إلى الملوك والحكام، وإلى كسرى فارس وقيصر الروم، ولما لقي رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ربه، كان على أصحابه -رضوان الله عليهم- ثم على الأمة في كل زمان ومكان أن يؤدوا الأمانة التي تركها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعناقهم، أمانة تبليغ الدعوة إلى الناس جميعًا أينما كانوا، وحيثما حَلُّوا.

وتحقيقًا لهذا، وأداءً للأمانة، وتبليغًا للدعوة، ولَّى المسلمون أصحابُ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وجوهَهم تجاه الفرس والروم، مبلِّغين دعوة الله -تعالى-، ومجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، حتى فتح الله عليهم هذه البلاد، وانتشر الإسلام بين ربوعها، فالمسلمون لم يفتحوا هذه البلاد طلبًا لمال، أو ثروة، ولا طمعًا في جاه، أو قوة، أو سلطة، وإنما فتحوها تبليغًا لدين الله، وإنقاذًا لأهلها من الكفر والوثنية، وإخراجًا لهم من الظلمات إلى النور.

وحينما فتح الله على المسلمين بلاد فارس، كان في ذلك خير كثير وكان في

ذلك- أيضًا- شر ليس باليسير، أما الخير فقد جاء على أيدي العلماء العاملين من أهل هذه البلاد، الذين نذروا أنفسهم لخدمة كتاب الله -تعالى-، وسنة رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أما الشر الذي لم يكن يسيرًا، فقد تمثل في التيارات والمذاهب التي خرجت من هذه البلاد، وكانت أساسًا لعقائد الرافضة والباطنية وغيرها، والتي صدعت وحدة الأمة الإسلامية وما تزال.

ولبيان ذلك، نلفت الأنظار إلى أن الإسلام حين دخل بلاد فارس، انقسم أهل تلك البلاد تجاهه إلى أربع طوائف.

أما الطائفة الأولى: فقد اعتنقت الإسلام، وأخلصت دينها لله تعالى فأثابها الله خيرًا، وأفاء على الإسلام والمسلمين من هذه الطائفة خيرًا كثيرًا، فكان منهم العلماء العاملون الذين كانت آثارهم في خدمة الكتاب العزيز عظيمة وكبيرة، وكانت آثارهم في خدمة السنة النبوية أعظم وأكبر.

وأما الطائفة الثانية: فقد رفضت الإسلام، وظلت على دينها المجوسي وتمسكت به، وقد أعلنت ذلك وجهرت به.

فهاتان الطائفتان كان أمرهما واضحًا بيِّنًا لا لبس فيه، ولا غموض.

وأما الطائفة الثالثة: فقد ظلت على دينها المجوسي، لكنها أعلنت اعتناقها الإسلام نفاقًا، وهذه الطائفة قد امتلأت قلوبها أحقادًا وأضغانًا على المسلمين الذي فتحوا بلادهم، وقضوا على ديانتهم الباطلة، فعزمت هذه الطائفة أن تنتقم من الإسلام والمسلمين بمحاولة تشويه الإسلام، وتفريق المسلمين؛ لذلك أظهر أصحاب هذه الطائفة الإسلام رغم بقائهم على مجوسيتهم، حتى يأمن لهم

المسلمون ويطمئنوا إليهم، ومن ثم يستطيعون أن يُنفذوا مخططاتهم ضد الإسلام، والمسلمون في غفلة عنهم.

والطائفة الرابعة: طائفة اقتنعت بالإسلام، ورأت فيه الدين الحق، فأعلنت إسلامها، لكن هؤلاء- رغم إسلامهم- لم يستطيعوا أن يتخلصوا من رواسب ديانتهم المجوسية التي كانوا عليها قبل إسلامهم، فظلت آثار ديانتهم السابقة كامنة في أعماقهم تُحرِّكهم وتقودهم، ومن ثم فقد حاولوا أن يوفِّقوا بين ديانتهم السابقة، وبين الإسلام الذي اعتنقوه بعد فتح بلادهم، وكان من نتيجة ذلك أن خرج هؤلاء على المسلمين بمذاهب وعقائد تخالف الإسلام أصولًا وفروعًا، نسبوها إلى الإسلام، والإسلام منها بريء!.

هذه هي الطوائف التي نشأت عن البلاد المفتوحة، وبخاصة فارس، فهم إما قوم اعتنقوا الإسلام دينًا خالصًا، وإما قوم ظلوا على ديانتهم السابقة، وإما منافقون أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وإما مُلفِّقون، خلطوا دين الله الحق، بعقائد فاسدة، وقد فصَّلنا ذلك؛ لأن جلَّ الفتن التي فرَّقت الأمة المسلمة، وأكثر المحن التي عصفت بوحدتها وما تزال، إنما جاءتنا عن طريق هاتين الطائفتين، ثم سار وراءهم كل مذاهب الرافضة والباطنية والحلولية وما هو منها بسبيل.

وقد تأثر هؤلاء وأولئك في مذاهبهم الرافضة والباطنية بعاملين أساسيين:

الأول: ما دخل إليهم عن طريق ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي كان أول من قال بالوصية في الإمامة، وبحلول الإله في علي، أو بتأليهه، وهم قد أخذوا عنه كل ذلك، أو بعضه على اختلاف مذاهبهم.

الثاني: ديانتهم المجوسية التي كانوا عليها، فقد بيَّنا أن بعض هؤلاء حاول أن يلفق بين المجوسية التي كانوا عليها، وبين الإسلام دينهم الجديد، ولما كانت المجوسية تعبد إلهين، والإسلام جاء بالتوحيد الخالص؛ فهم إذ لم يستطيعوا أن يقولوا بإلهين في الإسلام، فقد حاولوا إرضاء نزعة الاثنينية- عندهم- بالقول بإله واحد، ثم بإمام معصوم، خلعوا عليه من صفات الله -تعالى- القليل، أو الكثير.

فهؤلاء وأولئك على شفا حفرة من النار لا ينقذهم منها إلا أن يعودوا إلى الدين الخالص.

فتنة ابن السوداء

نتعرف في هذا المبحث على أول التيارات الفكرية الفاسدة التي وفدت على الأمة الإسلامية، كان ذلك فيما جاء به اليهودي ابن السوداء عبد الله بن سبأ.

وعبد الله بن سبأ يهودي من أهل صنعاء، واليهود بطبعهم تمتلئ قلوبهم حقدًا ومقتًا على الأمم جميعها بعامة، وعلى أمة الإسلام بخاصة، وقد زاد من مقتهم وكراهيتهم للإسلام والمسلمين؛ ما أنزل بهم الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه -رضوان الله عليهم- من الجزاء الذي يستحقون من تقتيل، أو إجلاء، حينذاك امتلأت قلوبهم أحقادًا وأضغانًا على الإسلام والمسلمين.

ولما لم يكن بأيديهم من القوة والسلطان ما يمكنهم من القضاء على الإسلام والأخذ بثاراتهم من المسلمين؛ فقد لجأوا إلى الأسلوب الذي اشتهروا به عبر تاريخهم الطويل، وهو أسلوب المكر والخداع وإثارة الفتن، وكان أن تولى كبر هذا الأسلوب عبد الله بن سبأ، الذي كانت أمه أمةً سوداء فلُقِّبَ بابن السوداء، فكَّر هذا الشيطان اليهودي الحاقد كيف ينتقم من المسلمين ويكيد للإسلام؟ فكان أن أعلن إسلامه نفاقًا، ثم بدأ فتنته بأن أعلن للمحيطين به أن محمدًا لم يمت، وإنما رُفع كما رُفع ابنُ مريمَ، وسيرجع كما يرجع ابن مريم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

ثم لما قامت ثورة الرعاع والجهال على ذي النورين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجدها

فرصة مواتية، فانصرف عن مقالته الكاذبة في رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، واندس وسط الثائرين على عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-؛ ليزيد النار اشتعالًا، فأخذ يشيع أن الإمامة كانت من حق علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وأن عثمان والخليفتين قبله قد اغتصبوها منه، وأن إرجاع الحق إلى نصابه يقتضي عزل عثمان، أو قتله.

وقد آتت فتنة ابن السوداء ومن معه من الرعاع ثمارَها المُرَّةَ، فاستشهد الخليفة الثالث -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فزاد ذلك من سعار ابن السوداء، وشجعه على المضي في خطته وابتداع الأفكار والعقائد الفاسدة، فزعم أن عليًّا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وصيُّ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم تدنى أكثر فزعم أن الله- جلَّ عما يقول- قد حلَّ في عليٍّ، ثم وصل إلى عمق الهاوية حين زعم- أخزاه الله- أن عليًّا هو الله- -سبحانه وتعالى عما يشركون-.

ونستطيع أن نلخص أهم المبادئ الفاسدة التي جاء بها ابن السوداء فيما يلي:

١- زعمه أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يمت، وأنه رُفع كما رُفع ابن مريم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وأنه سيرجع كما يرجع ابن مريم، وكان يقول لأتباعه: أمحمدٌ أفضلُ أم عيسى؟ أفيرجع المفضولُ ولا يرجع الفاضلُ، وكان يزعم أن الله -تعالى- قد أنزل في رجعة محمد قوله -سبحانه-:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

٢- القول بان لكل نبي وصيًّا، وأن عليًّا هو وصي محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأن الإمامة فيه وفي ذريته من بعده.

٣- الزعم بأن الأئمة السابقين على عليٍّ: أبا بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم

أجمعين-، قد اغتصبوا الإمامة من علي، على علم منهم بأنها حقُّه، وبذلك فتح البابَ للطعنِ على الصحابة وسبِّهم والتشنيعِ عليهم.

٤- القول بتأليه الأئمة، حين زعم أن عليًّا هو الله- تعالى عما يقولون-.

٥- حين قُتل علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- خرج على الناس يقول: إن عليًّا لم يُقتل، وإن الذي قُتل هو شيطان تمثَّل به، أما عليٌّ فقد غاب عن الناس، وسيرجع ليملأ الأرضَ عدلًا، فكان بذلك أولَ القائلين بالغَيبة والرجعة، والتي التزمها الرافضةُ بعد ذلك.

هذه هي أهم الآراء الفاسدة التي وفدت على الأمة المسلمة من اليهودي الحاقد ابن السوداء عبد الله بن سبأ- لعنه الله-.

وإننا لَنقطعُ بأن ابن السوداء لم يكن وحده الذي يقوم بما قام به، بل كان رأسَ الحربة لجمعية كبيرة متشعبة ضمَّت الكثيرين من أهل البلاد المفتوحة، اجتمعوا على هدف واحد، هو الأخذ بثاراتهم من المسلمين الذين فتحوا بلادهم، وقَوَّضوا بنيان أديانهم الباطلة، ولقد كان حريًّا بهذه الآراء ألا تجد آذانًا سامعة، لولا أن تلقَّفتها آذان وقلوب الموتورين أولًا، ثم ضِعاف الإيمان من بعد ذلك، فبنوا عليها، وجعلوها أساسًا للكثير من مذاهب الرافضة، على ما سنفصله في موضعه - بحول الله -تعالى-.

التيارات الباطنية وصنائعها في الإسلام

هذا المبحث عبارة عن مقدمة عن التيارات الباطنية وصنائعها في الإسلام؛ حيث من المعلوم أن لكل دعوة من دعوات الحق أعداءها في كل زمان ومكان، وعلى قدر تأثير دعوة الحق في الناس وقوتها، وانتصارها على الباطل وأعوانه، ودحرها الشرَّ وجنودَهُ- تكون كثرة أعدائها، وقوة أحقادهم، وشدة رغبتهم في القضاء عليها، ولقد كان هذا شأن دعوات الرسل أجمعين -صلوات الله تعالى على نبيِّنا وعليهم- كان لكل نبي أعداؤه الذين قاوموا دعوته، وحاولوا القضاء عليها، كما بان ذلك من القصص القرآني، وكما قال -ﷻ-:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢].

ولما بُعث خاتم الرسل محمد -صلوات الله وسلامهَ عليه- كان حظ دعوته من الأعداء كثيرًا، ومن الحاقدين والمناوئين وفيرًا؛ وذلك لأن تأثيرها في الناس، بل في الوجود كان قويًّا، ودحرها للباطل وأهله شديدًا، وانتصارها على دعاوى الكفر والإلحاد مبينًا؛ لذلك كان أعداء الدعوة الخاتمة من الكثرة عددًا، والشدة شراسةً وحقدًا، على هيئةٍ لم تكن للدعوات السابقة.

ولقد كان أعداء الإسلام أصنافًا شتى من اليهود، والنصارى، والمشركين، والزنادقة، والماديين الملاحدة، وغير هؤلاء كثير.

ولقد كان أعداء الإسلام على نوعين:

النوع الأول: أعداء ناصبوا الإسلام العداء في وضوح، حيث أعلنوا كفرهم به، وجاهروا بعدائهم إيَّاه، وقاوموا دعوته بكل ما يملكون، وهذا الصنف من الأعداء خطره قليل، وتأثيره محدود؛ ذلك أن المسلمين كانوا يعرفون هؤلاء الأعداء، فكانوا يأخذون حذرهم منهم، ويكشفون مكائدهم، ويحاربونهم بأسلحتهم؛ لذلك لم يتأثر الإسلام كثيرًا بهذا النوع من الأعداء.

أما النوع الثاني: فهم المنافقون، ومدَّعو الإسلام- كذبًا وبهتانًا- الذين يبطنون الكفر والحقد على الإسلام والمسلمين، ولكنهم يظهرون الإسلام زيفًا ونفاقًا، هذا النوع هو الأكثر حقدًا، والأشد أثرًا، والأقوى فتكًا بوحدة الأمة المسلمة.

وقد نشأ هذا النوع الثاني من الأعداء وانتشر؛ لأن هذا النوع من الأعداء وجدوا أن محاربة الإسلام، ومناصبته العداء في وضوح لا تجدي، حيث ينتصر الإسلام والمسلمون دائمًا في هذه المواجهات الصريحة التي يَعرف فيها المسلمون أعداءَهم فيحذرونهم ويبطلوا كيدهم.

لذلك فكَّر هؤلاء الأعداء وقدَّروا- قاتلهم الله كيف فكروا وقدروا!- ووصلت بهم حيل التفكير، ومكر التدبير، إلى أن يكيدوا للإسلام من داخله، وذلك بأن يصطنعوا لأنفسهم نفرًا من ضعاف الإيمان الذين يعبدون الله -تعالى- على حرف، فيدفعوا بهم إلى الإضرار بالإسلام، وتفرقة المسلمين، **وذلك عن طريقين:**

الطريق الأول: بثُّ الفُرقة بين المسلمين، وإشاعة الشك والبلبلة والجدال حول بعض القضايا العقدية، وبذلك تتفرق الأمة، وتقع الخلافات والمجادلات بالتي هي أسوأ، وتتحول الأمة- التي قال الله -تعالى- فيها:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]- تتحول الأمة إلى فِرَقٍ وطوائفَ وشراذمَ وأحزابٍ،

﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

أما الطريق الثاني: فهو الذي يتخذه المنافقون وسيلةً للإضرار بالإسلام والكيد له؛ وهو إظهارُ حبِّهم آلَ بيتِ رسولِ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والزعم بأنهم محزونون لما جرى عليهم من ظلم في أنفسهم وهضم لحقوقهم، حريصون على الانتصار لهم، وردِّ حقوقِهم إليهم، ثم من خلال الزعم بحبِّ آل البيت، وإعادة حقوقهم إليهم، ينفذون إلى القول بالظاهر والباطن من نصوص الكتاب والسنة، ثم بالجلي والخفي من دلالات هذه النصوص، ثم بعصمة الأئمة المزعومين، واستمرارية الوحي إليهم من بعد رسول الله الخاتم -صلوات الله وسلامه عليه.

تحت هذه الدعاوى- التي ظاهِرها التمسك بالإسلام والحرص عليه، وباطنها وحقيقتها محاولة هدم الدين والقضاء عليه- نشأت طوائفُ عديدةٌ، وفِرَقٌ كثيرة، **لكن أشهر هذه الطوائف ثلاث:**

أولها: طائفة الفلاسفة الذين انتسبوا إلى الإسلام زورًا وبهتانًا.

وثانيها: طائفة فلاسفة المتصوفة، أصحاب وحدة الوجود ووحدة الشهود والأبدال والأقطاب.

وثالثها: طائفة الباطنية، من أمثال: اليزيدية، والإسماعيلية، والقرامطة، والنُّصَيرية، والدُّروز، والبابية، والبهائية، والقاديانية، وغيرها.

وهؤلاء هم مواضيعنا في المباحث التالية -بحول الله تعالى-.

وفي النهاية نُذكِّر بالأمور الآتية:

أولًا: لكل دعوة من دعوات رسل الله -صلوات الله على نبيِّنا وعليهم- أعداؤها، وللدعوة الخاتمة أعداؤها كذلك، لكن أعداء الرسالة الخاتمة أكثر عددًا، وأشدُّ حنقًا ومقتًا.

ثانيًا: أظهرُ أعداء الرسالة الخاتمة ثلاثُ طوائفَ: الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام، والمتصوفة المتفلسفون، والباطنية الحاقدون الذين أخذوا جل عقائدهم عن المجوس.

الاتجاه الصوفي

نعرض في هذا المبحث للاتجاه الصوفي في ضوء ما وضعناه لأنفسنا من منهج في كتابتنا عن التيارات الوافدة، وموقف الإسلام منها، ومنهجنا هذا يقوم على: أن نذكر أولًا الاتجاهات الأمهات، أو الاتجاهات التي هي أصل لغيرها، ثم نفصل بعد ذلك، ونبين ما يقع تحت كل اتجاه من هذه الاتجاهات الأصيلة من مذاهب وتيارات.

وهنا نذكر اتجاهًا هو أصل لكثير من تيارات الحلول والاتحاد، ووحدة الشهود، ووحدة الوجود، وإسقاط التكاليف، وإبطال شرع الله -تعالى-، وتحويل نصوص الكتاب والسنة إلى رموز وإشارات لا تمت إلى العربية بصلة، ولا يفهمها إلا أرباب هذا الاتجاه، بعد أن أفرغوها من محتوى الوحي الشريف.

ولا إخالك- قارئي الكريم- إلا قد عرفتَ الاتجاه الذي نشير إليه، وهو الاتجاه الصوفي.

إن الله -سبحانه وتعالى- قد أنزل دينه موافقًا للفطرة التي فطر الناس عليها، والصبغة التي صبغهم بها، فدين الله الإسلام، وفطرة الإنسان، كلاهما من صنع الله -تعالى- الذي أتقن كل شيء؛ لذا فإن الإنسان السوي لا يجد في نفسه ميلًا إلى مخالفة شرع الله -تعالى-، أو الخروج على دينه؛ بل يجد راحة نفسه، وطمأنينة قلبه،

في الاستقامة على هدي الكتاب والسنة؛ لأنهما جاءَا بما يوافق فطرته ويصلحها؛ ولهذا فإنه إذا ما وجد فرد، أو جماعة من الناس في أنفسهم هوى للانحراف عن شرع الله -سبحانه-، أو انحرفوا فعلًا- سواء كان ذلك الانحراف بترك شيء من شرع الله -تعالى-، أو اختراع وابتداع رسوم وطقوس لم ينزل الله بها من سلطان- فليفتشوا عن أسباب ذلك الضلال في أنفسهم، وليحذروا أن يكون الله -تعالى- قد ختم على قلوبهم، وعلى سمعهم، وجعل على بصرهم غشاوة، ولهم بعد ذلك ما أوعد الله -تعالى- به أمثالهم، إن لم يبادروا بالأوبة والتوبة والالتزام بما جاء عن الله ورسوله، ونبذ ما ابتدع لهم الشيطان.

إن الإسلام جاء من قِبل الله -تعالى- دينًا لكل الخلق على السواء، ولم يقسم الإسلامُ الناسَ إلى طوائفَ، أو أصحاب طرق، أو شعارات، إن الإسلام لم يجعل الناس طوائفَ لكل منها اسم، أو هيئة ورسم، بل جعل الأمة أمة واحدة، وناداهم بالمؤمنين، والمسلمين، وعلى هذا مضى الصدر الأول، لم يُعرَفِ اسمٌ يميز طائفة بعينها، إلا بعض الصفات التي كان يطلقها المسلمون اعترافًا بالفضل لصاحبه، مثل: الأنصار، المهاجرين، البدريين، الصحابة، التابعين، على هذا مضى القرن الأول وشطر من الثاني.

ثم خلف من بعد ذلك خَلْفٌ هبت على الإسلام فيه رياح التغيير التي بدأت بالزهد في متع الحياة مما أحل الله -تعالى- لعباده من الطيبات، ثم تلا ذلك خطوة أخرى تمثلت في اعتزال المجتمع على أيدي طائفة من العباد سُمُّوا بالنساك، وكان لكل مسلم من هذين المسلكين، نعني مسلك الزهد فيما أحل الله، ومسلك اعتزال

الناس والمجتمع أسبابه، التي أدت إليه في ذلك الحين، فقد فشا في المجتمع الإسلامي الانغماس في الترف والملذات، وداخَلَ ذلك بعضُ ما حرَّم الله -تعالى، فهذا دفع طائفة الزهاد إلى ترك المتع والطيبات خشيةَ أن يكونوا كهؤلاء المنغمسين، وتذكيرًا منهم للأمة بما كان عليه الصحابة -رضوان الله عليهم-، من تقشف وزهد، أما الطائفة التي اعتزلت المجتمع فقد دفعها إلى ذلك دوافعُ كثيرة، أهمها: وقوع الفتن التي سُلَّتْ بسببها السيوفُ، وأُهرقت بسببها الدماءُ، وتذكروا أحاديث رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التي توصي باعتزال الفتن وأصحابها، ومن ثم فقد قام جماعة باعتزال المجتمع، وزاد ذلك لدى بعضهم حتى بنوا لأنفسهم دُورًا للعبادة خاصة بهم، وصاروا يسيحون في البراري والصحاري، وينفرون من الناس كما تنفر الشياه من الذئاب.

وكشأن أي انحراف يبدأ صغيرًا، ثم يزداد ويستشري، كانت تلك الحركات التي أشرنا إليها، بدأ التصوف زهدًا واعتزالًا، ثم ازداد بمرور الوقت حتى حرم أصحابه ما أحل الله، من مثل ما قال مالك بن دينار: «لا يبلغ الرجلُ مبلغَ الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب»[1]، ثم جاءت البدع تترى من صعق وإغماء عند سماع القرآن، إلى غناء وأصوات بألفاظ لا معنى لها، إلى رقص وتمايل وطرب عند السماع إلى غير ذلك مما سنفصله في قادم هذا الكتاب -بحوله تعالى-، لكننا نوجز هنا نقاطًا ينبغي أن ينتبه إليها القارئ، وهي:

أولًا: بدأ التصوف في مجموعة ظاهرةً غيرَ إسلامية، وإن بدا لأحد أن يذكر

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٧٤).

من محاسن بعض المنتسبين إليه، فليذكر ضلالات وبدع جمهرة القائمين به.

ثانيًا: ظهر التصوف في البيئة الإسلامية زهدًا وتقشفًا، ثم ما لبث أن انحرف سريعًا إلى العدوة القصوى من الإسلام، فجاء بالاتحاد والحلول وغير ذلك بما استمده من اليهود والنصارى ووثنيات اليونان.

❁ ❁ ❁

أخطر عقائد التصوف الفاسد:

وهنا نذكر واحدة من أخطر العقائد التي يقوم عليها التصوف الفاسد، والتي تُعتبر القاسمَ المشترك بين أهم وأغلب الطرق الصوفية المنتشرة بين ربوع البلاد الإسلامية التي ابتُليت بهذه الطرق، واصطلت بنار عقائدها الفاسدة.

والعقيدة التي نعني هنا هي: ما يعرف لدى الصوفية بـ(**وحدة الشهود**).

ووحدة الشهود عند الصوفية- فيما يزعمون افتراءً وكذبًا- حالٌ يصل فيها الصوفي إلى القرب من الله -تعالى-، ثم الاتصال به -سبحانه- اتصالًا مباشرًا، يجعل الصوفي يرى ربَّه كما يراه ربُّه، ويشاهد اللهَ كما يشاهده اللهُ، ويجالسه ويحادثه، وينقطع عن كل ما حوله أثناء هذه المشاهدة والرؤية، بل إن الحال تصل بالصوفي في نهاية الأمر، إلى ما يسمونه: «الفناء في الله»، أي: أن الصوفي وهو في حال «وحدة الشهود» هذه، يفقد التمييز بين نفسه وربِّه، فلا يعرف نفسه من ربه، ولا ربه من نفسه، فكأن الصوفي هو الله، والله هو الصوفي- سبحانه الله عما يفترون-.

وهذه العقيدة على غرابتها، ووضوح فسادها وضلالها، فإن جل الطرق الصوفية تزعم لشيوخها الذين يطلقون عليهم مصطلح: «**الأقطاب**» و«**العارفين**

بالله»، أنهم وصلوا إلى هذه المنزلة، منزلة «وحدة الشهود».

أما كيف يصل الصوفي منهم إلى هذه المنزلة التي يزعمونها: أعني: وحدة الشهود؟

فإنهم يزعمون أن ذلك إنما يتم عن طريق المجاهدات والرياضات الروحية، والأذكار والأوراد، وتعذيب النفس، ومنعها شهواتها من طعام وشراب ونوم، ثم السياحة في البراري، والانقطاع عن الناس والمجتمع، فإذا ما فعل الصوفي ذلك ضعف جسمه، وإذا ضعف جسمه قويت نفسه، فبإضعاف الجسم تقوى النفس وتزكو، وتنجلي صفحة النفس كأنها صفحة مرآة مجلوة، فينعكس على مرآة النفس ما يسمونه: «**أنوار المكاشفات**»، أي: تنكشف للنفس العوالم العلوية، وتطلع على الأمور الغيبية، وعلى ما في عالم الغيب من الملائكة والجن وأرواح السابقين، وهذه المشاهدات تأتي في البداية لمحات خاطفة، ثم عن طريق الرياضات والمجاهدات وإصرار الصوفي تنكشف له العوالم العلوية شيئًا فشيئًا، ويترقى من مقام إلى مقام، وبعد أن كان يرى الملائكة وأرواح الذاهبين، إذا هو يرى الأنوار الإلهية، ثم وفي لحظة معينة إذا هو يشاهد ربَّه ويراه، وينغمس فيما يسمونه: «**حالة الفناء**»، أي: يفني عن نفسه في ربه- تعالى الله عما يفترون-.

هذه هي الفرية الكبيرة، وليست الكبرى، فالقوم لديهم ما هو أكبر من ذلك وأضل، ونعني بالأكبر والأضل ما يطلقون عليه: «وحدة الوجود».

أما تفسير مصطلح وحدة الشهود الذي نتحدث عنه، فإن كلمة (الشهود) تعني: الرؤية والمشاهدة، ولفظة: «وحدة» تعني: حالة الفناء التي يصل إليها الصوفي حال المشاهدة، فلا يعرف نفسه من ربِّه، ولا ربَّه من نفسه، إلا حين يفيق الصوفي من حال الفناء فيدرك الفارق بينه وبين ربِّه.

وهذا يعني: أن «وحدة الشهود» لدى الصوفية تقوم على الثنائية، وليست على الاتحاد، كما في حال (وحدة الوجود)- سبحان الله عما يصفون-.

وهذه العقيدة الفاسدة قد أخذها الصوفية عن مصادر عديدة، كلها معارضة للإسلام مناقضة له؛ فقد تأثر الصوفية في هذه العقيدة بالفلسفة اليونانية الوثنية، التي تمحو الفروق بين الآلهة- التي يدينون بها- وبين البشر، وتجعل الإله يتجسد ويراه الناس، ويصارع بعضَهم فيصرعونه، كذلك تأثروا فيها بالنصرانية التي تجعل عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إلهًا، يمشي بين الناس، يراهم، ويرونه ويشاهدونه ويجالسونه، بل ويحل فيمن يسمونهم: «**القديسين**» كذلك تأثروا فيها بالديانة الهندوسية، وغير ذلك من عقائد الحلول والاتحاد التي يبرأ منها الإسلام والمسلمون.

ونخلص مما تقدم عن وحدة الشهود لدى الصوفية إلى ما يلي:

أولًا: أن هذه العقيدة الفاسدة مناقضة لصريح الكتاب، وصحيح السنة، وما أجمع عليه سلفُ الأمة وخلفُها على السواء، وأن الله -تعالى- منزه عن كل هذا الضلال الذي يقولونه، وأما رؤية المؤمنين ربَّهم -سبحانه- يوم القيامة، فقد جعلها الله -تعالى- مسك الختام لما يتفضل الله -تعالى- به على عباده الصالحين من نعيم مقيم في الجنة.

ثانيًا: أن هذا الذي يقولون من رؤية بعض الناس لله- تعالى الله عما يقولون- لو كان صحيحًا، لكان أولى به الأنبياء والأولياء، وليس أولئك البُلْهُ المعاتيهُ، لكنه ضلال وفساد يتنزه الله -تعالى- عنه.

ثالثًا: أن القائلين بذلك قد انفلتوا بهذه العقيدة من الملة جملةً وتفصيلًا، ولم يعد يربطهم بالإسلام من سبب، نعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان، ومن الضلال بعد الهدى.

❁ ❁ ❁

وحدة الوجود:

عرفنا- إذن- هذه العقيدة الخطيرة من عقائد الصوفية الغلاة، وهي عقيدة «وحدة الشهود»، وهنا نذكر العقيدة الأكثر خطورة، والأدخل في باب الضلال، لدى هؤلاء الصوفية، ونعني بها: عقيدتهم التي تسمى: «**وحدة الوجود**».

«ووحدة الوجود» عند الصوفية القائلين بها- وهم مشاهير الصوفية وأقطابهم- تعني: أنه ليس في الوجود كله إلا الله -سبحانه وتعالى-، وأن الوجود كله عبارة عن ذات واحدة، هي ذات الله - ﷻ-، ولكن هذه الذات تتلبس أشكالًا مختلفة، وتظهر بصور شتى، هي صور جميع المخلوقات من نبات وحيوان وإنسان، فالذات واحدة ولكن أشكالها كثيرة ومتعددة، وليس في الوجود كله من نبات، أو حيوان، أو إنسان، إلا وهو صورة للذات الإلهية ومظهر لها، أو هو الذات الإلهية متشكلة بتلك الأشكال والصور، فالوجود كله- على كثرة مخلوقاته وموجوداته- يتحد في ذات الله- تعالى الله عما يقولون- وذات الله التي هي واحدة تتكثر وتتعدد وتتشكل في صور الموجودات وأشكالها؛ فهؤلاء الصوفية- بناء على عقيدتهم تلك- ينظرون إلى كل شيء في الوجود على أنه هو الله -سبحانه-؛ فالإنسان والحيوان والجماد وغير ذلك ما هي إلا مظاهر لذات الله، ف الله -تعالى- متجسد فيها ومتَّحِدٌ بها، هي مظهر له، وهذا ما يعنونه بـ: «وحدة الوجود»- تعالى الله عما يفتري هؤلاء ويأفكون-.

إن عقائد هؤلاء الصوفية؛ من وحدة الشهود، أو وحدة الوجود، أو غير ذلك من مثل القول بإسقاط التكاليف الشرعية عنهم، والقول بأن للشريعة ظاهرًا

وباطنًا، وأن الحقيقة شيء، والشريعة شيء آخر، كل هذه العقائد الفاسدة ترجع في أصلها إلى عقيدتين أساسيتين، هما: الحلول والاتحاد.

أما الحلول- عندهم- فهو يعني: أن ذات الله سبحانه تَحِلُّ في بعض مخلوقاته، أو فيها كلها، وهذا الحلول- عندهم- على نوعين:

النوع الأول: حلول ثنائي، يمتاز فيه الحالُّ عن المحلِّ.

ويقصدون من ذلك: أن الله -تعالى- يَحِلُّ في الإنسان، دون أن تمتزج ذات الله -تعالى- في ذات الإنسان الذي حلَّت فيه، فتظل ذات الله سبحانه متميزة عن ذات الإنسان ولا تمتزج، أو تتحد به.

فيكون شخص الإنسان محلًّا للذاتين معًا، ذات الله -تعالى-، وذات الإنسان مع تمايز كلِّ ذاتٍ عن الأخرى، وهذا يسمى: حلولًا، ولا يسمى: اتحادًا، وهذا قريب مما يقول به أصحاب عقيدة «وحدة الشهود».

أما النوع الثاني من الحلول: فهو الحلول السَّرَياني، أو الامتزاجي، أو الاتحادي، بحيث يكون الحالُّ والمحلُّ شيئًا واحدًا، وليسا شيئين، فأصحاب هذه النحلة الفاجرة يزعمون أن الله -تعالى- يحل في الإنسان، فيصير هو والإنسان شيئًا واحدًا، فيكون جسد الإنسان محلًّا لذات واحدة، هي ذات الله -تعالى-، حيث تفنى ذات الإنسان في ذات الله، فلا يكون هناك إلا الله -سبحانه-، وهذا النوع هو المراد بعقيدة الاتحاد- عندهم- وهو الذي يقول به أصحاب عقيدة «وحدة الوجود».

وقد كان الحلاج المقتول أشهر القائلين بتلك العقيدة، ولم تكن قد اشتهرت قبله، فجاء هو فادعاها ونشرها بأشعاره وعباراته، فكان أن أذاقه الله طعم

الحديد، حيث ضُرب رأسه حدًّا، وهو القائل يخاطب ربه فيما يزعم:

«مَزَجْتَ رُوحَكَ في رُوحِي كَمَا تُمْزَجُ الخَمْرَةُ في المَاءِ الزُّلَالِ

فَإِذَا مَسَّكَ شَيْءٌ مَسَّنِي فَإِذَا أَنْتَ أَنَا في كُلِّ حَالِ»[١]

ومن مشاهيرهم- أيضًا- أبو يزيد البسطامي الذي كان يقول: عن نفسه: «أنا الحق»[٢] ويقول: «سبحاني ما أعظم شأني»[٣]، وكان يفتح جبته مشيرًا إلى نفسه قائلًا: «ما في الجبة غير الله»[٤].

وأنت تلاحظ- أيها القارئ- على هذه العقائد التي يدين بها الصوفية، والتي تقوم على الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ما يلي:

أولًا: هذه العقائد جميعها مخالفة لدين الله، ومصادمة للكتاب والسنة وما اجتمعت عليه الأمة، فهذه العقائد مخرجة لصاحبها عن الإسلام، سواء اعتقدها كلها، أو بعضها، فإن القول بالحلول والاتحاد نزول بمقام الله جل وعلا، إلى مستوى مخلوقاته من البشر، وارتفاع بمستوى البشر إلى مقام الألوهية، فهو شرك صراح، وكفر بواح.

ثانيًا: القائلون بذلك بدهي أنهم يبطلون الشرائع، ويسقطون التكاليف، ويعطلون الدين جملة، وذلك مثل ما قال قائلهم حين سألوه: لماذا لا تصلي؟ فقال

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٢٦).

(٢) عوارف المعارف، للسهرودي (ص٦٨).

(٣) تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص٤١٧).

(٤) النور من كلمات أبي طيفور: للسهلكي وكالة المطبوعات الكويت طبعة ١٩٧٦، ٢م، (ص٨٤).

لهم: «لمن أصلي؟ وأنا المصلِّي والمصلَّى له وأنا المسجد والمعبد والكنيس».

ثالثًا: القائلون بذلك شر من النصارى؛ فإن النصارى كفروا بقولهم: إن الله - تعالى- حل في عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، أو كما يقولون: «**اتحد اللاهوت بالناسوت**» لكن هؤلاء يطلقون الحلول والاتحاد مع جميع البشر، بل لجميع الخلق.

رابعًا: القائلون بوحدة الوجود هم شر خلق الله إلحادًا وزندقة وكفرًا، حيث جعلوا كل شيء في الوجود مظهرًا لله، بل هو الله - تعالى- الله عما يقولون- فليس ثمة فرق- عندهم- بين موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وفرعون، فكلاهما متحد بالله - تعالى- ومظهر له، ولا بين محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأعتي المشركين الذين حاربوه وهلكوا على شركهم- سبحانه الله- عما يصفون، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى، ومن الكفر بعد الإيمان.

❁ ❁ ❁

أسس التصوف العام:

ذكرنا فيما مرَّ أهم وأخطر عقائد التصوف والمتصوفة التي بان لنا أنها في جملتها تخالف الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، ولكي نوفي الموضوع حقه، ونعفي على أثره، آثرنا أن نختم عرضنا عن التصوف والمتصوفة بذكر نقاط عامة تشير إلى أهم رسومهم ووسائلهم وأسسهم وطبقاتهم:

إن التصوف يقوم في بدايته على أساسين اثنين، هما: الشيخ والمريد، فإذا ما أراد إنسان ما أن ينضم إلى عالم التصوف والمتصوفة، فعليه، أولًا، أن يبحث في الطرق المتعددة الكثيرة التي لا تكاد تحصى ليختار من بينها الطريقة التي ينضم

إليها، فهناك الشاذلية بفروعها، والخليلية، والرفاعية، والتيجانية، وغير ذلك كثير، فإذا ما استقر على الطريقة التي يريد الانضمام إليها بدأ بلقاء نائب الشيخ، أو الخليفة، فإذا التقى بالخليفة وتأكد الخليفة من صدق عزيمته في الانضمام إلى الطريقة، حدد له موعدًا للقاء الشيخ، وفي اللقاء الأول مع الشيخ يحصل هذا الإنسان المبتدئ على لقب (مريد) ويتم أخذه العهد على يد الشيخ، وأخذ العهد يعني: البيعة، أي: مبايعة المريد شيخه.

ولأخذ العهد طقوس ورسوم يُقصد بها زرعُ الخوف والرهبة في قلب المريد، وإقناعه بمنزلة الشيخ ومدى ما يستطيع الشيخ من نفع المريد، أو ضره، وإرهاب المريد من أن يفكر في نقض العهد، أو الخروج على مقتضيات البيعة.

وقد أُتيح لي يومًا أن أشهد حفل انضمام مريد إلى أحدى الطرق، حين دعاني أحدهم لأشهد ذلك الحفل رغبة منه في أن أنضم إليهم، وقد وقفت أراقب الحشد الذي غصَّت به القاعة الفسيحة، والشيخ متكئ على سريره في صدر القاعة، ووسط هالة من التعظيم والتوقير للشيخ جيء بالمريد، وقد امْتُقِعَ لونُهُ من شدة الرهبة والخوف، ووضع المريد يده في يد الشيخ فهلل الجميع وكبروا، ثم تتابع الموجودون جميعًا كل منهم يضع يده على كتف مَن أمامه، حتى وصل الأمر إلى من خلف المريد فوضع يده على كتف المريد، وبذلك أصبح الموجودون جميعًا متصلين بالشيخ عن طريق المريد، وهم يقصدون من ذلك إلى أمرين:

الأمر الأول: أن يجدد الجميع العهد لشيخهم.

والأمر الثاني: أن تتسلل إليهم بركات الشيخ عبر الأيدي الموضوعة على

الأكتاف، وهم على هذه الهيئة بدأ خليفة الشيخ يتلو كلمات (**العهد**)، فيرددها المريد جهرًا ويرددها الآخرون سرًّا، وينتهي كل ذلك بوليمة يجتمع عليها الحاضرون مرددين كلمات التهنئة للمريد الجديد، والعهد مليء بعبارات لافتة لنظر المؤمن، فالمريد في بعض العبارات يُشهد اللهَ ورسولَه والحاضرين أن الشيخ هو قدوته وأسوته وإمامه في الدنيا والآخرة، وكنتُ أتساءل: ماذا بقي لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من حظٍّ في قلب ذلك المريد؟ كذلك يبايع المريد الشيخ على الطاعة المطلقة دون اعتراض على شيء مما يأمره به. وما يعرف الإسلام الطاعة المطلقة إلا لله ورسوله، وهذا ما يفسر لنا ما نسمع عنه من أن شَيْخًا أمر مريده أن يفارق زوجه، أو يطلقها، أو أن يخرج من بعض ما يملك، وقد عبر السهروردي عن ذلك بقوله: إن المريد يجب أن يكون بين يدي شيخه كما يكون الميت بين يدي من يغسله ويجهزه يفعل به ما يريد، بينما المريد قد تجرد من حوله وقوته وهواه وإرادته[1].

إن من الطبقات لدى الصوفية طبقة تسمى: (**الأبدال**) وللصوفية عقائد في الأبدال لا يعرفها أهل السنة والجماعة، وقد سموا: (الأبدال)؛ لأن الواحد منهم- في زعمهم- إذا فارق مكانه خلفه فيه شخصٌ آخرُ على هيئته وصورته؛ بحيث لا يشك من يراه أنه الأول، فهو بدله على المكان الذي فيه حتى يحضر، وقد زعموا أن الأبدال لهم القدرة على التشكل في أية صورة يشاءون حتى في صور الحيوانات، وقد زعم الشعراني أنه بالتوسل بالأبدال والتشفع بهم يُستنزل المطر، ويُزاد في الأرزاق، ويُرفع البلاء، ويُستجلب النصر، وبواسطتهم يحفظ الله -

(١) عوارف المعارف (٥/ ٢٦٥).

تعالى- الكون بسمائه وأرضه.

ومن بين طبقات الأولياء- لدى الصوفية كذلك- من يسمونهم: **(الأوتاد)** والأوتاد أربعة- في زعمهم- يحفظ الله بهم الكون، وقد شبهوا الكون بالخيمة التي تشد إلى الأوتاد حفظًا لها، ومن هذا التشبيه جاءت تسميتهم: (الأوتاد)، ويوزع (الحكيم الترمذي) الأوتاد هكذا: واحدًا في اليمن، وواحدًا في الشام، وواحدا في المشرق، والرابع في المغرب.

وأعلا الطبقات- عندهم- هم **(الأقطاب)**، ويرى (السهروردي) أن الأقطاب هم الدعائم التي يقوم عليها صرح الوجود، ويحفظ الله بها نظام الكون، وأن الأقطاب سبعة، على عدد قارات العالم، لكل قارة قطب مسئول عنها، ولا يصل إلى سكانها شيء من الله -سبحانه- إلا عن طريقه وبواسطته بين الله والناس، وللأقطاب كبير يسمى: **(قطب الأقطاب)** ويسمونه- أيضًا-: **(الغوث الأعظم)**، ويزعم (الكاشاني) أن للغوث نائِبَينِ يحفظ الله بهما عالم الغيب والشهادة[1].

وخلاصة ما ذكرناه عن التصوف والمتصوفة ما يلي:

أولًا: أن الإسلام جاء لكل الناس على سواء، لم يقسم الإسلام الناس طوائفَ وفرقًا وجماعاتٍ، ولم يجعل لهذه الطوائف أعلامًا، وبنودًا، أو أسماء ورموزًا، أو خِرَقًا ومُرَقَّعات، أو عمائم سوداء وخضراء، بل شملهم جميعًا تحت صفات المؤمنين المسلمين.

---

(١) أنظر: آداب السالكين في معرفة أسرار عبادات العارفين (ص٢٠٥).

ثانيًا: أن الإسلام دين الوضوح والبيان، ليس في الإسلام غموض ولا إبهام ولا باطنية، أنزل الله -تعالى- القرآن ويسَّره للذكر، وأمر الناس أن يتدبروا آياته، وجاءت السنة تبينه وتوضحه، فلا باطنية ولا غموض ولا سرية ولا إبهام.

ثالثًا: ليس في الإسلام حواجز، أو وساطة تحجز العبد عن ربه -سبحانه، فالإسلام يرفض الكهانة والوساطة، والكون مخلوق لله -تعالى- محفوظ بالله سبحانه، فلا أوتاد ولا أقطاب، ولا شيء من ذلك.

الشاذلية الصوفية

نستعرض في هذا المبحث طريقةً من أقدم الطرق الصوفية، والتي ظلت عبر القرون تنتشر وتتشعب وتتفرع حتى صارت تتمثل في عشرات من الطرق الصوفية الصغيرة التي ترجع كلها في الأصل إليها، وهي: (الطريقة الشاذلية).

وفي هذه الطريقة ما في الكثرة الغالبة من طرق التصوف من معتقدات تبعد كثيرًا، أو قليلًا عن العقيدة الحق، كما أن فيها من المخاريق التي ينسبونها إلى شيوخ الطريقة ما يرفضه الإسلام جملةً وتفصيلًا، كما سيتضح لنا ذلك عند عرضنا لعقائدهم.

نشأة الطريقة الشاذلية:

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها وواضع قواعدها ومبادئها: (أبو الحسن علي ابن عبد الله بن عبد الجبار المغربي)، المولود في المغرب، وقد نُسب إلى قريته التي ولد بها، وقد ذهب مريدوه، وأتباع طريقته إلى أن نسبه يصل إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وبعضهم يصله بالحسين بن علي، رضي الله عن الجميع، وذلك نسب غير مؤكَّد؛ لأن من عادة أتباع كل شيخ أن يصلوا نسب شيخهم بآل بيت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فهذه عادة مطروقة لديهم.

وقد حفظ أبو الحسن القرآن في صغره، وقرأ شيئًا من التفسير والحديث، وتتلمذ على كثير من الشيوخ، لكن كان أكثرهم تأثيرًا فيه، وتوجيهًا له شيخ

يسمى: (عبد السلام بن مشيش)، وكان ابن مشيش صوفيًّا، فأثر في أبي الحسن، وهو الذي وجَّهه إلى التصوف، ودفعه إلى انتهاج طريقته التي أنشأها، وفي شبابه رحل أبو الحسن الشاذلي إلى تونس، ودعا إلى طريقته، فصادف نجاحًا وقبولًا لدى الناس هناك، ثم رحل إلى مصر، وأقام بمدينة الإسكندرية، وتزوج واستقر، وهناك طبقت شهرته، وذاع صيته، وشاع بين الناس أنه من أقطاب الصوفية، وقد ظل بمصر طوال حياته، ثم عزم على الحج، ولكنه توفي بصعيد مصر، وهو في طريقه إلى الحج، وكان ذلك سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة -٦٥٦هـ-، وللشيخ أبي الحسن- فيما يزعم أتباعه ومريدوه- كرامات كثيرة لا تكاد تحصى، وبعض هذه الأمور خارجة على حدود الله وشرعه، ولكن هذا شأن الأتباع دائمًا مع شيوخهم، وسوف نبين ذلك عند حديثنا عن عقائد هذه الطائفة -بحوله تعالى-.

وبعد وفاة أبي الحسن الشاذلي تولى مشيخة الطريقة تلميذه (أحمد بن عمر المرسي أبو العباس شهاب الدين، وشهرته بين الناس: المرسي أبو العباس) وله مسجد كبير بالإسكندرية، وبالمسجد قبره الذي يعد مزارًا للقبوريين من عامة الناس، وأبو العباس المرسي من أسرة كانت تقطن مدينة (مرسية) بالأندلس، ومن هنا جاء لقبه (المرسي) وعاش بالإسكندرية طوال حياته، وتوفى بها سنة ست وثمانين وستمائة للهجرة -٦٨٦هـ-، وينسب إليه المريدون والأتباع الكثير مما يسمونه كرامات وتجليات، ويُنسَبُ إليه من الأقوال ما لا يمكن التغاضي عنه إلا بتكلُّفٍ شديد، ثم بعد وفاة (المرسي أبي العباس) تولى مشيخة الطريقة (ياقوت العرش) وهو رجل حبشي اسمه (ياقوت)، ولُقِّبَ (ياقوت العرش) لزعمهم أن

قلبه كان دائمًا تحت عرش الله، وليس في الأرض إلا جسمه، وهؤلاء الثلاثة هم الأقطاب الكبار الذين وضعوا أسس الطريقة الشاذلية في التصوف، ثم انشعبت الطريقة إلى طرق كثيرة تُنسب إلى اسم الفرع أولًا، ثم إلى الأصل، مثل: (**الطريقة الحامدية الشاذلية**) وغيرها.

❁ ❁ ❁

عقائد الطريقة الشاذلية:

على الرغم من أن مؤسس الطريقة (أبا الحسن الشاذلي) كان يعلن دائمًا أن الكتاب والسنة هما أساس طريقته، وكان يقول: «كل علم تسبق إليك فيه الخواطر وتميل النفس وتلتذ به فارم به وخذ بالكتاب والسنة»[(١)].

ورغم ذلك فإن ثمة أمورًا تنسب إليه وإلى خليفتيه لا أساس لها في دين الله -تعالى-، ونشير هنا إلى شيء مما نُسب إلى كل واحد من الثلاثة المؤسِّسين.

أولًا: يُنسب إلى المؤسِّس (أبي الحسن الشاذلي) أنه ذهب لزيارة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فوقف بباب المسجد حافي القدمين عاري الرأس منتظرًا أن يأذنَ له الرسولُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأنه ظل واقفًا حتى ناداه الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قائلًا: (يا عليُّ ادخل)، وهذا لا يستقيم مع عقيدتنا، كما يُنسب إليه أنه قال: «لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما هو كائن وما سيكون إلى القيامة»[(٢)]، وهذا ادِّعاء لعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وهو شرك بالله- عياذًا به تعالى.

---

(١) شذرات الذهب (٥/ ٢٧٩).

(٢) شذرات الذهب (٥/ ٢٧٩).

ثانيًا: ينسب إلى الخليفة الأول (المرسي أبي العباس) أنه كان يزعم صحبة الخضر دائمًا، وأنه كان يلقاه ويحادثه، كما نُسب إليه أنه يرى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دائمًا، وقال: «والله لو حُجِبَ عني رسولُ الله طرفةَ عينٍ ما عددتُ نفسي من المسلمين»[1].

ثالثًا: يُنسب إلى الخليفة الثاني (ياقوت العرش) أنه كان يسمع أذان حملة العرش لكل صلاة، ولا ريبَ أن كل هذه خرافات وأباطيل.

رابعًا: لأبي الحسنِ الشاذلي أوراد وأذكار لا تستقيم مع الشرع الشريف، والذكر عند القوم يقوم على ذكر لفظ الجلالة مفردًا من كل تنزيهٍ، فيقولون: (الله، الله)، أو يذكرون الضمير: (هو، هو) وهذا ذكر غيرُ شرعي، ولشيخ الإسلام ابن تيمية ردٌّ مفصَّلٌ على حزب الشاذلي هذا، نسأل الله لهم الهداية.

(١) النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي (٧/ ٣٧١).

البريلوية

بيَّنا فيما سبق أن الفكر الباطني قد تلبَّس عددًا من الاتجاهات والمذاهب، وأشهر هذه الاتجاهات التي داخلها الفكر الباطني وتلبسها وانتشر من خلالها ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الشيعي بطوائفه المختلفة، ثم الاتجاه الصوفي، ثم الاتجاه الفلسفي، والباطنية واضحة في الاتجاهين: الشيعي، والصوفي، أما الاتجاه الفلسفي فقد لاثته الباطنية بسبب أن الكثيرين من المفلسفة كانوا يميلون إلى التشيع، هذا من جانب، ومن جانب آخر؛ فإن الفلسفة تقوم على أساس: أن الشرع الشريف- كتابًا وسنةً- له ظاهر، وباطن، والظاهر هو للأنبياء وعوام الناس، أما الباطن فهو للفلاسفة، ومن هنا عُدَّ الفلاسفةُ من الباطنية، رغم أن الفلسفة تقوم على الجانب العقلي في كل قضاياها.

أوسع الطرق الصوفية انتشارًا بين المسلمين في شبه القارة الهندية، والتي بدأت على هيئة طريقة من طرق التصوف، ثم تحولت إلى عقيدة شعبية شملت الملايينَ من العوام وأنصاف المثقفين، بل إن الكثيرين من المثقفين ثقافة عالية قد خُدعوا بتلك الطريقة، أو بهذا التيار الصوفي الذي أغرق في الغلو حتى خرج في كثير من عقائده الأساسية عن الإسلام، كلامنا هنا عن (البريلوية).

نشأة الحركة البريلوية:

البريلوية طريقة من طرق التصوف الغالي، بدأت بين المسلمين بالهند قبل

استقلال باكستان عن الهند، والبريلوية دعوة تقوم على الغلو في رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، غلوًّا يُخرجه عن بشريته ورسالته، ويخلع عليه الكثير من صفات الله جل وعلا، حتى أنهم ينكرون بشرية الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وينكرون موته، ويعتقدون أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حاضر وموجود في كل مكان وزمان بنفسه، ويزعمون كذلك أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المُصَرِّفُ والمدبِّر للكون، وأنه الذي يُوجِد الأشياء ويُفنيها، ويزعمون أن كلمة (كن) التي يقولها الله -عَزَّ وَجَلَّ- للشيء فيكون- كما أخبر الله سبحانه في قوله:

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]- كلمة (كن) هذه يزعم هؤلاء أن الله -تعالى- قد منحها لمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأصبحت هذه الكلمة من خصائص رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وبهذه الكلمة يتولى محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إيجاد الأشياء، وتصريف الأمور، وتدبير الكون، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل زعموا أن محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد تنازل عن هذه القدرة المتمثلة في كلمة (كن) للأولياء من بعده، من أمثال: (عبد القادر الجيلاني) فهو لديه القدرة على تدبير أمور الكون، والتصرف في الطبيعة من برد وحر، وجفاف ومطر وغير ذلك، وهذه الطائفة البريلوية لها غير ذلك من العقائد الغريبة، والمخاريف العجيبة التي سوف نوضحها في محلها- بحول الله -تعالى-.

والبريلوية طائفة أنشأها وتولى وضع أسس عقائدها رجل من مسلمي الهند يسمى: (أحمد رضا خان) من مواليد سنة خمس وستين وثمانمائة وألف -١٨٦٥م-، وتوفي سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد -١٩٢١م-،

وقد ولد في قرية من قرى الهند اسمها: (بِريِل)، وإليها نسبت الطريقة، فسميت: (بريلوية) نسبة إلى القرية التي ولد بها، ولقد درس (أحمد رضا خان) العلوم الدينية في المدارس الإسلامية بالهند، وفيها حفظ القرآن، أو شيئًا منه، ثم زار مكة المكرمة ودرس على بعض المشايخ فيها، وكان عمره آنذاك بضعًا وعشرين سنة، ثم رجع إلى بلده في الهند وبدأ يضع أسس طريقته هذه، ويدعو إليها، وكان (أحمد رضا خان) ذا صفات شخصية أثَّرت فيه وفي أفكاره التي أقام عليها طريقته، فقد كان حادَّ المزاج، نحيل الجسم، مصابًا بالكثير من الأمراض المزمنة، فكان يشكو من الصداع الدائم، وآلام الفقرات والمعدة إلى غير ذلك، مما أورثه سرعة الغضب، وحدة اللسان، وتقلب المزاج، وكان إلى ذلك يمتاز بذكاء وفطنة وقوة تأثير على الآخرين.

وقد بدأ أول انحراف له عن العقيدة الصحيحة حين سمَّى نفسه: (عبد المصطفى)، أي: عبد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والعبودية لا تكون إلا لله وحده، ومحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عبد الله ورسوله، وقد قال له ربه سبحانه:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٣]، وقال الله -تعالى-:

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩]

ومن هنا كان خارجًا عن الإسلام الحق من يدعو نفسه عبدًا لغير الله -سبحانه-، ومن هؤلاء هذا البريلوي: (أحمد رضا خان).

وقد بلغ بهؤلاء غلوُّهم أن وصفوا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ببعض صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ووكلوا إليه أفعال الله -سبحانه- من: خَلْقٍ، وإحياء، وإفناء، وتدبير

للكون... إلخ، وقد زعموا أن هذا إنما هو بسبب حبهم لرسول الله وتعظيمهم إياه، واتِّباعهم لما جاء به، وقد كذبوا وضلوا؛ فإن حب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يفرض على المؤمن أن يلتزم بما جاء به عن ربه، وقد بين القرآن المجيد حدود الإيمان برسول الله وإخوانه الرسل -صلوات الله عليهم-.

لقد بين القرآن الكريم أن الإيمان به -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يقوم على جانبين:

الجانب الأول: أن محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بشر، ولم يقف الخبر القرآني عند وصفه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالبشرية خشية أن يأتي البعض فيقول: إنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بشر، لكنه من نوع خاص، بل أخبر القرآن المجيد أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بشرٌ مثلنا، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]

والجانب الثاني: جانب اصطفائه وامتيازه وفضله على العالمين، فقد اصطفاه الله -تعالى- خاتمًا للنبيين والمرسلين، وجعله أفضل العالمين، وسيد الإنس والجن أجمعين، وهذا ما ورد به النص القرآني الصريح في قوله -سبحانه-:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

فهذان هما الجانبان: البشرية، والاصطفاء بالوحي والنبوة والرسالة، فمن اقتصر على جانب، وأغفل الآخر فقد ضل عن الحق، وزاغ عن الهدى، وقد وقع في هذا الضلال أمتان: أمة اليهود، وأمة النصارى، أما اليهود فقد نظروا فقط إلى جانب البشرية في أنبيائهم، ولم يعرفوا لهم حقَّ الاصطفاء، وما ميَّزهم الله -تعالى- به من الوحي والنبوة، فما كان منهم إلا أن كذبوا أنبياءهم، بل وقتلوهم، قال -سبحانه- مخاطبًا اليهود:

﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

وأما النصارى فقد غلوا في عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- في جانب اصطفائه وامتيازه، وما أظهره الله -تعالى- على يديه من معجزات ليست من فعله -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، وإنما هي بإذن الله -تعالى-، كما قال الله -عَزَّوَجَلَّ-:

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ﴾ [المائدة: ١١٠].

ولأن النصارى غلوا في هذا الجانب، وأنكروا جانب البشرية، فقد ضلوا في عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فألَّهوه، وجعلوه لله شريكًا- عياذًا بالله-.

وقريبًا من فِعْلِ النصارى مع نبي الله عيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فَعَلَ البريلويون مع رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ إذ خلعوا عليه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعض ما هو من صفات الله -سبحانه-، فأنكروا بشريته، وموته -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

❁ ❁ ❁

عقائد البريلوية:

أولًا: يعتقدون أن محمدًا -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليس بشرًا، وإنما هو نور الله، وأن الله خلق الوجود كله من نور محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثانيًا: يعتقدون أن محمدًا -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يمت، ولا يمكن أن يموت، وأنه حي، وحاضر ناظر، ويعنون بعقيدة: (حاضر ناظر) هذه: أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يرى أعمال أمته في كل مكان بنفسه وشخصه، وهو في كل مكان

من العالم بذاته في آن واحد.

ثالثًا: يعتقدون أن محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد حصل من الله -تعالى- على كلمة (كن) فهو -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوجِد الأشياء ويُفنيها، وأنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعِزُّ من يشاء، ويُذِلُّ من يشاء، وأنه الفاعل لكل شيء من وراء حجاب.

رابعًا: يعتقدون أن محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعلم الغيب كلَّه، وأنه لا فرق بين علم الله -تعالى- وعلم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، سوى أن علم الله -تعالى- علم ذاتي، وعلم محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منحة من الله -تعالى-، وأن الله قد منح محمدًا جميعَ ما في اللوح المحفوظ.

خامسًا: لا يقيمون كبير وزن للعبادات من صلاة وصيام وحج، ولديهم عقيدة تسمى: **(الإسقاط)** ومعناها: أنه عندما يموت إنسان منهم، ولا يكون قد صلى، أو صام؛ فإنهم يأخذون من تركته صدقة تُسقط عنه تلك الفرائضَ، وهم يُقَدِّرُون الصدقةَ عن عام كامل بمقدار صدقة الفطر، فيدفع من تركة الميت مثل صدقة الفطر عن كل عام، وهكذا حتى يسقط كل ما عليه من عبادات، ويصبح غيرَ مسئولٍ عنها أمام الله -تعالى- بزعمهم-.

سادسًا: يُكَفِّرون كل من عداهم من المسلمين، فكل من لم يعتقد عقائدهم فهو كافر.

هذه طائفة (البريلوية) التي يتبعها الملايين في الهند وباكستان وبنجلاديش وبورما وسريلانكا وإنجلترا، وعقائدهم من الغلو والضلال على ما رأينا، نسأل الله -تعالى- لهم الهداية، وأنه يردَّهم إلى الإسلام مردًّا جميلًا.

الأحبـــاش

تيار الأحباش من التيارات الباطنية الصوفية الغالية، وهو تيار يقوم على مزيج من تعاليم الصوفية الحلولية، وعلماء الكلام الجهمية، ولكن جوهر المذهب قائم على الحلول والاتحاد، كما هما لدى (ابن عربي) وكذا لدى بعض الطرق، مثل: الرفاعية، والنقشبندية، وغيرهما.

ومؤسس هذه الحركة رجل أخذ على عاتقه من بداية حياته تشويه الإسلام الحق، والوقوف في وجه الدعاة إليه، بل والتجسس على الدعاة المسلمين لحساب الحكام الصليبين، والسعي لديهم لإغلاق الجمعيات الإسلامية، وجمعيات تحفيظ القرآن المجيد، وغير ذلك من نشاطٍ مشبوهٍ معادٍ للإسلام والمسلمين، كما سنبين ذلك في هذا المبحث.

مؤسس حركة الأحباش: هو (عبد الله بن محمد الهرري الحبشي) وقد وُلد في مدينة (هرر) بالحبشة، ومن هنا كانت نسبته (الهرري الحبشي) إلى المدينة التي ولد بها، والدولة التي ينتمي إليها؛ ولذلك سميت حركته بـ(**الأحباش**)، وقد تَعَلَّم العربية وشيئًا من الفقه والحديث، ثم بدأ انحرافه حين بايع على الطريقة (**التيجانية**) بما هو معروف عن هذه الطريقة من شطط، ثم اتصل بعد ذلك بنظام امبراطور الحبشة (هيلا سيلاسي) الذي كان صليبيًّا متعصبًا ضد المسلمين بعامة، ومسلمي الحبشة بخاصة، فتعاون معه هذا الرجل في العمل ضد الدعاة المسلمين،

وضد القائمين على الجمعيات الإسلامية في الحبشة، وكذلك جمعيات تحفيظ القرآن، وكان يتصل بهؤلاء الدعاة، وهم آمنون جانبه يظنون فيه الخير، ثم يوشي بهم ويسليمهم إلى نظام (هيلا سيلاسي) وتسبب في القبض على الكثير من القائمين على جمعيات ومدارس المسلمين هناك، في حوادث شهيرة، معروفة بفتنة (بلاد كلب) وقد سُجن بعض هؤلاء الدعاة المسلمين، ونُفي بعضهم، وقَضَى بعضُهم نحبه في منفاه.

وبسبب تعاون هذا الرجل مع أعداء المسلمين وإثارته الفتنَ ضد الدعاة، أطلق عليه المسلمون في الحبشة لقب: (الشيخ الفتان)، أو (شيخ الفتنة)؛ ولما ظهرت حقيقة الرجل أمام المسلمين في الحبشة، واتضحت لهم أهدافه الخبيثة، وأخذوا منه حذرهم، فكر الرجل في البحث عن بلد آخر من بلاد المسلمين، يزاول فيه رسالته التي اختارها لنفسه، وهي إثارة الفتن ضد الإسلام والمسلمين، ومحاولة تشويه الإسلام الحق بتلك البدع والمكفرات التي جاء بها ابن عربي، وأمثاله، وقد اختار لبنان دون غيرها، من حيث إن الظروف فيها تشبه إلى حد ما الظروف الموجودة بالحبشة من وجود المسلمين وسط ديانات أخرى، والمسلمون أنفسهم لديهم مذاهب عديدة، وفي مثل هذا الجو يستطيع الرجل أن يؤدي دور (الفتان)، أو (شيخ الفتنة)، الذي برع فيه، وعندما وصل عبد الله الحبشي إلى لبنان عام تسعة وسبعين وتسعمائة وألف -١٩٧٩م- بدأ نشاطه ضد الأصولية الإسلامية، متقرِّبًا إلى الأطراف الأخرى، ثم استغل طريقته الصوفية في تجميع البعض حوله، ثم واتته الفرصة بسبب الآثار التي خلَّفتها الحرب الأهلية في لبنان من فقر وتشريد ومآسٍ كثيرة، وقد استغل ظروفَ هدمِ البيوت وإغلاقِ المدارس،

وبدأ يجمع الناس حوله متظاهرًا بالصلاح، ثم أخذ يبث فيهم آراءه وأفكاره التي هي مزيج من الجهمية، والجبرية، والصوفية الحلولية، ثم استغل هذا الفتانُ الشبابَ الضائعَ المشرَّدَ في إثارة الفتن والأحقاد ضد المسلمين بلبنان، وبخاصة أهل السنة والجماعة، وقد نجح الرجل في تجنيد طوائف كثيرة من المتعصبين المتبجحين الذين أخذوا يُثيرون الشغب ضد المسلمين، الذين لا يتبعون شيخهم، وصار هذا الشباب المتعصب لا يرى مسلمًا، ولا يُقِرُّ بالإسلام إلا لمن أعلن الإذعان والخضوع للشيخ الفتان، وقد اتخذ أتباع هذا الرجل وسيلة الإلحاح والضغط لنشر مبادئه وعقائده، حيث يطرقون الأبواب على الناس، ويعرضون عقائدهم ويوزعون كتب شيخهم بلا مقابل، وقد أخذوا عن شيخهم طريقته في تكفير كل من لم يعتنق مبادئه، ويسير على طريقته، ومن ثم كان من فتنتهم تكفير الشيخ (حسن خالد) مفتي لبنان، كما كفَّروا كل أئمة أهل السنة وعلمائها ودعاتها.

❁ ❁ ❁

وفي نهاية هذا العرض نُذَكِّر بما يلي:

أولًا: طائفة (الأحباش) طائفة حديثة، بدأت تظهر في السبعينات، وعمرها لا يزيد عن نيف وثلاثين عامًا، لكنها أحدثت من الفتنة في لبنان ما لم تحدثه طوائف أسبق منها بكثير، وهذه الطائفة سميت: (الأحباش) نسبة إلى منشئها (عبد الله محمد الحبشي) الذي قدم من الحبشة إلى لبنان عام تسعة وسبعين وتسعمائة وألف.

ثانيًا: عقيدة الأحباش في صفات الله -تعالى- أنهم مُؤَوِّلَة كالمعتزلة والجهمية، وفي أفعال العباد جبرية، وفي الإيمان مرجئة.

ثالثًا: عقيدتهم قائمة على الوسائط؛ فهم يتوسلون بالموتى، ويستغيثون بهم،

ويتوجهون إليهم لقضاء الحاجات، وهم يعتقدون أن الأموات يخرجون من قبورهم لقضاء حاجات المستغيثين بهم، ثم يعودون مرة أخرى، كما يجيزون الاستعاذة بغير الله -سبحانه- فيجيزون قول: (**أعوذ برسول الله من الشيطان الرجيم**) وهذا شرك واضح.

رابعًا: منهجهم في العقائد يقوم على الطرق الصوفية كالنقشبندية والرفاعية، وشيخ الإسلام- عندهم- هو: (ابن عربي) صاحب وحدة الوجود والحلول والاتحاد والذي شهد العلماء بكفره، وفسوقه عن الملة.

خامسًا: يقوم منهجهم في الدعوة على تكفير علماء المسلمين من أهل السنة جميعًا، وقد خلعت مجلة الهدى الحبشية التي يصدرونها ألقاب الكفر على الأئمة المشاهير: فابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عندهم- كافر، والإمام الذهبي خبيث، والشيخ محمد بن عبد الوهاب قاتل كافر، وناصر الدين الألباني كافر، وسيد سابق مجوسي، وسيد قطب من كبار الخوارج، إلى غير ذلك، أما ابن عربي فشيخ الإسلام وقطب الوجود.

سادسًا: للحبشي هذا فتاوى خرج فيها على الأمة المسلمة، فهو يبيح بيعَ الصبيِّ الحرِّ وشراءَه، ويبطل زكاة المال؛ لأن الأموال في أيدي الناس عملة ورقية، والزكاة إنما تجب في الذهب والفضة، وهذه الطائفة بدأت تنتشر في أمريكا وكندا، وتحاول التسلل إلى بعض المجتمعات الإسلامية، ومن هنا وجب التحذيرُ منها، ولفتُ الأنظارِ إليها، وأخذُ الحيطة من أفكارها وفتنها التي تتسم بالغموض والتعقيد والتطرف والغلو؛ قصدًا إلى إخفاء أهداف الحركة، وجذبًا لأنظار المثقفين.

الـــدروز

نتكلم في هذا المبحث عن نوع من الشرك يقوم على عبادة الأشخاص واعتبارهم هم الآلهة من دون الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهذا التيار له وجود في بعض مجتمعاتنا العربية، ونعني بذلك: «التيار الدرزي»، أو الديانة التي يعتنقها الدروز.

والدرزية عقيدة من عقائد الباطنية السرية، وهي عقيدة تقوم على تأليه الخليفة الفاطمي الملقب بـ«الحاكم بأمر الله» واسمه «أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي»، وقد كان من عادة الخلفاء الفاطميين أن يختاروا لأنفسهم ألقابًا بدلًا من أسمائهم الشخصية، وأهمية الألقاب- عندهم- أن تكون موهمة للناس بأن كل ما يفعلونه إنما هو بأمر من الله -تعالى-، ووحي منه، وأن يؤكد اللقب تلك العصمة التي يدعونها لأنفسهم، والتي هي من دعائم دعاوى الباطنية وما تفرع عنها، ومن ثم فقد جاءت ألقابهم: العزيز بالله، المعز لدين الله، ثم موضوع هذا المبحث الذي لقب نفسه: (الحاكم بأمر الله) ولقبه الذي اختاره لنفسه يوهم ابتداءً عن نية الانحراف والابتداع فوق ما عند أسلافه.

وقد ولد «الحاكم بأمر الله» هذا سنة خمس وسبعين وثلاثمائة للهجرة -٣٧٥هـ-، وتوفي مقتولًا سنة إحدى عشرة وأربعمائة للهجرة -٤١١هـ-، وكان عمره حين مقتله ستًا وثلاثين سنة، وقد كان الحاكم مُشَوَّش الذهن، مريض العقل، شاذًا في أفكاره وأفعاله، وقد أهَّلته هذه الصفات ليكون ألعوبة في أيدي

بطانته من المجوس واليهود، خاصة وأنه تولى الخلافة وسِنُّهُ إحدى عشرة سنة، وقد زين له المحيطون به أنه نائب عن الله في الأرض، ثم زينوا له أن الله -تعالى- قد حلَّ فيه، وأنه هو الله، وقد خيل له جنونه أن كلامهم حق، فانطلق يتصرف، بخبل وشذوذ، وقد حفظ التاريخ الكثير من تصرفاته الشاذة، فمن ذلك: أنه أمر الناس أن يناموا نهارًا ويعملوا ليلًا، ثم عدل عن ذلك. وحرَّم على الناس بعض الأطعمة، ومنها: «الملوخية» وحظر عليهم ركوب الحمير وغير ذلك كثير، وقد بدأ تاريخ ولايته بقتل الأوصياء عليه، ثم قتل وعذب الكثيرين من المقربين إليه من خدم وكتبة، وقد كان محبًّا للقتل، سفَّاكًا للدماء.

أما عن نشأة الدعوة الدرزية فقد جهر بها رجل يسمى «حمزة بن علي» عام ثمانية وأربعمائة للهجرة، وكان له أعوان أشهرهم: (محمد بن إسماعيل الدرزي) الذي نُسبت إليه النحلة الضالة، وقد نشأت الدعوة بمصر، لكنها لم تجد لها أعوانًا ولا أنصارًا فرحل دعاتها إلى الشام حيث لقيت قبولًا من بعض الأعراب في البوادي، ومن هناك انتشرت في الأصقاع الشامية، ثم تركزت في لبنان وسوريا، ومن لبنان هاجرت هذه النحلة مع المهاجرين إلى البرازيل واستراليا، وللدروز رابطة تجمعهم في كل من البلدين.

❁ ❁ ❁

العقائد التي تقوم عليها الديانة الدرزية:

نأتي إلى الجانب الأهم عن هذه النحلة، ونقصد به: العقائد التي يدين بها أصحابها، وهذه العقائد كثيرة وتفصيلاتها أكثر، لكنا نجملها فيما يلي:

أولًا: يعتقدون في ألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي، وأنه واحد أحد، فرد صمد، منزه عن الزوجة والولد، ولما قُتل، قالوا: إنه لم يمت، ولكنه غاب اختبارًا للخلق، وأنه

سوف يعود فيملأ الأرض عدلًا، وينتقم من اليهود والنصارى والمسلمين.

ثانيًا: ينكرون النبوات والرسالات، ويكفرون بالأنبياء والرسل جميعًا، وعلى رأسهم محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ويصفون الأنبياء بأنهم أبالِسَةٌ.

ثالثًا: يمقتون جميع أهل الأديان: من اليهود، والنصارى، والمسلمين، ويستبيحون دماءهم وأموالهم، ويرغبون في غشهم وخداعهم في التجارة، وأنواع المعاملات.

رابعًا: يكفرون باليوم الآخر والقيامة. والثواب والعقاب- عندهم- إنما يتم عن طريق تناسخ الأرواح، فالروح التي يعمل صاحبها صالحًا، تنتقل بعد وفاته إلى جسد شخص يولد بعده ويكون أفضل من الأول، والتي يعمل صاحبها سيئًا تنتقل بعد وفاته إلى جسد إنسان أسود.

خامسًا: يزعمون أن القرآن المجيد هو من وضع سلمان الفارسي، ويطعنون في القرآن، ولهم مصحف خاص بهم يسمونه: «المنفرد بذاته».

سادسًا: يعتقدون أن يوم القيامة يتمثل في رجعة الحاكم بأمر الله بعد غيبته، وأنه سيقودهم إلى هدم الكعبة، وقتل المسلمين والنصارى فلا يبقى منهم أحد على وجه الأرض؛ ليبقى العالم كله بعد ذلك تحت سيطرة الدروز.

سابعًا: من البديهي: أنهم يبطلون جميع شرائع الإسلام، ولهم شرائعهم الخاصة بهم، والتي يتعمدون أن تكون مخالفةً لما جاء به الإسلام، وعقائدهم وشرائعهم تقوم على السرية والكتمان، كما أنهم لا يسمحون لأحد من الدروز بالخروج من دينهم، ولا يقبلون فيه أحدًا من غيرهم.

ثامنًا: يرجعون بعقائدهم وشرائعهم إلى الفراعنة والهنود القدامى، ويفتخرون بذلك.

تاسعًا: يَحرِمون البنات من الميراث، ويستحلون جميع الأقارب من الرضاع،

ولا يُحَرِّمون بالرضاع شيئًا.

عاشرًا: يبدأ التاريخ- عندهم- من سنة إعلان ألوهية الحاكم بأمر الله، سنة (٤٠٨هـ).

حادي عشر: ينقسم المجتمع الدرزي المعاصر إلى فريقين:

الفريق الأول: **الروحانيون**؛ وبيدهم أسرار الديانة، وهم إما (عقلاء)، أو دون ذلك (أجاويد).

الفريق الثاني: **الجسمانيون**؛ وهم الذين يقومون على شئون الدنيا، وهم إما (أمراء)، أو (جهال).

ثاني عشر: مجتمعاتهم خالية تمامًا من المساجد، ويكتفون بمعابد يجتمعون فيها ولا يسمحون لأحد من أتباعهم بدخولها.

ثالث عشر: كان من أشهر زعمائهم المعاصرين: الزعيم السياسي اللبناني «كمال جنبلاط» الذي مات عام سبعة وسبعين وتسعمائة وألف -١٩٧٧م-، ثم خلفه على الزعامة ابنه وليد جنبلاط، وللزعيم كمال جنبلاط مؤلفات كثيرة في الدفاع عن الدروز والدرزية، وضع هذه المؤلفات بمشاركة آخر يسمى: (سامي مكارم)، أما في البرازيل فيرأس رابطتهم- حاليًا-: د. نجيب العسراوي.

رابع عشر: وأخيرًا، فإن من أهم ما ينبغي التنبيه إليه: أن هذا التيار من أشد التيارات عداء للإسلام والمسلمين، وأن القائمين عليه يظهرون للمسلمين غير ما يبطنون؛ أخذًا بمبدأ التقية- عندهم- ولكن واقعهم يؤكد أنهم في الجبهة المعادية للإسلام والمسلمين، مما يوجب علينا أن نحذر مكائدهم وأحابيلهم، وأنهم أشد كفرا من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا.

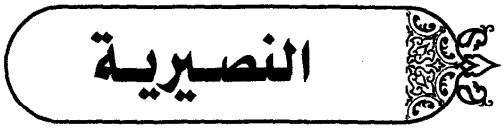

النصيرية

النصيرية هي إحدى التيارات الباطنية التي تنتشر في الكثير من المجتمعات الإسلامية، هذه التيارات التي يتولى كبرها فريقان: فريق المنافقين الذين يدَّعون الإسلام، ويخفون ضلالاتهم وراء ستار مِن حبِّ آل البيت المزعوم، والفريق الثاني: هم أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، وهؤلاء يقفون من وراء الفريق الأول، يدفعونه إلى الخروج على الإسلام، والكيد للمسلمين، ويمدونه بكل عون مادي ومعنوي.

و(النصيرية) حركة باطنية غالية، ظهرت في القرن الثالث الهجري، أتباعها من الشيعة الغلاة الذين يعتقدون أن «عليًّا» -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، هو الرب الخالق، وأن محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُرسل إلى الناس من قِبل عليٍّ، وأن «عليًّا» يحل في أئمتهم الواحد بعد الآخر، إلى آخِر هذه الضلالات التي سوف نُفصلها بعد -بحوله تعالى-.

وهذه الطائفة وغيرها- مما يماثلها- إنما هم واجهة لأعداء الإسلام الذين يريدون أن يخربوا الإسلام من داخله، فيأتون بأمثال هذه الطائفة التي تدعي الإسلام وحب آل البيت، ثم يضعون على ألسنتهم وفي قلوبهم ما ينقض الإسلام عقيدةً وأحكامًا.

❁ ❁ ❁

نشأة النصيرية:

بدأت هذه النحلة الضالة على يد رجل يسمى: (محمد بن نصير النميري)

المتوفى سنة سبعين ومائتين -٢٧٠هـ-، وإليه تُنسب تلك النحلة، فيقال: (النصيرية) وهذا الرجل (ابن نصير) كان شيعيًّا، وقد عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة كان آخرهم (محمد بن الحسن) الثاني عشر، الذي يقول الشيعة: إنه غائب، وسيعود، وإنه المهدي المنتظر.

بدأت ضلالات ابن نصير حين زعم أنه (الباب) للإمام الغائب، أي: وارث علمه ونائبه، ثم ادَّعى أنه الإمام الحجة للشيعة جميعًا، ثم تدنَّى فادَّعى النبوة والرسالة، وكان يزعم للناس أنه مرسل إليهم مِن قبل ربِّهم وإلههم «علي بن أبي طالب» إلى هنا كانت ضلالات «ابن نصير»، ثم زاد على تلك الضلالات هؤلاء الذين جاءوا من بعده وخلفوه على إمامة المذهب، حتى أضحى التيار النصيري على ما نعهده الآن.

أشهر خلفاء (ابن نصير):

من أشهر هؤلاء الذين خلفوا ابن نصير، ووضعوا أهم ضلالات المذهب رجل يسمى: (حسين بن علي الخصيبي) ولد عام ستين ومائتين للهجرة، وضع في المذهب القول بالتناسخ، ونظم وسائل الدعاية للمذهب، وأنشأ له مركزًا بحلب، وآخَرَ ببغداد، ومات الخصيبي هذا ودفن بمدينة (حلب) وقبره هناك مزار لهذه الطائفة، وقد تنقلت الدعوة إلى هذه الطائفة من بغداد إلى فارس، ثم استقرَّت ببغداد، ولكنها هاجرت من بغداد نهائيًّا بعد حملة هولاكو على بغداد، واستقرَّت بمدينة حلب بسوريا.

وأشهر شخصيات هذه الطائفة في العصر الحديث: «سليمان أفندي الأذني»

الذي ولد سنة خمسين ومائتين وألف للهجرة، وكان من علمائهم، لكنه اعتنق النصرانية وألف كتاب (**الباكورة السليمانية**) الذي فضح فيه عقائد وأسرار النصيريين التي لا يبحونها لأحد، مما جعلهم يستدرجونه إلى اللاذقية، ثم يثبون عليه ويقتلونه خنقًا بإحدى الساحات بمدينة اللاذقية.

كذلك من زعمائهم: (سليمان المرشد) الذي ادَّعَى الربوبية؛ مما جعل الحكومة السورية تمسك به، وقد أعدم عام ستة وأربعين وتسعمائة وألف أيام حكم الرئيس شكري القوتلي.

وهذه الطائفة الباطنية الضالة عُرفت عبر تاريخها باسمها الأصلي، وهو: (النصيرية) لكن في أوائل القرن العشرين تكوَّن في سوريا حزب سياسي اسمه: (**حزب الكتلة الوطنية**) وكان النصيريون في ذلك الوقت لهم تأثيرهم السياسي، فأراد مؤسسو حزب الكتلة الوطنية أن يضموا النصيريين إلى حزبهم، ويضمنوا أصواتهم وتأييدهم، فأطلقوا على النصيريين اسم: (**العلويين**) نسبة إلى (عليٍّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فأُعجب النصيريون بهذا الاسم، وأصبح منذ ذلك علمًا عليهم، وأضحوا يحرصون عليه جدًّا، ويرفضون اسمهم الأصلي [1].

وقد تمكَّن العلويون النصيريون من التسلل إلى الأحزاب السياسية بسوريا متخفين وراء طوائف السنة، التي يميل إليها المسلمون هناك، حتى اشتد نفوذهم في المؤسسات الحكومية، ثم استطاعوا بمساعدة بعض التكلات التي تحقد على

---

(١) ويقال إن الذي أطلق عليهم لقب العلويين إنما هم الفرنسيون حين دخلوا سوريا سنة ١٩٢٠م، ولما وجدوه من إخلاص الطائفة في قتال المسلمين لصالح فرنسا أطلقوا عليهم هذا اللقب.

الإسلام والمسلمين- مثل: الشيوعيين، والبعثيين، والقوميين- أن يقوموا بثورة سنة إحدى وسبعين وتسعمائة وألف، ثم استولى العلويون النصيريون على الحكم، وكان منهم رئيس الجمهورية، وظل الحكم في أيديهم حتى اليوم.

❁ ❁ ❁

عقائد النصيرية:

ظلت عقائد هذه الفرقة تتطور وتتغير تبعًا لأهواء القائمين عليها منذ إنشائها على يد ابن نصير في القرن الثالث الهجري، ولم تستقرَّ إلا في العصر الحديث، وعقائدهم في الجملة تقوم على مناوأة دين الله الإسلام ومحاولة هدمه، ومن ثم لم يتركوا من عقائد الإسلام شيئًا إلا وجاءوا بنقيضه، ولم يدعوا حكمًا من أحكام الشريعة إلا وعطَّلوه وجاءوا بما يعارضه، وهذا يوضح توجههم، ويُبِيْنُ عن مقاصدهم، ويكشف عن مدى حقدهم على الإسلام والمسلمين، أما أهم عقائدهم وأحكامهم فنفصلها فيما يلي:

أولًا: يؤلهون «علي بن أبي طالب» -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، ويزعمون أن عليًّا قد خلق محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأن محمدًا قد خلق «سلمان الفارسي» وهؤلاء الثلاثة يدور عليهم الوجود كله، ورمزهم المقدس مكوَّن من الحروف الأولى لعلي ومحمد وسلمان وهو: (ع م س)، أو: (عمس)، ويزعمون أن سلمان الفارسي قد خلق (الأيتام الخمسة)، أو (الملائكة)، والأيتام الخمسة أو الملائكة عند النصيرين هم:

١- المقداد بن الأسود، ويقولون: إنه رب الناس وخالقهم.

٢- أبو ذر الغفاري، وهو- عندهم- الموكل بالأفلاك السماوية.

٣- عبد الله بن رواحة، وهو الموكل بالرياح وقبض الأرواح.

٤- عثمان بن مظعون، الموكل بالأجساد والمرض والشفاء.

٥- قنبر بن كادان مولى علي وهو الموكل بنفخ الأرواح.

ثانيًا: يعتقدون أن القرآن الكريم إنما أُنزل ليعلم الناس بشأن عليٍّ، ووجوب الإخلاص له، وقد تولى إنزاله على محمدٍ سلمانُ الفارسي، وقد تخفَّى (سلمان) تحت اسم: (جبريل).

ثالثًا: يعتقدون أن الشهادة هي أن ينطق المرء الرمز المقدس: (ع. م. س).

رابعًا: الصلاة- عندهم- أن تنطق خمسة أسماء: (علي. حسن. حسين. محسن. فاطمة)، ومحسن يشير إلى السر الخفي. والصيام- عندهم- هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان، والزكاة مرفوضة، ولكنهم يُخرجون جزءًا من أموالهم للأئمة، ويقررون أن الحج كفر، وعبادة صنم كبير هو الكعبة.

خامسًا: يشاركون النصارى الكثير من أعيادهم مثل: عيد الغطاس، وعيد الميلاد، وعيد الصليب.

هذه أهم عقائدهم، ولشيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- رسالة في الرد على النصيرية يقول فيها: «هؤلاء القوم المسمَّون بالنصيرية هم وسائر الباطنية أكفرُ من اليهود والنصارى، ومن كثير من المشركين»[1].

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٤٩).

طوائف الإسماعيلية

نتناول في هذا المبحث تيارًا من التيارات الباطنية التي انتقلت عبر قرون طويلة إلى الكثير من المجتمعات الإسلامية، والتي يسمع بها شبابنا، ويقرءون عنها، ويحتكون بأصحابها، وربما تأثروا بتلك التيارات، دون أن يدركوا خطرها، أو يعرفوا الأهداف التي قامت من أجلها، ومحاولتها هدم الإسلام، وتفريق شمل الأمة المسلمة، وقد تكلمنا في المبحثين السابقين عن تيارين من هذه التيارات الباطنية ونتحدث هنا عن تيار ثالث، وهو: الإسماعيلية الباطنية.

الإسماعيلية فِرقة باطنية تُنسب إلى رجل اسمه: (إسماعيل بن جعفر الصادق)، وجعفر الصادق هو الإمام السادس من أئمة الشيعة، وقد كان له من الأبناء أربعة: عبد الله الأفطح، وقد كنى به، فقيل أبو عبد الله، ثم إسماعيل، ثم موسى، ثم محمد، ورغم أن عبد الله هو الأكبر إلا أن الأب اختار إسماعيل، لأن عبد الله كان أفطح، وهو عيب يمنع من الإمامة، موسى وإسماعيل، أما الشيعة الاثنا عشرية فقد اختاروا (موسى بن جعفر) إمامهم السابع، وسمَّوه: (موسى الكاظم) ولكن طائفة من الشام رفضوا إمامة موسى، وقالوا: بل الإمام هو: (إسماعيل بن جعفر)؛ لأنه الأكبر بعد عبد الله، وهؤلاء هم الإسماعيلية.

وقد بدأ ظهور الإسماعيلية في القرن الثالث الهجري حوالي سنة ستين ومائتين، ثم تفرعت بمرور الزمن إلى طوائفَ كثيرة، وفرق عديدة، منها:

الإسماعيلية القرامطة، والإسماعيلية الحشاشون، والإسماعيلية المستعلية، والنزارية، والأغاخانية، والبُهْرَة وغير ذلك، وكل هذه الطوائف يجمعها الارتكاز على الباطن، وحلول الإله في أئمتهم، وسريان الحلول من الإمام الأول: (إسماعيل بن جعفر) إلى كل إمام بعد ذلك، وإسقاط الشريعة الإسلامية، إلى غير ذلك مما سنبينه في هذا المبحث، من المبادئ التي تشمل كافة طوائفهم التي أشرنا إليها، لكن يهمنا هنا أن نتكلم عن بعض هذه الطوائف المنتسبة إلى الإسلام وعن تاريخها مع الإسلام والمسلمين، حتى تتضح لنا أهدافهم التي يحاولون إخفاءها وسترها والعمل على تحقيقها سرًّا.

طائفة القرامطة

من طوائف الإسماعيلية طائفة: (**الإسماعيلية القرامطة**)، وهي طائفة تُنسب إلى رجل اسمه: (حمدان بن الأشعث) ولُقِّبَ بـ(قرمط) لقصر قامته وساقيه ودمامة هيئته، وقد بدأ دعوته متخفيًا وراء حبِّ آل البيت، والتمسُّح بأئمتهم، وساعده على دعوته تلك الكثيرون من الحاقدين على الإسلام من أمثال: (عبد الله ابن ميمون القداح) الذي يُعتبر الرجلَ الأخطر في تاريخ تلك الدعوة الضالة، وقد استفحل شأن القرامطة حتى استولوا على كثير من بلاد الجزيرة العربية، واستولوا على الكوفة واستباحوها ستة أيام؛ فقتلوا النفوس وهتكوا الأعراض وسلبوا الأموال، وقد هاجموا مكة المكرمة سنة تسع عشرة وثلاثمائة للهجرة - ٣١٩هـ- وفتكوا بالحُجَّاج، وملأوا المسجد الحرام بالقتلى، وهدموا زمزم، ونزعوا الكسوة الشريفة من الكعبة استهانةً بها، واقتلعوا بابَ البيتِ العتيق، واقتلعوا الحجر الأسود، وحملوه معهم إلى عاصمة مُلْكهم في الأحساء.

وقد ظل الحجر الأسود بعيدًا عن مكانه الشريف من الكعبة المشرفة لأكثر من عشرين عامًا، كان في حوزة هؤلاء الإسماعيلية القرامطة أعداء الله وأعداء رسوله والمؤمنين، وذلك من سنة تسع عشرة وثلاثمائة حتى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة، ومن قبل ذلك هاجموا البصرة واستباحوها سبعة عشر يومًا، وهدموا مسجدها الجامع، وخرجوا منها وليس بها عين تطرف ولا عرق ينبض، ومثل ذلك

فعلوا بالكوفة؛ حيث قتلوا فيها الآلاف، وجعلوا مسجدها الجامع اصطبلًا لخيولهم.

وقد تعددت هجماتهم على الحجيج؛ حيث استولَوا على ما معهم، وقتلوا دوابَّهم التي يركبونها، ثم تركوهم في الصحراء يهلكون جوعًا وعطشًا، ولقد ظلت تلك حال القرامطة، حتى بدأ سلطانهم يذوي، فلجأوا إلى البحرين حيث كانت تحت سلطانهم، فثار عليهم أهلُها، وساعدهم السلاجقة، ففرَّ القرامطة إلى عاصمتهم في الأحساء، حيث اجتمعت ضدهم القبائل هناك مع جيوش السلاجقة فَقُضي عليهم نهائيًّا كقوة عسكرية، وإن كانت مبادئهم قد ظلت حية تسعى؛ حيث تولَّاها مِن بعدهم طوائف الإسماعيلية الآخرون من أمثال: الإسماعيلية البُهْرَة، والإسماعيلية الأغاخانية، الذين سنشير إليهم في مبحث تالٍ- بحول الله -تعالى-.

عقائد القرامطة:

ما يهمنا من المعرفة عن هذه الفئة الباغية إنما هي عقائدهم التي بقيت من بعدهم، والتي لا تزال تحاول التسلل إلى بعض الفئات في المجتمع المسلم، وأهم هذه العقائد ما يلي:

أولًا: يعتقدون بوجود إلهين، الأول أوجد الثاني، والثاني أوجد العالم كله بأرضه وسمائه، ويسمون الإله الأول: (**السابق**) ويسمون الإله الثاني: (**التالي**)، فالوجود- عندهم- مربوب لإلهين: (السابق، والتالي)، وهذه العقيدة توضح أصلهم، وتبين حقيقة أمرهم، وأنهم مجوس يدينون بما يدين به المجوس من إخضاع العالم لإلهين، كما يوضح حقدهم الشديد على الإسلام والمسلمين، ويفسر تلك الفظائع التي ارتكبوها ضد الإسلام ومقدساته وحرماته.

ثانيًا: يعتقدون حلول الإله الثاني الذي اسمه: (التالي) في أئمتهم، فأئمتهم آلهة، يَنسخون الشرائع السابقة ويُشَرِّعون ما يشاءون تشريعه.

ثالثًا: يُقِرُّون أن الأنبياء والوحي والكتب الإلهية كلها ضلال وبهتان، فلا حاجة بهم إلى كل هذا؛ لأن أئمتهم قد حلَّ فيهم الإله، فلا حاجة إلى وحي سابقٍ، أو لاحِقٍ، ولا حاجة إلى الأنبياء، أو الأولياء، حيث الإله موجود بينهم حالٌّ في إمامهم.

رابعًا: يُبطلون الشرائع، ويُسقطون التكاليف؛ إذ هم يعتقدون بطلان النبوات والوحي والكتب.

خامسًا: يكفرون بالقيامة والبعث، وما في القيامة من نشر وحشر وحساب ومثوبة وعقوبة، ولكنهم يُئَوِّلون الجنة في هذه الحياة الدنيا، وأن الموعودين بها هم الذين اهتدوا إلى عقائد الإسماعيلية القرامطة والتزموا بها، أما النار فهي تتمثل في ذلك العذاب والمعاناة التي يتحملها أهل الإسلام من التكاليف الشرعية من صلاة وصيام، وزكاة وحج، فهذه كلُّها عقوبات يعذب بها هؤلاء الذين التزموا الإسلام ورفضوا عقائد القرامطة.

هذه أهم عقائد القوم، ولهم سوى ذلك عقائد إباحية يَعَفُّ اللسان عن ذكرها.

طائفة البُهـرَة

هي إحدى طوائف الإسماعيلية التي كان أساس نشأتها الحقد على الإسلام والمسلمين، والتي تولى كبر نشأتها جماعة من المجوس المنافقين، الذين أظهروا الإسلام، بينما انطوت قلوبهم على حقد دفين ومقت سجين لدين الله الحق الذي قضى على المجوسية في بلادها، ولم تنطفئ نار حقدهم حتى أنشأوا هذه العقائد الفاسدة، والفكر الضال، ولبّسوه على طوائفَ مِن عامة المسلمين الذين انخدعوا بهم وبِدَعْوَاهم حُبَّ آلِ بيت النبي -صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-.

ولكي يضمنوا استمرارية عقائدهم الفاسدة لم يحصروها في طائفة واحدة، ولم يَقِفُوها على فرقة معينة، بل وزَّعوا عقائدهم على طوائفَ كثيرةٍ، وأنشأوا لها فروعًا من المذاهب عديدة، بحيث إذا قضى المسلمون على طائفة، قامت بدلًا منها طوائف أخرى تتبنى نفس عقائد الإسماعيلية، من أمثال: الإسماعيلية القرامطة، والإسماعيلية الفاطمية، والإسماعيلية الحشاشين، والإسماعيلية البُهْرَة، والإسماعيلية الأغاخانية، وقد تناولنا في مبحث سابق الإسماعيلية القرامطة، وبيَّنا أن المسلمين قد قضوا على هذه الطائفة تمامًا، وأصبح القرامطة من دنس التاريخ الذي يُروَى، فهل انتهت عقائدهم بانتهائهم؟ والجواب بالنفي قطعًا؛ لأن عقائد القرامطة أساسها العقائد الإسماعيلية، وعقائد الإسماعيلية تقوم بها طوائف

أخرى، من أمثال الإسماعيلية الفاطمية، والإسماعيلية البُهْرَة، والإسماعيلية الأغاخانية، وهي طوائف تقوم على نفس العقائد، والطائفتان الأخيرتان- أقصد البُهْرَة، والأغاخنية- قد ورثتا عقائد الإسماعيلية القرامطة والفاطمية، وحملتا على عاتقيهما إيصالها إلى زماننا، وعن إحدى هاتين الطائفتين سيكون عرضنا في هذا المبحث- بحول الله -تعالى- .

إن طائفة البُهْرَة، هي فرع من طوائف الإسماعيلية كما بيَّنا، وهي تعتنق نفس المبادئ العامة للإسماعيلية، ومن أهمها: حلول الإله في الإمام (إسماعيل بن جعفر)، ثم حلوله في (محمد بن إسماعيل)، من بعده، ثم حلوله في كل إمام من أئمتهم بعد ذلك، ومن أشهر أئمتهم الإمام الآمر (أبو علي المنصور)، ثم ابنه الإمام (الطيب ابن الآمر) وهم يعتقدون أن الإمام الطيب قد دخل الستر، أي غاب، عام خمسة وعشرين وخمسمائة للهجرة -٥٢٥هـ-، وما يزال إلى اليوم غائبًا، وهم ينتظرون خروجه، وأئمتهم منذ ذلك العهد هم نواب عن الإمام الغائب الذي لم يظهر من بدايات القرن السادس الهجري، وإمامهم الموجود حاليًا هو الإمام الحادي والخمسون في سلسلة الأئمة واسمه: (طاهر بن محمد) ويعيش في مقره بمدينة (بومباي) بالهند، وهذه الطائفة كانت باليمن، ثم تركت الاشتغال بالسياسة، واشتغلت بالتجارة بين اليمن والهند، واختلطت بالهندوس، وصار لها أشياع بالهند، فنقلت مقرَّها هناك، واستقر إمامها بالهند منذ وقت طويل، ولفظ (البُهْرَة) لفظ هندي قديم، يعني: (التجار) وهذه الطائفة واسعة الثراء، وإن كان يوجد بين أفرادها من هم شديدو الفقر، شديدو الإملاق.

وزعماء الطائفة يحاولون نشر عقائدهم الباطلة بين عامة الناس في بعض المجتمعات الإسلامية، وقد خرجوا عن إطارهم المحدود بالهند، وحاولوا الانتشار واجتذاب بعض ذوي النفوس المريضة، والإيمان الضعيف، وقد بدأوا خطتهم تلك بمصر منذ ما يربو على الثلاثين عامًا، حينما استأذنوا المسئولين بمصر في أن يقوموا بصنع كسوة لمقبرة (الحسين بن علي) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، وقد أحضروا بالفعل كسوة للمقبرة مصنوعة من الذهب الخالص، ووضعوها على المقبرة في احتفال كبير حضره بعض المسئولين عن المساجد بالقاهرة، ثم تلا ذلك أن صنعوا كسوة أخرى من الذهب الموشي بالفضة لمقبرة (السيدة زينب) وأقاموا لذلك حفلًا كبيرًا حضره كثير من المسئولين، وأشارت إليه وسائل الإعلام، وهذان الحدثان كانا مقدمة لخطوات أخرى أهم، فقد صار هؤلاء الإسماعيلية البُهْرَة يحضرون إلى القاهرة في مناسبة ما يسمى: (**بالمولد الحسيني**)، وكذلك (**المولد الزينبي**)، وهم يأتون إلى هذه المناسبات البدعية بِأُسَرِهِم كاملةً، ويقيمون بالأحياء الشعبية المزدحمة بعوام الناس، وأنصاف المثقفين، يختلطون بالناس مظهِرين حبَّ آلِ بيتِ النبي، وحبَّ القبور في مجتمع تشيع فيه زيارة القبور والتبرك بها، ثم يبثون سمومهم في الناس حسب ما يرون ويعرفون من أحوالهم، ولقد أمسك المسئولون بأحد أئمة المساجد منذ عدة أعوام، وقد اعتنق مثل تلك المبادئ وأخذ يدعو إليها سرًّا، ثم إذا هو يعلن تشيعه من فوق منبر الجمعة، فثار عليه الناس، ثم أبلغوا المسئولين الذين أمسكوا به وسجنوه، ثم خرج من السجن وقتل في محاولة منه لنشر أفكاره التكفيرية.

وفي نهاية عرضنا لفرقة الإسماعيلية نُذَكِّر بما يلي:

أولًا: الإسماعيلية فرقة باطنية، بدأت بدعوة التشيع، ثم انحرفت سريعًا نحو

معاداة الإسلام والمسلمين، وقد تبين أن جل عقائدها مأخوذ عن المجوس، وأن رءوس الطائفة الذين وضعوا لها عقائدها، ورسموا مسيرتها إنما هم من المجوس الحاقدين على الإسلام والمسلمين.

ثانيًا: بان لنا بوضوح شديد عداء الطائفة للمسلمين، وأضغانهم على الأمة المسلمة، مما فعله القرامطة الإسماعيلية بالمسلمين، وبحرم الله الآمن، حيث استباحوا مكة بلد الله الحرام، وخلعوا باب الكعبة، وقلعوا الحجر الأسود من مكانه وسرقوه إلى الإحساء، وظل لديهم عشرين عامًا، وقتلوا عشرات الألوف من الحجاج، وطمروا بجثثهم بئر زمزم، إلى غير ذلك مما لم يفعله حتى اليهود والنصارى، فهم أشد عداءً وحقدًا على الإسلام والمسلمين منهم.

ثالثًا: الإسماعيلية يتخفون وراء طوائف عديدة، وهم في أصول العقائد يَتَّحِدون، ولكن لهم طوائف، بحيث كلما اكتشف المسلمون حقيقة طائفة فقضوا عليها، قامت الطوائف الأخرى بنفس الدور.

رابعًا: كثير من طوائفهم يعيشون في نيروبي، ودار السلام، وزنجبار، واليمن، والهند، وباكستان، وهؤلاء يجب الحذر من الاختلاط بهم، أو السماح لهم بنشر أفكارهم في مجتمعاتنا الإسلامية.

البابية

نتناول في هذا المبحث تيارًا من قديم، والحركاتُ الباطنية أداة طيعة في أيدي أعداء الإسلام على مدار التاريخ، وقد قضت الحركات الباطنية الحديثة ردحًا من الزمن في خدمة الاستعمار، وقد كانت الحركة (**البابية**) عميلة للاستعمار كذلك، وقد نادت بتحريم الجهاد ضد أعداء الإسلام، بل كانت تُظاهِر المستعمِرين ضد الأمة المسلمة، وهي من الحركات الباطنية الحديثة التي نشأت في إيران، وانتشرت بعد ذلك في العراق وبلاد أخرى.

تُنسب (البابية) إلى (الميرزا علي محمد رضا الشيرازي) المولود سنة تسع عشرة وثمانمائة وألف للميلاد -١٨١٩م-، والميت مقتولًا سنة خمسين وثمانمائة وألف للميلاد -١٨٥٠م-.

و(علي محمد رضا الشيرازي) الذي تنسب إليه البابية ولد بإيران، ثم تلقى تعليمه على أيدي معلمي الشيعة (**الشيخية**)، والشيخية فرقة شيعية غالية تؤمن بحلول الإله جل وعلا في الإمام علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، ثم حلول الإله من بعد علي في أئمتهم واحدًا بعد الآخر، ويؤمنون بما يسمونه: (**الحقيقة المحمدية**) وأن هذه الحقيقة قد تجلَّت بعد النبي محمد عليه الصلاة والسلام في أئمتهم- أيضًا-؛ فالإمام- عندهم- جامع بين حلول الإله وحلول الحقيقة المحمدية فيه- كما يزعمون.

ومن عقائد الشيخية: أن الإمام الثاني عشر للشيعة قد ظهر بعده أئمة آخرون، وأن آخر الأئمة- عندهم- هو (كاظم الرشتي) وهو نفسه الذي تولى تعليم وتنشئة (علي محمد الشيرازي) منشئ البابية.

وقد ادَّعى (الشيرازي) هذا في بداية أمره أنه الباب إلى الإمام الغائب، ومن هنا سُمِّيت النحلة الضالة التي أتى بها: (البابية)، ولم يقف الأمر بمحمد علي الشيرازي عند دعوى أنه الباب، بل زاد على ذلك فادَّعى أنه المهدي المنتظر، ثم تدنى أكثر فادَّعى أنه رسول مثل موسى وعيسى ومحمد -صلوات الله عليهم أجمعين- ثم ادعى أنه أفضل منهم جميعًا؛ لأن كلًّا منهم كانت له خصائص وفضائل خاصة به، ولكن الباب قد اجتمعت فيه كل خصائص وفضائل الجميع، فصار أعظم منهم شأنًا- عياذًا ب الله -تعالى- ومن هنا فقد زعم أنهم جميعًا جاءوا مبشِّرين به، وممهِّدين له، ثم وصل الأمر بـ(علي محمد الشيرازي) إلى الهاوية حين ادَّعى أن الله قد حلَّ فيه حلولًا ماديًّا جسمانيًّا، بحيث أن من يراه يكون قد رأى الله فعلًا- تعالى الله عما يفترون.

وقد كان الباب رغم دعاواه هذه كلها كاذبًا جبانًا مخلفًا لوعوده، ناظره علماء الإسلام في عهده مرتين، وفي كل مرة كان يعلن ندمه وتوبته ورجوعه عن دعاواه الباطلة، فعندما ادَّعى النبوة والرسالة، وأنه أفضل الأنبياء والرسل، ناظره العلماء، وقبض عليه المسئولون، فأعلن توبته من فوق منبر المسجد الجامع، وكان ذلك عام واحد وستين ومائتين وألف للهجرة -١٢٦١هـ-، فأخلى المسئولون سبيله، لكنه عاد فادَّعى أن الله قد حلَّ فيه حلولًا ماديًّا جسمانيًّا، فقبضوا عليه

وحاكموه وحُكم عليه بالإعدام، وأُعدم رميًا بالرصاص، عام ستة وستين ومائتين وألف للهجرة -١٢٦٦هـ-، وهكذا قُضِيَ على رأس الفتنة البابية، ولكنَّ ذنبَها بقى ممثَّلًا في خليفته الذي أنشأ طائفة البهائية، على ما سنرى في المبحث التالي.

عقائد البابية:

أولًا: البابية حركة باطنية، ظهرت على يد رجل إيراني يدعى (ميرزا عليَّ بن محمد الشيرازي) الذي كان شيعيًّا من الغلاة، ثم ادعى أنه الباب إلى الإمام الغائب، ثم ادَّعى أنه المهدي المنتظر، ثم ادَّعى أنه نبي الله ورسوله، ثم ادَّعى أن الله قد حلَّ فيه ماديًّا وجسمانيًّا.

ثانيًا: ألف الباب كتابًا سماه: **(البيان)** وزعم أنه وحي إلهي معجِز، وأن كتابه البيان قد نسخ كتاب الله (القرآن المجيد).

ثالثًا: كانت له امرأة يعيش معها دون زواج أسماها: (قرة العين) أعلن على لسانها في أحد مؤتمراتهم -مؤتمر بِدِشْتَ- نسخ الشريعة الإسلامية، وهذه المرأة كان اسمها: (أم سلمى) لكنه أطلق عليها (قرة العين) وكان يزعم أن اسمها هذا جاءه وحيًا، ويظن البعض أن أفكاره كلها إنما كانت بتوجيه من هذه المرأة.

رابعًا: كانت الحركة البابية عميلةً للاستعمار، ونادت بتحريم الجهاد ضد أعداء الإسلام، بل كانت تُظاهِر المستعمِرين ضد الأمة المسلمة.

خامسًا: ناظر العلماءُ البابَ، فتظاهر بإعلان الندم والتوبة، ولكنه عاد إلى أشد مما كان عليه، فأعدمه المسئولون رميًا بالرَّصاص.

وقد قُضِيَ على البابية بموته، ولكن نشأت عنها البهائية التي ستكون موضوع المبحث التالي- بحول الله -تعالى- .

البهائية

دعوى حلول الإله بالبشر دعوى ساوقت الشيعة الغلاة طوال تاريخهم، وما تزال، وقد ادعاها النصيريون، وادعاها الدروز، وغيرهم، ثم ادعاها في العصر الحديث الباب، وعندما قتل الباب، لم تمت دعواه الباطلة، بل ظل ذلك التيار الفاسد الضال حيًّا يسعى في دنيا الناس، ذلكم أن الباب حين هلك، قام البهاء، خلفًا له فأنشأ (البهائية)، امتدادًا للبابية، وبذلك ظلت دعوى الضلال، وتيار الكفر والفساد ممتدًّا من البابية إلى البهائية، ولأن البهائية امتداد للبابية ووارثة لها، ولأنها شر منها وأكثر خطرًا، فسنعرض لها في هذا المبحث.

نشأة البهائية:

قبل أن يهلك (الباب) مؤسس البابية أوصى بخلافته على البابية أخوين غير شقيقين هما: (ميرزا يحيى علي) الذي لقب نفسه بـ(**صبح أزل**)، أي: الصباح الأزلي، أو الصباح الدائم، و(ميرزا حسين علي) الذي لقب نفسه (**بهاء الله**)، وقد ادعى كل من الأخوين: (صبح أزل) و(بهاء الله) أنه الخليفة للباب، وأن الباب أوصى له، وقد وقع خلاف شديد بينهما وبين أتباعهما، أدَّى إلى التقاتل بين الطرفين، وبسبب ذلك تم نفيهما من إيران إلى عكا، ثم نُفي (صبح أزل) إلى قبرص، حيث هلك هناك، ودُفن بقبرص، وذلك عام اثني عشر وتسعمائة وألف للميلاد، بعد أن خلَّف كتابًا أسماه: (**الألواح**) زاعمًا أنه وحي، وأنه ناسخ للقرآن،

وقد أوصى بالخلافة لابنه، ولكن ابنه اعتنق النصرانية، وانصرف من حوله أتباعه، وبذلك انتهى شأن (صبح أزل)، واستقرَّ الأمر لأخيه (حسين علي) الذي لقَّب نفسه (بهاء الله).

و(حسين علي ولد عام سبعة عشر وثمانمائة وألف للميلاد، ولما هلك أخوه واستقرَّ له الأمر في خلافة (الباب)، حينئذ سارع فادَّعى الألوهية، وأعلن نسخ البابية، وألف كتابًا اسماه: (**الأقدس**) ادَّعى أنه أوحاه إلى نفسه، وقد نسخ به ما جاء به (الباب)، وأخوه (صبح أزل) وادَّعى أن لكل نبي دورةً زمانية، وأن دورةَ البهائية سوف تستمر نصف مليون سنة، وكان البهاء هذا يخرج على أتباعه، وقد وضع على وجهه نقابًا زاعمًا أن النقاب يمنع نوره عن أتباعه، وأنه لو رفع النقاب فإن شدة نور وجهه سوف تصعق الناسَ وتُهلكهم، وكان يستدل لذلك بقول الله -تعالى-:

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، زاعمًا أن نور وجهه يدك الجبالَ، ويصعق الناس، وقد هلك البهاء، مؤسس (البهائية) سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وألف للميلاد -١٨٩٢م-، ودفن بمكان أسموه: (**البهجة**) بمدينة (عكا)، بفلسطين، وقد تولى زعامة (البهائية) من بعده ابنه الأكبر: (عباس أفندي) الذي لقَّب نفسه (**عبد البهاء**).

وعباس أفندي هذا، أو (عبد البهاء) هو الذي عمل على نشر (البهائية) في الغرب، فقد بان له أن البهائية لا مكان لها في الدول المسلمة، فانتقل للدعوة إليها في الغرب النصراني حيث أُتيح لها الانتشار، وأَسس لها في أمريكا محافل ومعابد، وقد زار كثيرًا من البلاد، كما زار القاهرة حيث هلك بها سنة إحدى وعشرين

وتسعمائة وألف للميلاد -١٩٢١م-، وقد تولى شئون البهائية من بعده حفيده (شوقي أفندي) حيث اجتهد في نشر البهائية في الغرب النصراني، ثم لما هلك عام ثلاثة وستين وتسعمائة وألف -١٩٦٣م- تولى شئون البهائية مجلس مكوَّن من تسعة أعضاء: أربعة من أمريكا، واثنان من إنجلترا، وثلاثة من إيران، ويتولى رئاسة هذه المجموعة حاليًّا رجل يهودي صهيوني أمريكي الجنسية اسمه: (ميسون) مما يدل على الصلة القوية بين البهائية واليهود الصهاينة.

عقائد البهائية:

أولًا: يعتقد البهائيون أن (الباب)، هو الذي خلق كل شيء بكلمة (كن) وأنه الأصل الذي صدرت عنه جميع الموجودات.

ثانيًا: يؤمنون بالحلول والتناسخ، وينكرون القيامة والحساب.

ثالثًا: يؤمنون بأن (البهاء) هو الرب الذي حلَّ فيه (الباب)، وأنهما شيء واحد.

رابعًا: يقدسون العدد (١٩) ويجعلون السنة تسعة عشر شهرًا، والشهر تسعة عشر يومًا، والصيام- عندهم- تسعة عشر يومًا فقط.

خامسًا: الصلاة- عندهم- هي: (**بسم الله الأطهر الأطهر**) والتكبيرة عندهم: (**الله أبهى**) وقبلتهم إلى قبر البهاء بعكا بفلسطين.

سادسًا: ينتشرون في أمريكا حيث يُقَدَّرُ عددهم بمليونين، وينتشرون كذلك بكثير من دول أفريقيا وأروبا، وقد كان لهم (محفل) بمصر، حيث صدر قرار جمهوري بإغلاقه وحُوكِم الكثيرون من أتباعه، وذلك عام ستين وتسعمائة وألف -١٩٦٠م-، وبهذا يتبين لنا أن البهائيين أشدُّ كفرًا من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا.

القاديانية

القاديانية هي إحدى التيارات الباطنية المعادية للإسلام والمسلمين، والتي تهدف إلى تمزيق وحدة الأمة المسلمة.

والقاديانية حركة إلحادية نشأت بالهند في سنة تسعمائة وألف، وقد عمل على إنشائها، ووضع أساسها، وأمدَّها بالمعونة والمساندة الاستعمارُ الإنجليزي بالهند، والهند إبان الاستعمار الإنجليزي كان بها أغلبية هندوسية، وأقلية مسلمة، ولم يكن للهندوس كبير خطر على الإنجليز في الهند؛ لأن الهندوسية التي يدين بها الهندوس ديانة تقوم على السلبية والخنوع؛ لهذا ركنوا إلى الاستعمار وسكنوا، وقصارى ما فعلوه هو إظهار عدم رضاهم بالطرق السلمية، أما المسلمون في الهند في ذلك الوقت فقد قاوموا الإنجليز، وأعلنوا الجهاد ضد المستعمرين، وأقضوا مضاجعهم، من هنا بدأ الإنجليز يفكِّرون كيف يقضون على مقاومة المسلمين، ويشغلونهم عن الجهاد، ووقع اختيارهم على رجل من أسرة خائنة لوطنها، اشتهرت بخيانة الدين والوطن، وخدمة الاستعمار الصليبي، وكان هذا الرجل هو: (ميرزا غلام أحمد القادياني)؛ لذلك اختاره الإنجليز لهذه المهمة، فقام بها كما رغب أسياده الإنجليز، وقد أمده الإنجليز بالتأييد المادي والمعنوي، حتى ظهرت دعوته الباطلة، وصار له أتباع داخل الهند، ثم بعد هلاكه استغلت إنجلترا نفوذها لنشر ديانته خارج الهند، كما سيتضح لنا ذلك في هذا المبحث- بحول الله -تعالى-

نشأة القاديانية وتطورها:

بدأت القاديانية على يد (مرزا غلام أحمد القادياني) الذي وُلد بقرية تسمى (قاديان) من إقليم البنجاب بالهند، وكانت ولادته سنة تسع وثلاثين وثمانمائة وألف للميلاد -١٨٣٩-، وقد تعلم في المدارس الدينية الإسلامية، ثم لما شبَّ تلقفته أيدي الإنجليز، وبدأ يُنفذ الخطة التي اختاروه من أجلها.

١- فعمل أول الأمر كداعية إسلامي متحمس، وصار يدعو إلى مناظرة أعداء الإسلام، والعمل على دحرهم باللسان والقلم، وقد اكتسب شهرة باعتباره داعية إسلاميًّا، ولما آتت الخطة ثمارها الأولى والتفَّ الناس حوله، وأصبح له أنصار.

٢- انتقل إلى الادعاء بأنه مجدد للدين، ثم.

٣-ادعى أنه ملهَم من قِبل الله -تعالى-، ثم.

٤- ادعى أنه المهدي المنتظر، ثم.

٥- ادعى أنه المسيح الموعود بالنزول آخِرَ الزمان، ثم.

٦- ادعى أنه (نبي ظلي) أي: ظل لمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتابع له، وأن روح محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تلبَّسته، ثم وصل إلى آخر ضلالاته.

٧- فادعى أنه أفضل الأنبياء جميعًا، وأن الأنبياء كلهم جاءوا يبشرون به ويمهِّدون لظهوره، وأن الله -تعالى- أنزل عشرة آلاف آية لتصديقه وتعيين صفاته وزمان بعثته، إلى آخِر دعاواه الكاذبة، وقد ظل الإنجليز يساندونه ليس حبًّا فيه، أو تصديقًا له، فهم يعرفون أنه كاذب، ولو آمنوا بصدقه لتركوا نصرانيتهم واتبعوه، لكنهم كانوا يساندونه كراهيةً للإسلام والمسلمين، ولأنه

أعلن في مناسبات كثيرة أن الإنجليز هم حماة الإسلام في الهند، وأن الجهاد ضدهم محرَّم، بل إنه نسخ فريضة الجهاد كليةً، ولم يسكت علماء الإسلام في الهند على دعاوى هذا الكذاب، بل ناظروه في مناسبات عديدة، وكان يبوء بالخسران، ثم كانوا يصدرون الكتب والنشرات في تكذيبه، وكانت خاتمة هذا كله المناظرة التي عقدت بينه وبين العالم الشهير الشيخ (أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري) رئيس جماعة أهل الحديث بالهند، -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، وفي تلك المناظرة بان كذب القادياني، ولما رفض الرجوع عن ضلالاته، باهَلَهُ الشيخ أبو الوفاء ودعا الله أن يموتَ الكاذبُ منهما في حياة الآخَر، ولم تمضِ سوى أيام قليلة حتى أهلك الله القادياني الكذاب، وفرح المؤمنون بنصر الله -سبحانه-.

ولما هلك القادياني الكذاب خلفه جماعة من أشهرهم: (نور الدين) خليفته الأول، ثم ابنه (محمود أحمد) خليفته الثاني، ثم (محمد علي) جاسوس الإنجليز بالهند، وهو الذي قدَّم ترجمة لمعاني القرآن محرَّفة، ولكنَّ أخطر رجل في تاريخ القاديانية بعد مؤسسها هو «ظفر الله خان» القادياني المتعصب، وقد كان ظهور هذا الكافر حين استقلت باكستان عن الهند حيث اشترط الإنجليز تعيين (ظفر الله خان) وزيرًا لخارجية باكستان، وهكذا اتضحت مكانة الرجل من خدمة الإنجليز والعداء للإسلام والمسلمين، إلى الحد الذي يجعل الإنجليز يشترطون هيمنته على الشئون الخارجية للدولة الوليدة؛ لذلك حين عُيِّنَ هذا الرجل الخبيث، جعل همَّهُ الأولَ نَشْرَ القاديانية في بلاد العالم، فعيَّن سفراء باكستان وممثليها في الخارج في كل بلدان العالم من القاديانيين، وممن يمقتون الإسلام

والمسلمين، وجعل سفاراتِ باكستان ومكاتِبَها الدبلوماسية في الخارج مؤسساتٍ للدعوة إلى القاديانية، وحربًا على الإسلام والمسلمين، وقد بذل المسلمون في باكستان- بل وفي كثير من البلاد الإسلامية- محاولاتٍ قادها العلماء في كافة أنحاء البلاد مطالبين بإقالة هذا المجرم الآثم «ظفر الله خان»، داعين إلى قيام ثورة ضده، وقد قُتل في هذه الثورة قرابة العشرة آلاف مسلم، لكنها انتهت بإقالة هذا المجرم الآثم، لكن بعد أن آتت مؤامراته الخبيثة ثمارَها المُرَّةَ.

❁ ❁ ❁

وفي نهاية هذا المبحث نُذكر بالأمور الآتية:

أولًا: القاديانية ديانة كفرية، والقادياني كافر فاجر، ومن أهم ما يُكَفِّرُهُ- هو وأتباعه- من الاعتقادات ما يلي:

- ادعاؤه النبوة، وأن محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاء مبشِّرًا به.
- نسخُهُ فريضةَ الجهاد.
- إيمانُهُ بعقيدة الحلول، والتناسخ.
- نسبتُهُ الولدَ إلى الله -تعالى-، وأنه هو ابن الله.
- إنكارُهُ خَتْمَ النبوة.
- نسخُهُ الحجَّ إلى مكة المكرمة، وتحويله إلى قريته قاديان.
- نسخُهُ القرآنَ المجيد بكتاب ألَّفه، وأسماه: الكتابَ المبين.

ثانيًا: من أجل ما سبق؛ فقد اجتمع مجلس الأمة بباكستان، وبعد مناقشة العلماء لزعيم القاديانية، أصدر المجلس قراره باعتبار القاديانية (ديانة وضعية)

واعتبار القاديانيين بباكستان (أقلية غير مسلمة)، كما حرَّم عليهم تسميةَ معابِدِهم باسم: (مسجد، وحرم)، كذلك إطلاقهم اسم (أم المؤمنين) على نساء الكافر القادياني زعيم الطائفة.

ثالثًا: في ربيع الأول سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وألف -١٣٩٤هـ- انعقد مؤتمر كبير برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، حضره ممثلون لجميع المنظمات الإسلامية العالمية، وقد أعلن المؤتمر كفر طائفة القاديانية، وخروج أتباعها عن الإسلام، وقد طالب المؤتمر المسلمين بمقاومةِ خطرِها، ورفضِ التعاملِ مع أتباعها، وعدمِ دفنِ موتاهم بمقابر المسلمين.

عبدة الشيطان

نتناول في هذا المبحث واحدًا من التيارات الباطنية الضالة التي لم تسبق بمثيل، والتي وصل ضلالها إلى حد عبادة إبليس وتأليهه، والزعم بأنه سبيلهم وقائدهم إلى الجنة.

كلامنا هنا عن طائفة: (**اليزيدية**)، أو طائفة: (**عبدة الشيطان**).

وطائفة اليزيدية فِرقة منحرفة نشأت بعد انهيار الدولة الأموية عام اثنين وثلاثين ومائة للهجرة -١٣٢هـ-، وقد كانت نشأتها في البداية لإعادة سلطان بني أمية، ثم سرعان ما انحرفت في أفكارها وعقائدها، حتى وصلت إلى وهدة التعبد لإبليس -لعنه الله- والزعم بأن الله -سبحانه- قد أنابه عنه في تدبير الكون، وحساب الناس يوم القيامة- تعالى الله عما يقولون-.

❁ ❁ ❁

نشأة هذه الطائفة وجذورها:

عندما انهارت دولة بني أمية على أيدي العباسيين، هرب أحد الأمراء الأمويين، واسمه «**إبراهيم بن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية**» فهو من أحفاد معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، هرب هذا الأمير إلى منطقة الأكراد في شمال العراق، وكان السبب في هروبه إلى بلاد الأكراد أن أُمَّ آخرِ أمير من بني أمية كانت من الأكراد، استقرَّ الأمير إبراهيم في بلاد الأكراد بالعراق، وجمع حوله فلول بني أمية، ثم أخذ

يدعو إلى إعادة الخلافة إلى بني أمية، ثم لما عجز عن ذلك، وفقد الأمل في استرجاع سلطان الحكم، أراد أن يجعل لبني أمية سلطانًا على قلوب الناس، فخرج على الناس ذات يوم معلنًا أن يزيد بن معاوية هو المهدي المنتظر، وأنه لم يمت، وإنما غاب، وأنه سيعود فيملأ الأرض عدلًا، ويعيد الملك لبني أمية، وقد أُطلق على يزيد لقب «**السُّفياني**».

كانت هذه هي اللبنة الأولى في بناء هذه الطائفة الضالة.

أما إبراهيم بن خالد الأموي الذي اخترع هذه الفرية، فقد ذهب اسمه، ولم يعد له ذكر بين رجالات هذه الطائفة، رغم أنه أول من وضع بذرة الضلال هذه.

أما أشهر شخصيات هذه الطائفة فاثنان:

أولهما: رجل يُدعَى عديّ بن مسافر، وهو مشهور- عند اليزيدية- باسم: «الشيخ عدي أو الشيخ عادي»، وهو من أوائل الذين فرُّوا من الحكام العباسيين، سافر من الشام إلى منطقة تسمى الحكارية، أو الهكارية؛ ولذلك يطلق عليه: «الحكاري».

وهو رجل اشتُهر بالصلاح والتقوى، وقد لقي الشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ عنه التصوف، وأنشأ له طريقة صوفية خاصة به اسمها: (**الطريقة العدوية**) نسبة له، وقد اجتمع حوله وفود الناس لاشتهاره بالصلاح، وجمهرة الذين كتبوا عنه يثنون عليه خُلُقًا وسلوكًا، ولما مات الشيخ عدي دُفن بمدينة لالش (لَ ا لَ ش) بمنطقة الشِّيخان بالعراق، ويتضح من سيرة الشيخ عدي أنه كان داعية أمويًّا، جمع الناس حوله مستغلًّا طريقته الصوفية المنسوبة إليه للدعوة إلى الأمويين، لكنه حتى وفاته لم يخرج على تعاليم الإسلام، سوى ما في الصوفية من أمور نعرفها.

أما الثاني: فهو أشهر شخصية في اليزيدية، وهو شمس الدين أبو محمد المشهور لديهم باسم: «الشيخ حسن».

ولد الشيخ حسن هذا سنة إحدى وتسعين وخمسمائة للهجرة -٥٩١هـ-، وتولَّى إمامة الطائفة، وهو الذي وضع عقائدها وتعاليمها، وهو الذي خرج بها عن الإسلام.

وأهم التعاليم التي وضعها- وما يزال الزيدية يدينون بها- ثلاثة أمور: تقديس الشيخ عدي، وتقديس يزيد بن معاوية، وعبادة الشيطان.

فقد انقطع الشيخ حسن هذا- أيام إمامته للطائفة- عن الناس ستَّ سنوات، ثم خرج بعدها على الطائفة، وقد وضع لهم أهم العقائد في مؤلفات ثلاثة: كتاب «الجلوة لأصحاب الخلوة»، وكتاب «محك الإيمان»، وكتاب «هداية الأصحاب».

عقائد الطائفة، وعباداتها:

لليزيدية عقائد وعبادات كثيرة وخطيرة وعجيبة، نجمل أهمها فيما يلي:

أولًا: تقديس يزيد بن معاوية، والزعم بأنه لم يمت، وإنما غاب، وسوف يعود فيملأ الأرض عدلًا، ويعيد الملك إلى بني أمية.

ثانيًا: تقديس الشيخ عدي- أو الشيخ عادي كما ينطقونه- وقد وضعوه هو ويزيد في مستوى الله -سبحانه- على هذا النسق: (الله، يزيد، عدي) ومنزلة الثلاثة من التقديس على هذا الترتيب، وبذا أَدخلوا يزيدَ وعديًّا شريكين لله- عياذًا بالله-.

ثالثًا: يقدسون إبليس، ويتوجهون إليه بالعبادة والقرابين، ويسمونه: «ملك

طاووس»، أي: «طاووس الملائكة» ولهم في سبب عبادتهم إبليس روايات غريبة، ومخاريق عجيبة، فهم في رواياتهم يزعمون: أن إبليس هو الموحد الأول، حيث لم يسجد لأحد سوى الله، وأن الله -تعالى- حين أمر الملائكة على السجود ولآدم كان يختبرهم، فنجح إبليس حين رفض السجود لآدم، وفشل الملائكة حين سجدوا لغير الله، فكان أول الموحدين، وقد كافأه الله على ذلك فجعله طاووسَ الملائكة، ووكل إليه تدبير الكون، وحساب الناس في الآخرة، وفي رواية أخرى يزعمون: أن إبليس لم يُطرد من الجنة، بل هبط منها لرعاية طائفة اليزيدية في الأرض، وأنه سوف يكون قائدهم يوم القيامة إلى الجنة فيكونون أول الداخلين.

رابعًا: لديهم كتابان مقدسان، هما: **(الجلوة)** الذي يتحدث عن صفات الإله، ثم كتاب **(مصحف رش)**، أو الكتاب الأسود، الذي يتحدث عن خلق الكون وتاريخ الشيطان، وطائفة اليزيدية وعقائدهم.

خامسًا: عندهم وادي لالش- حيث مرقد الشيخ عدي- بقعة مقدسة، وفيها جبل عرفات، وعين زمزم، وهم يقفون يوم العاشر من ذي الحجة في تلك البقعة، وبذلك ينتهي حجهم.

سادسًا: أما صيامهم فثلاثة أيام من كل سنة في شهر ديسمبر، وهو يوافق ميلاد يزيد بن معاوية، ولهم صلاة يؤدونها في منتصف شعبان، ويزعمون أنها تنوب عن صلوات العام كلِّه.

سابعًا: يبلغ تعداد الطائفة عشرين ألفًا ومائة ألف -١٢٠٠٠٠-، وهم ينتشرون في سوريا وتركيا وإيران وروسيا، لكن أكثر من نصفهم يقطنون العراق.

ثامنًا: لهم مكتب رسمي للدعوة إلى ديانتهم، أُسِّسَ سنة تسع وستين وتسعمائة وألف -١٩٦٩-، يقوم عليه الآن رئيس الطائفة الأمير تحسين بن سعد أمير منطقة الشِّيخان.

❁ ❁ ❁

أسباب انتساب هذه الطائفة إلى يزيد:

إن السؤال الذي يفرض نفسه؛ لماذا انتسبت تلك الطائفة إلى يزيد بن معاوية تحديدًا، ولم تنتسب إلى غيره؟ وفي حكام بني أمية من هم أكثر صلاحًا وتقوى من يزيد، إن كان يزيد من الصالحين أصلًا، وإن كانت الأخرى، وهي أن يزيد كان جانحًا إلى الانحلال عن عرى الدين، وكان- كما يوصف- كثير الشراب، غير محافظ على الصلوات، وقد كان هناك من هو أدخل منه في باب العبادة، إذن لماذا انتسبت الفرقة إلى يزيد هذا تحديدًا؟

لعل الأحداث التاريخية تفسر ذلك وتوضحه، والأحداث التاريخية التي نعنيها هي معركة كربلاء التي وقعت في عهد يزيد بن معاوية، وانتهت بمقتل الحسين بن علي وكثير من آل البيت -رضوان الله عليهم أجمعين- وقد ثقل وقع هذه الأحداث على ضمائر الجمهرة من المسلمين، وبخاصة الشيعة، فأخذ الشيعة يُنَدِّدون بيزيد بن معاوية، ويلعنونه ويتهمونه بالفسق، والزندقة، وشرب الخمر، والتفريط في الصلوات، وانثال كثير من المسلمين معهم رثاءً لآل البيت، ومقتًا لما جرى عليهم من تقتيل وتشريد، وظل يزيد هدفًا لسهام اللعن والسب من قِبل الشيعة وغيرهم ممن تعاطف معهم، وظل الأمر على ذلك حتى سقطت دولة بني أمية، وفرَّ الأمراء من البيت الأموي يتوارَون في أطراف الدولة، يحاولون إرجاعَ

الملك الذي سُلِبَ منهم، وجَمْعَ الناس حولهم، ولما كان ذلك لَابُدّ لَهُ من رمز ينادون به، ويلتفون حوله، ويدعون الناس إليه، فأي رمز يختارون؟ إنه «يزيد بن معاوية» وليس أحد غير يزيد أحقَّ بهذا؛ لأن يزيد وحده من بين الأمويين هو الذي استحوذ على مقت الأعداء وكراهيتهم، ونال الكثير من سبهم ولعنهم طوال عهد الأمويين، وبما أن يزيد كان محلَّ كراهية الأعداء ومقتهم، فمن الإنصاف أن يكون هو نفسه محلَّ ودِّ الأولياء وتقديرهم، وأيضًا كإعلان لمشاقة أعداء الأمويين بمعارضتهم كان اختيار يزيد الذي هو محل مقت الأعداء وكراهيتهم؛ ليكون رمزًا تجتمع حوله قلوب الأمويين ومُشَايِعِيهم.

لهذا كله كان اختيار يزيد رمزًا لهذه الحركة الضالة، وعلى قدر ما فعل أعداء الأمويين من حطٍّ لقدر يزيد ولعنِهِ، حاول الأمويون وأنصارهم رفْعَ قدره وإعلاء شأنه، وحيث كانت بدعة القول بالغيبة والرجعة شائعة في هذه الحقبة من الزمان، وبخاصة لدى من تولى عنهم الحكم، ونُزع منهم الملك، فقد رأينا الأمير إبراهيم ابن حرب بن خالد بن يزيد، وهو المؤسس لهذه الطائفة قد اختار يزيد علمًا عليها، ثم خلع عليه هذه الصفات، فزعم أنه لم يمت، وأنه غائب، وأنه السفياني المنتظر، وسيعود فيملأ الأرض عدلًا، ويعيد الملك لبني أمية.

ننتقل بعد ذلك إلى الجانب الأهم بشأن هذه الفِرقة، والجانب الأهم هو استمرار ذلك التيار الضال الذي انتقل مع هذه الفرقة عبر الأجيال، حتى وصل إلى بعض مجتمعاتنا العربية الإسلامية، ونعني به: «عبادة الشيطان» وتعظيمه واتخاذه ندًّا لله -سبحانه وتعالى عما يشركون- ولقد كان الظن أن هذه الضلالة قد وقفت عند هذه الطائفة، وانحصرت فيها، حتى اكْتُشِفَ منذ سنوات قلائل أتباعٌ

لهذه الضلالة في بعض المجتمعات الإسلامية، فقد اكتشف رجال الأمن المصريون هذه الطائفة، وظلوا يراقبون أتباعها في خفية، حتى وضعوا أيديهم على الأماكن التي يزاولون فيها عبادتهم للشيطان، وسجَّلوا الطقوس الغريبة التي كان هؤلاء يزاولونها، والملابس والهيئات التي كانوا يضعونها على أنفسهم، ثم بعد أن جمعوا كل شيء عنهم، وسجَّلوا ذلك بصورهم وأصواتهم، قبضوا عليهم، وأذاعوا هذا عبر وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز، ولقد شاهدناهم والتقينا بهم، وكانت طقوسهم تقوم على فعل كلِّ ما نهى الله عنه مِن شربٍ وفُحشٍ وزنا جماعي، وذبحٍ لبعض الحيوانات الأليفة كالقطط بعد تعذيبها، وأحيانًا حرقها حية، كانوا يتسللون في الساعات الأخيرة من الليل لمزاولة هذه العبادة الشيطانية.

وقد قال بعضهم- في محاضر التحقيق أمام المحقق-: إنه يعبد الشيطان؛ لأن الشيطان هو الوحيد الذي جرؤ على معارضة الله، ولأن الشيطان أقوى من الله حيث استطاع الشيطان أن يجتذب الناس جميعًا فاتبعوه بينما عجز الله عن اجتذاب الناس حتى صار أتباعه قِلَّةً لا تُذكر، فالناس جميعًا ما بين كافرٍ بالله وعاصٍ، أما المخلصون الأتقياء الذين استجابوا لله فقلَّةٌ قليلة.

وذكروا- أيضًا- أن الشطيان يقدم لهم متع الحياة الدنيا وشهواتها عاجلةً حالَّةً، ولا يطلب منهم ترك المتع العاجلة، في مقابلِ ثواب آجلٍ قد لا يتحقق.

هذه كانت حجج عبدة الشيطان، وهي حجج أملاها الشيطان على ألسنة أتباعه الذين قال الله فيهم:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠].

أصناف الكافرين:

مرَّ بنا عبر ما عرضنا أنواعٌ من الشرك والإلحاد، وأصناف من المشركين والملحدين، مِن هؤلاء: مَن يتوجهون بعبادتهم إلى العقل العاشر الذي يزعمون أنه يسكن فلك القمر، وأنه هو الذي يدبر أمر الوجود الأرضي كله، ويسمى **(العقل العاشر)**، أو **(العقل الفعال)**، وهؤلاء هم الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام ومن جرى مجراهم.

ومن هؤلاء: من يتوجه بالعبادة إلى إله حل في جميع الموجودات، بل هو والموجودات كلها شيء واحد، وهؤلاء هم أصحاب وحدة الوجود، وكان آخر مَن تحدثنا عنهم من أولئك الملاحدة الزنادقة، الذين يعبدون الشيطان الرجيم، زاعمين- أخزاهم الله- أن الله قد وكل إلى الشيطان تدبير الكون، ووكل إليه كذلك حساب الناس يوم القيامة، وأن الشيطان سَيُدخِل من يشاء إلى الجنة، ومن يشاء إلى النار - تعالى الله عما يفترى الظالمون-.

أما هذه الطائفة الأخيرة عبدة الشيطان، فلعلها أسوأها جميعًا، وأكثرها ولوغًا في الضلال، ولعلنا نذكر بعض الحقائق الهامة عنها إكمالًا لمعرفتها والحذر منها:

أولًا: هذه الطائفة أخذت عقائدها عن عدد كبير من الديانات والنحل والمذاهب الضالة، فقد أخذت عن التصوف البدعي، وعن المجوسية، والزرادشتية، وعبدة الأوثان، ومظاهر الطبيعة، وقد أضافت إلى ضلال هؤلاء جميعًا ما يُزري بضلالهم، ونعني عبادتهم الشيطان.

ثانيًا: يأخذون عن النصرانية عقائد كثيرة وشعائر متعددة، منها: **(التعميد)**،

و(العشاء الرباني) وغير ذلك، لكنهم أضافوا إلى ذلك ما لم يُعرَف عن نحلة سابقة وهي: عبادة الشيطان، وتقديسه، والتقرب إليه بفعل جميع ما نهى الله عنه.

ثالثًا: يصل عدد هؤلاء إلى قريب من خمسين ألفًا ومائة ألف، أكثر من نصفهم بالعراق، والباقون موزعون بين تركيا وروسيا وإيران ودول أخرى.

رابعًا: هؤلاء لا يقفون بعقائدهم وطقوسهم عند حد معين، فهم دائمًا يخترعون طقوسًا وعقائدَ جديدة، وكل جديد هو أَدخَلُ في الضلال مِن سابقه.

خامسًا: هؤلاء الكفرة الفجرة من (**عبدة الشيطان**)- الذين ضُبطوا بمصر، ولهم أشباه في كثير من البلاد الإسلامية، هؤلاء- ليست لهم صلة وثيقة باليزيدية أتباع الشيخ عدي بن مسافر؛ لأن هؤلاء لهم أصول وتعاليم يتبعونها ويجتمعون عليها. أما أولئك الفسقة الجدد فليست لهم أسس، ولا تجمعهم جامعة سوى الانحلال عن عرى الأخلاق والدين، بل والإنسانية.

القرآنيون

نتعرف في هذا المبحث على تيار من التيارات التي يتدثر أصحابها بعباءة الإسلام، ويصطنعون الدعوة إليه، والحرص عليه، والإخلاص لله ورسوله، والعمل على وحدة الأمة المسلمة، وواقع أمر هؤلاء أنهم يعملون على نقيض دعاواهم هذه، فهم يعملون على هدم الإسلام، ونقض قواعده، وتفريق أمته، وتشتيت كلمته، فهم أعداء الله وأعداء رسوله، وأعداء المسلمين، بل إن هذه الفئة أشد الأعداء خطرًا على الإسلام والمسلمين؛ ذلكم أن أعداء الإسلام نوعان: نوع أعلن عداءه للإسلام في وضوح، ونابذ المسلمين بجلاء، من أمثال الصليبين والشيوعيين والعلمانيين وغيرهم، وهؤلاء ضررهم قليل، وخطرهم محدود؛ لأن عداءهم معلن، وكفرهم سافر، فالمسلمون من فتنهم على حذر، ومن مكرهم وكيدهم على ترقب وتوجس، أما النوع الثاني من الأعداء: فهؤلاء المنافقون الذين يُظهرون غير ما يبطنون، والذين يصطنعون الحرص على الإسلام، والغيرة على الدين، ويزعمون أنهم ينطلقون بدعاواهم من منطلق الحب لله ورسوله والمؤمنين، وبينما يعلنون ذلك، يسعون لتحقيق أغراضهم الخبيثة من محاولات القضاء على الإسلام عن طريق التشكيك في مصادره الموحَى بها من عند الله – تعالى–، وبخاصة السنة النبوية المطهرة، وهؤلاء الذين نتحدث عنهم هم من هذا النوع الثاني، أي: من المنافقين الذين يتزَيَّون بزي الإسلام، ويزعمون العمل على

تنقية الإسلام مما لحق به من تحريفات وأضاليل- فيما يزعمون- وهم في واقع أمرهم يعملون على نقض عرى الإسلام ومحاولة القضاء عليه.

وإخالك- قارئي الكريم- قد عرفتَ هذا التيار مِن وصفِنا أصحابَهُ والدَّاعين إليه، إنهم منكرو سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الجاحدين منزلَتَها من التشريع، الرافضين حجيَّتَها، الزاعمين- أخزاهم الله- أنها كلام مثل كلام أي إنسانٍ آخَرَ، لا صلة لها بالدين من قريب، أو من بعيد، وعلى كثرة الأمور العجيبة والغريبة لدى هؤلاء الطغمة من الناس؛ فإن من أشد أمورهم إثارةً للعجب ذلك الاسم الذي اختاروه لأنفسهم حيث أسموا أنفسهم: **(القرآنيين)** نسبة إلى القرآن المجيد، وكأنهم أرادوا بهذه التسمية أمرين:

الأمر الأول: أن ينسبوا أنفسهم إلى كتاب الله المجيد القرآن.

والأمر الثاني: أن يوهموا الناس بأن الأمة المسلمة ليست قرآنية، بمعنى: أنها انصرفت عن القرآن إلى سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأن الاستمساك بالسنة رفض للقرآن.

وحديثنا عن هؤلاء سيتناول تعريفًا موجزًا بمذهبهم الضال، ثم باسمهم الذي اختاروه لأنفسهم، ثم بتاريخ ظهور هذه الطائفة، أو الطوائف، ثم شيئًا من غثائهم وشغبهم على السنة النبوية المطهرة، هذا الغثاء الذين أسموه: **(شبهات ضد السنة)**، ثم نبين موقف الإسلام منهم، وما يجب على المسلمين تجاه هؤلاء الضالين المضلين.

أما عن التعريف بهذه الطائفة ومذهبها الضال؛ فهم جماعة تربوا على أيدي المستعمرين الإنجليز في شبه القارة الهندية أيام كان الإنجليز يستعمرون الهند، وللإنجليز في الهند وقتذاك أنشطة لا تكاد تحصى ضد الإسلام والمسلمين، ولكن

الإنجليز تميزوا في عدائهم للإسلام والمسلمين بخطة معينة أحكموها وبرعوا فيها، نعني بتلك الخطة: استقطابهم لأشخاص معينين، وإغراءهم هؤلاء الأشخاص بالمال والمناصب، وتجنيدهم للعمل ضد الإسلام والمسلمين، وكانت خطة هؤلاء العملاء الذين يجندهم الإنجليز واحدة، حيث يتظاهرون بالإسلام، والحرص عليه والدعوة إليه، ثم تحت هذه الدعاوى ينفذون خطتهم ضد الإسلام والمسلمين، من هؤلاء- على سبيل المثال-: (ميرزا غلام أحمد القادياني) مؤسس النحلة القاديانية، ومن هؤلاء: السيد أحمد خان وغيرهم كثير.

وعلى نفس الخطة والنهج كانت هذه الفئة التي نشأت ببلاد الهند متأثرة بالاتجاه المشبوه للسير (أحمد خان) الذي قضى حياته في خدمة الإنجليز، ثم قبل أن يموت أعد هؤلاء، أو بعضهم ليؤدوا دوره في إثارة الشبهات ضد الإسلام، ومحاولة نقضه، ومن ثم كانت هذه الفئة التي أسمت نفسها: (القرآنيين)، وزعمت الحرص على الإسلام، والعمل على وحدة الأمة، وكانت دعوتها تقوم على أمر واحد، هو طرح السنة النبوية، وإسقاطها من مصادر التشريع الإسلامي، واعتبار كلام رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مثل كلام الناس جميعًا، لا صلة له بالدين، ولا منزلة له من التشريع، وقد انقسم هؤلاء إلى فريقين:

الفريق الأول: رفض سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بجملتها، سواء ما كان منها قولًا، أو فعلًا، أو تقريرًا فهؤلاء طرحوا سنة رسول الله جميعها، حتى ما كان منها عملًا، ومن ثم فقد ترتب على ذلك: أنْ أنكر هؤلاء جملة من عقائد الإسلام، فقد أنكروا استواء الله -تعالى-، على عرشه، وأنكروا خرق العادة لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أي: أنكروا المعجزات جميعها، وأنكروا عصمة النبي -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وجوزوا أن يرتكب الكبائر بأنواعها- عياذًا بالله- وأنكروا ختم النبوة بمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وغير ذلك كثير؛ ولأنهم أنكروا السنة العملية لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد انطلقوا يخترعون صلاة لا يعرفها المسلمون.

فالصلوات- عندهم- أخزاهم الله- ثلاث، وركعتان فقط لكل صلاة وسجدة واحدة لكل ركعة، إلى غير ذلك مما قد يأتي تفصيله، وليس بمستغرب أن يضلوا في الصلاة، وسائر العبادات، وأحكام الدين؛ فإنهم قد أنكروا عمل رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فمن أين لهم بعدد الصلوات، وعدد ركعات كل صلاة، وهيئاتها وأحكامها وأوقاتها... إلى غير ذلك، ومثل ذلك في كل أركان الدين وأحكام الإسلام، هذا عن الفريق الأول المغرق في الضلالة.

أما الفريق الثاني: فقد اكتفى من الضلال بإنكار السنة القولية لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد ترتب على ذلك أن أنكر الكثير من العقائد؛ كنزول المسيح -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وحساب القبر، وعلامات الساعة، كما هدم جانبًا كبيرًا من شرع الله -تعالى-، فهؤلاء وأولئك هم الذين يسمون أنفسهم: (قرآنيين)- زورًا وبهتانًا- والقرآن منهم برئ.

أسس المذهب:

إن مما ينبغي أن نُعنَى بدراسته: هو الأسس الذي قام عليها هذا التيار الضال الذي أتت به تلكم الطائفة، ودعت إليه، ثم عن اسمها الذي اختارته لنفسها مكرًا وخبثًا، وزورًا وبهتانًا، ثم عن شيء من غثائهم الذي أسموه: شبهات ضد سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم عن موقف المسلمين من هذا التيار ومن الداعين إليه.

أما عن مذهب هذه الطائفة فقد تحدثنا عنه، وبيَّنا أن التيار الذي يدعون إليه يقوم على إنكارِهِم سنةَ رسولِ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وإنكارِهِم حجِّيَّتَها، ورفضِهِم اعتبارَ السنةِ المصدرَ الثاني للتشريع الإسلامي، واعتبارهم كلامَ رسولِ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفِعْلَهُ مثل كلام أي إنسانٍ آخَرَ وفعله، لا صلة له بالإسلام- من قريب أو من بعيد- وبيَّنا أنهم برفضهم السنةَ- قولًا وفعلًا- قد فقدوا المصدرَ المبين والمفصِّلَ لدين الله -تعالى-، ومن ثم فقد أخذوا يخبطون خبط عمياء، فاخترعوا في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

إن أول ما يصطدم به المسلمون في مكر هذه الطائفة وخبثها هو الاسم الذي اختاروه لأنفسهم، حيث سموا أنفسهم: (القرآنيين) فنسبوا أنفسهم إلى كتاب الله المجيد القرآن- زورًا وبهتانًا- وذلك إيهامًا للناس بأنهم ملتزِمون بالقرآن، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخَرَ يشيرون من طَرْفٍ خفي إلى أن مَن عداهم من المسلمين الذين يؤمنون بسنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليسوا قرآنيين، وأنهم اشتغلوا بالسنة وتركوا القرآن- أيضًا- حتى يجنبوا أنفسهم المؤاخذةَ، ويقطعوا سبل الاعتراض عليهم من المسلمين؛ لأنه من ذا الذي يعترض على طائفة أعلنت أنها تنتسب إلى القرآن وتستمسك به؟

وبذلك يُلَبِّسون على الناس، بينما واقعُ أمرِهِم أنهم أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين، ومن قبل ذلك ومن بعده هم أعداء القرآن الذي ينتسبون إليه، وإنه لعزيز على المسلم كثيرًا، ومؤلم له أكثرُ أن تنتسبَ هذه الطائفة إلى القرآن، وأن ينتسبَ أعداء الله ورسوله إلى القرآن، ووالذي نفوسُ العبادِ بيده لو أ ن ثمة أعداء

للقرآن، أعداء لمنزله -سبحانه-، أعداء لرسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أعداء للمؤمنين بالقرآن العالِمين به، لكانت هذه الطائفة هي الجامعة لهذه العداوات جميعها، وإن أولى الأسماء بهذه الطائفة، وأصدق الصفات التي تنطبق عليها هي: **(اللاقرآنيون)**، أو **(أعداء القرآن)**، أو **(أعداء القرآنيين)**؛ ذلكم أن الذي يرفض سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما أمر ونهى، وفيما وجَّه وأرشد، وفيما عمل، أو أقرَّ، إنما يخلع طاعة الله -تعالى-؛ فإن طاعة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هي من طاعة الله -تعالى-، وإن مَن فرَّق بين طاعة الله -تعالى- فيما أمر ونهى في كتابه القرآن، وطاعة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما أمر نهى في سنته، هو عدو لله ولرسوله، وإنه لعدو للقرآن في نفس اللحظة التي صار فيها عدوًّا للسنة، وإن من يطرح السنة هو في ذات الوقت رافض للقرآن- مهما زعم لنفسه من أسماء، واتخذ من شعارات، وأحاط نفسه بدعاوى كاذبة.

إن القرآن المجيد قد أمر بطاعة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في آيات كثيرة، وبصيغ عديدة من ذلك ما هو قاعدة عامة وشاملة لرسل الله أجمعين -صلوات الله عليهم- وخاتمهم محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وذلك قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [النساء: ٦٤].

فثمرة إرسال الرسل جميعًا أن يُطاعوا، وطاعتهم إنما هي بإذن الله -سبحانه- وأمره، فالشاغب عليهم، التارك لسنتهم إنما هو محارب لله ناقِض لإذنه وأمره.

ومن ذلك: ما هو قاعدة لرسولنا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شاملة لكل ما يأخذ وما يدع، وما يأمر وما ينهى، وذلك قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

ومن ذلك: ما جاء فيه الأمر بطاعة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مقرونًا بطاعة الله -سبحانه وتعالى- مع تكرار فعل الطاعة، وذلك مثل قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣].

ومن ذلك ما جاء فيه الأمر بطاعة رسول الله مقرونا بطاعة الله دون تكرار فعل أطيعوا مما يدل بشكل قاطع على أن طاعة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هي من طاعة الله -سبحانه-، وأنه لا يحل التفريق بين طاعة الله، وطاعة رسوله، ومن ذلك: قول الله -تعالى-:

﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

ومن ذلك: ما جاء فيه الأمر بطاعة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ابتداءً، دون أن يسبقها الأمر بطاعة الله -سبحانه-؛ وذلك لبيان أن طاعة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هي في نفس الوقت طاعة لله -سبحانه-، من ذلك: قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-:

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦].

هذا كلام الله -سبحانه-، وهذه آيات القرآن المجيد توضح في نصوص قاطعة، وبيان ناصع أمرين هامين:

الأمر الأول: وجوب طاعة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كل ما يأمر وما ينهى.

الأمر الثاني: أن كل من رفض السنة الشريفة، وشغب عليها هو مخالف لله، تعالى كافر بكتابه القرآن، وما نحسب هؤلاء يجهلون ذلك، ولكن العلة ليست في

القرآن، أو السنة، ولكنها في قلوبهم التي طبع الله عليها، فلا تفقه، ولا تعقل، فهم كما قال الله -تعالى-:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

❁ ❁ ❁

منكرو السنة عبر التاريخ:

إن تاريخ منكري سنة محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قديم قدم تاريخ منكري رسالته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فالكفر بسنته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو قرين الكفر برسالته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فهما أمران متقاربان زمانًا، متساوقان منزلةً، ويكادان أن يكونا متماثلين حكمًا، ولا يختلفان إلا باعتبار أن ثمة كفرًا دون كفر، وإلا فهذا كفر، وذاك كفر، وقد بدأت مسيرة الكفر بسنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإنكارها على أيدي الخوارج والشيعة، فكلتا الطائفتين اشتركتا في الشغب على سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإنكارها، وقد كان السبب الذي استندت إليه الطائفتان في رفضهما سنةَ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو الطعن في رواتها من صحابة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، و-رضي الله عنهم أجمعين-، ومن المعلوم: أن سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنما وصلت إلى الأمة جميعها من خلال الصحابة -رضوان الله عليهم- فهي الطبقة المعاصرة لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زمانًا، المطلعة على أحواله قولًا وفعلًا، الحريصة على أن تحفظ عنه كل حركة وسكنة، وأن تنقل عنه كل لفظة وسكتة، الأمينة في وصف أحواله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، صغيرها وكبيرها،

والصحابة -رضوان الله عليهم- هم الذين نقلوا إلينا كافة أحوال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لم يخرموا منها شيئًا، حتى صرنا بفضلهم - رضوان الله عليهم- كأننا نعايشه في كافة أحواله، ونرى كافة هيئاته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومن ثم فالصحابة -رضوان الله عليهم- هم الذين نقلوا إلينا الدين عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فإذا جاء من يرفض الأخذ عن هؤلاء الهداة المهتدين صحابة رسول الله مستندًا إلى ما يزعمه من أنهم ليسوا عدولًا؛ فعمَّن سيأخذ دينه؟! وأنى له أن يعرف شرائع الإسلام؟! ومن أين سيستقي أحكام الدين في الصلاة وهيآتها؟! والزكاة ومقاديرها؟! والصيام وأحكامه؟! والحج ومناسكه؟! ثم من أين له أن يعرف ما يحل وما يحرم، وما يأخذ وما يدع من كافة شئون الحياة، إن القرآن المجيد قد اشتمل الدين مجملًا في الكثير من جوانبه وأحكامه، ثم جاءت السنة ففصَّلت المجمل وبينته، وقد ورد في القرآن الأمر بالصلاة، والأمر بالزكاة، والأمر بالصيام، وكذلك الحج، ولم يَرِدْ في القرآن أحكام هذه العبادات الفرعية، وتفصيلات أدائها، لم يَرِدْ في القرآن عدد الصلوات، وعدد ركعات كل صلاة، وأوقاتها وأركانها وسننها... إلى غير ذلك من أحكام لا يمكن أن تقام الصلاة بدونها، ومثل ذلك يقال في الزكاة والصيام والحج، وسائر أركان الدين، والسنة هي التي فصلت لنا كل ذلك وبينته، فإذا جاء من يرفض السنة لعلة في قلبه، أو خَلَلٍ في عقله، أو دَخَلٍ في دينه، أو لهذه كلها مجتمعة؛ فهذا وأمثاله كيف يقيمون دينهم؟ وكيف يؤدون عباداتهم؟

لقد مرَّ بنا فيما سبق أن بعض هؤلاء اجتهد فجعل الصلواتِ صلاتين اثنتين

في اليوم والليلة، وجعل كل صلاة ركعتين، وجعل في كل ركعة سجدة واحدة، وكذلك فعل في أركان الدين وفرائضه، وإذا كانوا قد فعلوا ذلك في الصلاة، وهي عماد الدين؛ فما بالنا ببقية أركان الدين؟ وبديهي أن نقول: إن الدين- عندهم- قائم على حكمين اثنين: فرض، وحرام، وليس ثمة سنن في الدين، لا في الصلاة ولا في الصيام، ولا في غير ذلك، وهذا دينهم الذي افتروه على الله، وليس هو دين الله الإسلام الذي رضيه للناس، وليست تلك شرائعه التي أنزلها على الناس، إن الخوارج طعنوا في عدالة الصحابة -رضوان الله عليهم- بعد واقعة التحكيم الشهيرة، أثناء الحرب بين علي ومعاوية، -رضي الله عن الجميع- وبسبب واقعة التحكيم طعن الخوارج في الصحابة، فمنهم: مَن فسَّقهم، ومنهم: من كفَّرهم -رضوان الله- على أصحاب رسول الله الذين مات -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو عنهم راضٍ- وبسبب ذلك رفض الخوارج سنةَ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأنها جاءتهم عن هؤلاء الأصحاب، أما الشيعة، فقد طعنوا في عدالة الصحابة -رضي الله عليهم- لأنهم بايعوا أبا بكر خليفة بعد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولم يبايعوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والشيعة منهم معتدلٌ، ومنهم غالٍ، فالمعتدلون فسقوا الصحابة والغالون كفروهم- عياذًا بالله- ولم يستثنِ الشيعة من صحابة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سوى بضعةَ عشرَ صحابيًّا، إن مسيرة الضلال التي قامت على إنكار سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بدأت بالخوارج والشيعة، ثم استمرت عبر العصور المختلفة حتى وصلت إلى عصرنا متمثلةً في طوائف كثيرة، أشهرها في الهند: تلك الطائفة التي أسمت نفسَهَا: (القرآنيين)، ثم تمخضت تلك الحركة عن

طائفة أخرى تنتشر في باكستان تسمى: (**البرويزيين**) وهم أتباع (غلام أحمد برويز) وقد جاءت تسميتهم نسبة إليه، ولهم نفس الطابع والأهداف.

وهؤلاء المنكرون للسنة أنواع؛ منهم: من ينكر السنة جملة، ومنهم: من ينكر السنة القولية، ويقر بالسنة الفعلية، وأخفُّ هؤلاء من ينكر خبر الواحد من المعتزلة، ومن جرى مجراهم، أما موقف الإسلام من هؤلاء جميعًا، فلكل منهم حظه من هذه الجريمة، وكل منهم يحمل من الوزر على قدر جرمه، وواجب المسلم تجاه هؤلاء أن يرفضهم جملة، وأفضل الصور المعبرة عن رفض المسلم لهؤلاء إنما هو التمسك بسنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والحرص عليها، والعمل بها، وإعلاء شأنها، والنصح فيها، رزقنا الله -تعالى- وإياكم التمسك بالسنة، والبعد عن البدعة إنه سميع قريب.

الاتجاه الفلسفي

نعرض في هذا المبحث لطائفة الفلاسفة وآثار هذا التيار الوافد على الأمة المسلمة:

لقد ورد في الصحيح أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رأى أحد أصحابه -رضوان الله عليهم- ينظر في رقٍّ بيده يقرأ ما فيه، ولما سأله الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عما يقرأ، قال له الصحابي: إنه شيء من توراة يهود، غضب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ونهى أصحابه أن يقرأوا شيئًا من كتب السابقين (فعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا فإنكم إما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني»[1].

هذه الواقعة كان فيها توجيهٌ كافٍ للأمة المسلمة أن تبذل همتها في الدراسة والبحث حول كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وألا تشتغل بما عدا ذلك من الكتب التي تتحدث عن أديان وفلسفات الأمم الأخرى؛ لأن أمثال هذه الكتب وما يتصل بها من علوم، إنما هو باب واسع من أبواب الفتن، وتيار خطير من تيارات الفساد والضلال.

ولو وعت الأمةُ ذلك الدرسَ عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم وعت- إلى

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند رقم (١٤٦٧٢).

جانب ذلك- قول الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[1]، ما أقدم أحد من الأمة على ترجمة أديان وفلسفات الأمم الأخرى، أو الاشتغال بها، فضلًا عن نشرها والترغيب في قراءتها.

لكن لأمر قضاه الله -سبحانه- اتجه أفراد من الأمة إلى الاطلاع على أديان وفلسفات اليونان، ثم قاموا بترجمة هذه الفلسفات والمذاهب اليونانية إلى العربية، فيما سمي بعد ذلك بحركة الترجمة.

ولقد كانت حركة الترجمة هذه من الأسباب الرئيسية في وفود التيارات الضالة على الأمة.

وحينما تُرجمت فلسفات اليونان أقبل عليها جماعة، ولَّوا وجوههم وقلوبهم وعقولهم شطر تلك الفلسفات الوثنية الكافرة، التي وردت عن فلاسفة الإغريق الوثنيين، وفتنوا بها إلى حد أن استبدلوها بدين الله -تعالى-.

وكان من أشهر هذه الفئات: تلك الطائفة التي وُسِمَتْ باسم: «**الفلاسفة الإسلاميين**»- والإسلام وأهله منهم براء- ولو أن هؤلاء الذين فُتنوا بفلسفة اليونان أعلنوا التزامهم تلك الفلسفة، وانصرافهم عن الإسلام، لعرفهم الناس على حقيقتهم، فاتقوا شرورهم، وحذروا فتنهم، لكنهم زعموا لأنفسهم الإسلام زورًا وبهتانًا، ثم خرجوا على الناس بشرِّ أمرٍ سمع به المسلمون وقتذاك، نعني بذلك: فريتهم التي أطلقوا عليها: «**التوفيق بين الدين والفلسفة**»، وتلك كانت

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ١٦١).

من أشنع أكاذيبهم، وأفظع فِرَاهُم وأضاليلهم.

وما الظن بقوم يزعمون التوفيق بين فكر بشري وثني لا يفرز إلا ضلالًا وكفرًا، ولا يورث إلا بهتانًا وإثمًا، وبين وحي إلهي سام معصوم هو أصل الإيمان والإسلام، ومنبع الهدى والنور والرشاد.

ولأن الضلال لا يؤدي إلا إلى ضلال أشد منه؛ فقد انقلب هؤلاء من ضلالة ما زعموا من التوفيق بين الدين والفلسفة، إلى ما هو أدخل في الضلال والفساد، حيث زعموا أن الشرع الشريف له ظاهر وله باطن، وأن الظاهر هو للأنبياء والرسل وعوام الناس، وأما الباطن الذي هو المقصد الحقيقي للشرع الشريف- فيما يزعمون- فلا يعرفه إلا الفلاسفة.

وقد زعموا- أخزاهم الله- أن فلسفة يونان هي مقياس الحق، وميزان الصواب، فما وافقها من القرآن والسنة فهو صواب؛ لأنه وافقها، ويبقونه على حاله، وما خالفها وجب تأويله حتى يتفق معها.

ولا يَهُولَنَّكم الأمرُ، فهؤلاء الفلاسفة لم يُنسبوا إلى الإسلام إلا بمقتضى الولادة، فهم وُلدوا مسلمين، لكنهم حين اطلعوا على فلسفة اليونان أسلموا إليها قياد قلوبهم وعقولهم، فالفلسفة اليونانية هي اختيارهم الحقيقي، وهي هواهم الذي ألهوه وعبدوه من دون الله، فهم ممن قال الله -ﷻ- فيهم:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ولقد كان من آثار هذا التيار الوافد على الأمة المسلمة إضافة إلى التيار الذي

أشرنا إليه قبل ذلك أمور كثيرة أهمها:

أولًا: تفرُّقُ الأمة إلى طوائف وأحزاب.

ثانيًا: وجود طائفة الفلاسفة الذين انتسبوا إلى الإسلام زورًا وبهتانًا.

ثالثًا: وجود الفرق الكلامية التي تأثرت بالتيار الوافد والفكر المترجم في قليل أو في كثير من آرائها الكلامية.

رابعًا: كان من لطف الله -سبحانه- بالأمة المسلمة: أن قام فريق من العلماء العاملين المجاهدين الذين نذروا أنفسهم للقضاء على التيار الوافد، ببيان ضلالاته وكفرياته، والرد على مزاعمه، وتحذير الأمة من مفاسده، وكان على رأس هذا الفريق شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، الذي جاهد، وأوذي في سبيل محاربة هذه التيارات والبدع الفاسدة، وكان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مثلًا احتذاه قَبيلٌ ممن ساروا على خطاه، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

ضلالات الاتجاهات الفلسفية

بيَّنا في المبحث السابق أمهات التيارات الضالة التي وفدت على المسلمين من البيئات غير الإسلامية، وذكرنا من هذه الأمهات الفلسفة اليونانية الوثنية التي تُرجمت إلى العربية، والتي أقبل عليها طائفة من المتفلسفة الذين ولوا وجوههم وعقولهم وقلوبهم شطر تلك الفلسفة الوثنية الكافرة، وفتنوا بها إلى حد أن استبدلوها بالكتاب والسنة وبدين الله جملةً.

وفي هذا المبحث سنشير إلى أهم التيارات التي نشأت عن الفلسفة والفلاسفة مبينين موقعها من الإسلام- بحول الله -تعالى-.

إن ضلالات الاتجاه الفلسفي والمشتغلين به قد شملت كل قضايا الدين، وقواعد الملة، شملت الإيمان بالله -تعالى- وصفاته وأسماءه، كما شملت قضايا النبوة، والوحي، والملائكة، واليوم الآخر، وما فيه من البعث والنشر والحشر والجنة والنار وغيرها، مما ورد به الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة، وسنقف هنا على عقيدتهم في الله -سبحانه- وأسمائه وصفاته -سبحانه الله وتعالى عما يصفون-.

إن الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام يزعمون أنهم يؤمنون بالله -تعالى-، ولكن ما ذلك الإله الذي يؤمنون به؟ وما صفاته وأسماؤه؟ وما صلته بهذا الوجود؟

إنهم يؤمنون بالله -تعالى- كعلةٍ صدر عنها هذا الوجود، فالوجود كله بسمائه وأرضه وما فيهما قد صدر عن الله صدورَ المعلول عن علته، كما تصدر الحرارة عن

النار، وكما يصدر الضوء عن الشمس، فالله -تعالى- عند هؤلاء لم يخلق العالم ولم يبدعه ولم يتقنه، فليس ثمة خلق ولا إبداع، ولا إتقان ولا حكمة، بل إنه ليس هناك علم ولا إرادة ولا قدرة؛ لأن من قواعدهم أن المعلول يصدر عن علته صدورًا آليًّا، دون علم ولا إرادة ولا قدرة، فالحرارة تصدر عن النار دون علم من النار، أو إرادة، أو حكمة، وكذلك الضياء يصدر عن الشمس، دون أن يكون للشمس إرادة، أو علم، ودون أن يكون لديها قدرة على إمساك الضياء الصادر عنها، أو إطلاقه، فكذلك الله -سبحانه- لدى هؤلاء الفلاسفة ومن تبعهم، صدر عنه الوجود دون علم، أو إرادة، أو قدرة، أو حكمة- تعالى الله عما يفترون- ولقد كان هؤلاء الفلاسفة واضحين في ذلك، حيث أطلقوا على عقيدتهم تلك: «**نظرية الصدور**»، وأحيانًا يسمونها: «**نظرية الفيض**»، وهم يعنون بذلك نفي قضية الخلق والإبداع؛ لأن العالم- عندهم- صدر وفاض عن الله -تعالى- كما تصدر الحرارة عن النار، وكما يفيض الضوء عن الشمس، دون شعور، أو إدراك لكل من النار، أو الشمس بما يصدر عنها- سبحان الله وتعالى عما يصفون-.

إن خلاصة عقيدة الفلاسفة في الله- تعالى عما يعتقدون- تجمعها قاعدتهم التي يصفون الله -تعالى- فيها، فيقولون: (**إن الله عقل وعاقل ومعقول**)، فهذه العبارة- عندهم- هي جماع صفات الله -تعالى-، وهي فيصل عقيدتهم فيه -سبحانه-.

وهم يقصدون بكون الله -تعالى- عقلًا، أنه -سبحانه-: (مجرد عن المادة والزمان والمكان والجهات والأوضاع)، وإذا كان الله -تعالى- عندهم- عقلًا وعاقلًا، فماذا يعقل؟ أو ماذا يعلم؟ إنهم يقولون: إنه تعالى لا يعقل إلا ذاته فقط، وهذا معنى قولهم: إن الله -تعالى- هو المعقول، أي: أنه هو المعقول والمعلوم

لذاته، فلا يعقل ولا يعلم شيئًا سوى ذاته؛ لأن ذاته كمال مطلق، وما سواه من الوجود ناقص، وهو منزه عن النقص، ومن ثم فلا يعلم شيئًا عن هذا العالم، حتى لا يتصل به شيء من النقص، ويتحقق له الكمال المطلق، فهم حسب قاعدتهم تلك: يقرِّرون أن الله -تعالى- لا يعلم شيئًا عن هذا الوجود، لا قليلًا ولا كثيرًا؛ ولأن هذه القاعدة مصادمة للإسلام، فقد حاول الفلاسفة- وبخاصة ابن سينا وابن رشد- أن يخففوا من نتائجها، فقالوا: إن الله يعلم الأشياء والأنواع بعلم كلي، ومعنى ذلك- عندهم-: أن علم الله -تعالى- بالوجود منزه عن الزمان والمكان والأشخاص والأحداث، وهذا يعني: أن الله -سبحانه- يعلم وجود نوع البشر، وأنه سيكون من البشر أنبياء ورسل، وسيكون من البشر مؤمن وكافر، لكن من هم أفراد الأنبياء، وأشخاص الرسل؟ ومن هم المؤمنون والكافرون؟ وفي أي زمان ومكان سيكون الأنبياء والرسل؟ وهل بُعث موسى وعيسى ومحمد، أو لم يبعثوا بعد؟ ومَن مِن الناس آمن بهم ومَن كفر؟ إنهم يقررون أن هذا كله لا يدخل في علم الله -سبحانه-؛ لأن هذه أمور ترتبط بالأزمنة والأمكنة والأشخاص والأوضاع-.

وعلم الله- عندهم- منزه عن كل ذلك؛ لأنه علم كلي شمولي لا صلة له بالأشخاص، أو الجزئيات- تعالى الله عما يفتري الظالمون.

كانت هذه رحلة ذهنية شاقة على المؤمن، تلك التي قضيناها في دراسة عقيدة الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام زورًا وبهتانًا، لكنها كانت ضرورية لفهم عقائد القوم التي تختفي حينًا، ثم تظهر أحيانًا تحت عقائد ومذاهب مختلفة.

ومن عجيب أن الكثيرين ينظرون إلى هؤلاء الفلاسفة على أنهم مصدر الفخر والعزة للإسلام والمسلمين، لما خلفوه من آثار في الطب والرياضيات وغيرها، ولكن الناس يغفلون عن حقيقة هامة، وهي أن هذه العلوم الطَّبِعيَّة لا صلة لها بالدين، فقد يبرع فيها الكافر والمؤمن، وقد يسبق الكافر المؤمن في هذه العلوم، فالبراعة فيها لا تدل على صدق العقيدة، والدليل على ذلك هؤلاء الفلاسفة أنفسهم حيث برعوا فيها، بينما عقيدتهم فاسدة.

ولعلنا نلخص نتائج تلك الرحلة فيما يلي:

أولًا: أن الفلاسفة استقوا عقائدهم هذه من فلاسفة اليونان، وبخاصة أرسطو، وأضافوا إليها ما ظنوه ملائمًا للإسلام، وهيهات أن يجتمع النور والظلام، أو الهدى والضلال.

ثانيًا: لا يحتاج الأمر إلى كبير جهد كي نقرر أن عقائد القوم لا صلة لها بالإسلام من قريب، أو بعيد، وأنها مصادمة للكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أيها القارئ الكريم:

فما يزال الحديث موصولًا عن التيارات التي وفدت على الأمة المسلمة عن طريق الفلاسفة وقد ذكرنا عقيدتهم في الله -تعالى- وصفاته وأسمائه وأفعاله، ونبين -بحوله- تعالى- فيما يلي عقيدتهم في النبوة والوحي.

والمدخل إلى الحديث عن عقيدة الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام في النبوة والوحي، هو تذكير بالأصول العقدية التي تتصل بالنبوة والوحي في الإسلام فمن أصول الدين: أن النبوة اصطفاء من الله -تعالى- لمن يشاء من عباده، وأن

النبوة لا تُنال بالكسب، أو الجد، أو الاجتهاد، فلا يستطيع إنسان ما أن يجعل مِنْ نفسه نبيًّا بجده واجتهاده، وفي ذلك يقول الله -تعالى-:

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ويقول -سبحانه-:

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

من أصول الدين كذلك: أن النبوة والرسالة ختمت بمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فبرسالته ختمت الرسالات، وبه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ختم النبيون والمرسلون، فمن ادعى النبوة بعد محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فهو كافر فاجر، ومن أصول الدين- أيضًا-: أن الأنبياء والرسل إنما يبلغون إلى الناس ما يوحي به الله -تعالى- إليهم، فهم لا يأتون بشيء عن هواهم، وليس لهم إلا الإنذار، يقول الله -تعالى- لرسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]، ويقول الله -تعالى- عن رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣- ٤].

هذه أمور معلومة من ديننا ضرورةً، بيناها لا لخفائها- ونعوذ بالله أن تخفى على مسلم- ولكن لنقيس عليها عقائد الفلاسفة في الأمور الثلاثة التي أشرنا إليها، نعني: النبوة، وختمها بمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم وحي الله -تعالى- المنزل على أنبيائه، فما هي عقيدة الفلاسفة في هذه الأمور؟

إن الفلاسفة يؤمنون بما يسمى: «النبوة» ويؤمنون كذلك بما يسمى: «الوحي» ولكن النبوة والوحي عند الفلاسفة أمران مختلفان كل الاختلاف عما جاء به

الإسلام، فهم يؤمنون بنبوة ووحي لا يعرفهما الإسلام ولا المسلمون.

رأس الضلال عند الفلاسفة: أن النبوة مكتسبة، أي: أنها من كسب الإنسان، ومن فعله، وليست من فعل الله -تعالى-.

النبي في عقيدتهم هو الذي جعل نفسه نبيًّا، وليس هو الذي اصطفاه الله واختاره، وهم يؤمنون بأن كل إنسان قادر على أن يجعل نفسه نبيًّا إذا شاء، وإذا ما سألنا هؤلاء: كيف يجعل الإنسان من نفسه نبيًّا يرى الملائكة ويتلقى الوحي عن الله -تعالى-؟ أجاب الفلاسفة بكلام واضح صرحوا به في الكثير من مؤلفاتهم، بأن الإنسان قادر على أن يجعل من نفسه نبيًّا عن طريق المجاهدات والرياضيات النفسية والبدنية، وتزكية النفس بالكف عن الشهوات والنزوات، والاشتغال بالعلوم والمعارف، وبخاصة ما كان منها متصلًا بالفلسفة وعلوم الفلك، كل ذلك من شأنه- عندهم- أن يجعل من صاحبه نبيًّا، يقول في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن الفلاسفة: «ولهذا كان قولهم في النبوة أنها مكتسبة وأنها فيض يفيض على روح النبي إذا استعدت نفسه لذلك فمن راض نفسه حتى استعدت فاض ذلك عليه»[1]

ويذكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن بعض الفلاسفة والمتصوفة قد حاول أن يصل بنفسه إلى مرتبة النبوة، وأن يجعل من نفسه نبيًّا، ويذكر منهم السهروردي المقتول، وابن سبعين، هذه عقيدتهم في النبوة، أما كون النبوة ختمت بمحمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأنه لا نبي بعده -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فَبَدَهِيّ أنهم لا يُقرون بذلك.

---

(١) الرد على المنطقيين (ص ٢٧٧).

لأن النبوة- عندهم- كسبية، وفي مستطاع بعض الناس أن يجعلوا أنفسهم أنبياء- كما ذكرنا- بدليل أن بعضهم حاول أن يجعل نفسه نبيًّا كالسهروردي وابن سبعين، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، وقد حاول ابن عربي أن يجعل نفسه نبيًّا، فلما عجز عن ذلك، ادعى أنه خاتم الأولياء، كما أن محمدًا خاتم الأنبياء، ثم ادعى أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، فهو أفضل من محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

هذه عقيدتهم في ختم النبوة، وخاتم الأنبياء محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أما عقيدتهم في الوحي، فهي من هذا القبيل الباطل بل هي أشد وأوضح بطلانًا، فهم لا يؤمنون بأن الله -تعالى- بعث نبيًّا، ولا أنزل كتبًا، ولا أرسل ملكًا بوحي؛ لأنهم يعتقدون أن الله -تعالى- لا يتكلم ولا يكلم أحدًا، وأن الله -تعالى- لم يصدر عنه إلا عدد من العقول المجردات، وآخرها العقل العاشر، وهو رب هذا الوجود الأرضي، وهو الذي يفيض على نفوس الأنبياء بما يسمى: الوحي، يفيضه عليهم تخييلًا وإيهامًا، فيتوهمون أنهم رأوا ملكًا وسمعوا منه كلامًا، والواقع، كما يقول الفلاسفة: أنه ما من ملك وما من كلام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن الفلاسفة:

«وهم يزعمون أن أول ما صدر عن رب العالمين جوهر قائم بنفسه، وأن هذا الجوهر هو رب جميع العالم، وأن العقل العاشر هو ربُّ كلِّ ما تحت فلك القمر، ومنه تنزلت الكتب على الأنبياء»[1] يعني: تخيلًا وتوهُّمًا.

---

(١) الرد على المنطقيين (ص ٢٧٦).

ونخلص من هذا العرض بالأمور الهامة الآتية:

أولًا: أن الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام لا يؤمنون بالأنبياء والرسل، ولا بالكتب المنزلة -عليهم صلوات الله عليهم-، وأن ما قالوه عن الأنبياء والوحي هو أشد مخالفة للإسلام مما قال به اليهود والنصارى.

ثانيًا: أن النبوة -عندهم- هي من فعل الإنسان، وليست من فعل الله سبحانه، وأن النبوة لم تُختم بمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأنها ما تزال سارية، وأن الوحي والكتب المنزلة هي من أوهام النفس وخيالات الأنبياء.

❁ ❁ ❁

عقيدة الفلاسفة في الإيمان بالغيب:

الإيمان بالغيب هو الأساس المتين والركن الركين في أصول الدين الإسلامي، فمن لم يؤمن به- كما جاء به الكتاب والسنة- فهو خارج عن الإسلامِ، والإسلامُ منه بريء.

والإيمان بالغيب يعني: الإيمان بالله سبحانه، فهو رأس الغيب، وكذلك الإيمان بصفاته وأسمائه، ثم الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخِر وما فيه، والقدر، والذي لا يؤمن بكل ذلك- على ما ورد في الكتاب والسنة- فهو خارج الملة، فما هو موقف الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام من هذه العقيدة؟

إن عقيدة الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام- زورًا- قائمة على إنكار كل هذه الحقائق الإيمانية، والتي هي من الغيب الذي أثنى الله -تعالى- على المؤمنين به، فقال -عَزَّ وَجَلَّ-:

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٢- ٥].

إن الفلاسفة ينكرون الملائكة، وينكرون كل ما ورد عنهم في القرآن المجيد، والسنة المطهرة، ويزعمون أن المراد بالملائكة هي العقول المجردة التي يزعمون أنها كل ما صدر عن الله -تعالى-، وأن كل عقل منها يسكن فلكًا من الأفلاك السيارة، فواحد منها يسكن الشمس، وآخر يسكن القمر، قالوا: والذي يسكن القمر هو رب الوجود الأرضي، والمدبر له إحياءً وإماتةً وأرزاقًا وأعمارًا، وغير ذلك، ويزعم الفارابي الفيلسوف في بعض كتبه: أن العقل العاشر الذي يسكن القمر والذي يدبر العالم الأرضي هو الذي أطلق عليه القرآن اسم: جبريل[1]:

«وهم يزعمون أن أول ما صدر عن رب العالمين جوهر قائم بذاته، وأنه رب جميع العالم، وأن العقل العاشر هو رب كل ما تحت فلك القمر، أي: العالم الأرضي، ومنه تنزلت الكتب على الأنبياء»[2]، ثم يقول شيخ الإسلام: «مَن عرف ما أخبر الله به عن ملائكته علم أن هذا الذي قالوه- يعني: الفلاسفة- أشدُّ مخالفة لما جاءت به الرسل من اليهود والنصارى»[3]، هذه عقيدتهم في الملائكة الذين يقول الله -تعالى- فيهم:

---

(١) في كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) الرد على المنطقيين (١/ ٢٧٧).

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، ويقول سبحانه عنهم:

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وأما سفير الوحي جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، الذي نزل على الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالقرآن، فيقول الفلاسفة: إن ذلك من أوهامه وخيالاته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ومثل عقيدتهم في الملائكة عقيدتهم في الجن، وفي إبليس وذريته، فهم ينكرون وجود خلق من خلق الله يسمون الجن، وينكرون كذلك إبليس وذريته من الشياطين، وكل ما ورد عنهم في القرآن المجيد يؤوِّلونه، على أن المراد بالشياطين وما يوسوسون للإنسان به، إنما هي هواجس النفس ونزواتها وشهواتها، أما إبليس وذريته الذين قال الله -تعالى- فيهم:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۚ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، فهم يكفرون به تمامًا.

فإذا كان هذا موقف الفلاسفة من الملائكة والجن والشياطين، فإن موقفهم من اليوم الآخِر أشدُّ عجبًا.

ومنشأ الضلال- عندهم-: أنهم يعتقدون أن هذه الحياة الدنيا أزلية، بمعنى: أن الحياة الدنيا لا بداية لها، وأنها كذلك لا نهاية لها، وأن هذا العالم بشموسه وكواكبه وأفلاكه أبدي لا يمكن أن يفنى، ولا حتى يختل شيء من نظامه القائم فعلًا، وهم بذلك ينكرون كلَّ ما ورد في القرآن المجيد مِن مثل قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقوله سبحانه:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الحاقة: ١٣- ١٤]، وقوله -عَزَّوَجَلَّ-:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [الانفطار: ١- ٣]، كل ذلك وغيره ينكره هؤلاء الفلاسفة، وإذا كانوا ينكرون انقضاء الدنيا، فبديهي أنهم ينكرون اليوم الآخِر، والقيامة، وكل ما في ذلك اليوم من نشرٍ وحشر وميزان وحساب وجنة ونار، وقد صرحوا بذلك في كثير من كتبهم، بل إن كبيرهم وأشهرهم (ابن سينا) الفليسوف- والملقب- عندهم- بالشيخ الرئيس- قد وضع مؤلفًا قائمًا بذاته أسماه: (رسالة أضحوية في المعاد الروحاني) أخذ يؤكد فيها أن الأرواح إذا خرجت من الأجساد فنيت الأجسادُ ولا يمكن أن تعاد، بل قرر أن إعادة الأجساد خارج عن قدرة الله- تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا- وهم يقصرون الجزاء على النفوس فقط، فالنفس التي عملت صالحًا حين كانت في الجسد تكون قريبة من ربها، وقربها سعادتها ونعيمها، والنفس التي عملت سيئًا حين كانت في جسدها فهي بعيدة عن ربها على قدر آثامها، وبعدها جحيمها وليس ثمة شيء سوى ذلك.

وفي نهاية عرضنا عن الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام نوضح ما يلي:

أولًا: لقد أولينا طائفة الفلاسفة هؤلاء اهتمامًا خاصًّا؛ لأنه قد وفد على الأمة مِن قِبلهم تيارات كثيرة كلها زيغ وضلال، وكانوا السبب في إضلال الكثيرين ممن فتنوا بهم وتابعوهم في ضلالاتهم.

ثانيًا: أن الكثيرين ممن فُتنوا بهؤلاء الفلاسفة قد روَّجوا لأفكارهم، وأظهروهم لشبابنا على أنهم مفكرو الإسلام المستنيرون، بل إنهم الواجهة المضيئة، للفكر الإسلامي الرفيع.

ثالثًا: لذلك كان واجبًا علينا- كما هو على كل مستطيع- أن نكشف زيف هذه الطائفة، ونبين فسوقها عن الإسلام، ونُحذر المسلمين من ضلالاتها، وبخاصة شبابنا الذين يخطون نحو الثقافة والعلم.

الدعوة إلى وحدة الأديان

نعرض في هذا المبحث لتيار من التيارات الهدامة الخطيرة، التي قامت وانتشرت بهدف القضاء على الإسلام وأمته، وإخضاع الشعوب المسلمة لأعدائهم من اليهود والنصارى، وقد كاد هذا التيار أن يحقق أهدافه، وينفذ على أرض الواقع في قلب الأمة المسلمة، لولا أن الله -تعالى- قد أهلك القائمين على تنفيذه، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

والتيار الذي نعنيه هو ما يسمى: **(الدين الإبراهيمي)**، أو **(الدين العالمي)** وأحيانًا يطلق عليه: **(الدعوة إلى وحدة الأديان)**.

ومنشأ هذا التيار الضال: أن اليهود والنصارى والعلمانيين والملاحدة، وكل أعداء الإسلام، لما عجزوا عن القضاء عليه وإطفاء نوره، فكروا في وسيلة يدخلون بها على ضعاف النفوس، ويكون لها بريق يجعل ضعاف الإيمان يعشون عن ذكر الرحمن، ويتأثرون بدعواهم في القضاء على الإسلام، فاستقر تفكير أعداء الإسلام على أن يخرجوا على المسلمين بدعوة جديدة، لا تقول للمسلمين: اتركوا دينكم؛ فإن ذلك أمرٌ يعرفون استحالته، ويدركون تمسك المسلم بدينه واعتصامه بحبل الله -تعالى-، ومن ثم جاءوا بدعوة جديدة قوامها: أن أصحاب الأديان الكتابية، أو السماوية يتعادون فيما بينهم ويتخاصمون ويكذب بعضهم بعضًا، بينما الإلحاد ينتشر ويكثر أتباعه، بينما أصحاب الأديان الكتابية مشغولون بخلافاتهم،

والمطلوب- كما يقول أعداء الإسلام-: أن نجعل من الأديان الثلاثة: (اليهودية، والنصرانية، والإسلام) دينًا واحدًا، يطلق عليه: (الدين الإبراهيمي) نسبة إلى إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- الذي هو أبو الأنبياء في الأديان الثلاثة، أو يسمى: (الدين العالمي)، وفي سبيل تحقيق فكرتهم الشيطانية هذه التي رَوَّجت لها الصهيونية العالمية، وحمل كبر الدعوة إليها كبير الكنيسة الكاثوليكية الذي وضع برنامج: (**الحوار بين الأديان**) والذي يعقد بصفة دورية بهدف الوصول إلى صيغة متفق عليها لهذا الدين الإبراهيمي، والذي يبرأ منه إبراهيم وكل الأنبياء -عليهم السلام-.

إن الدعوة إلى دين واحد- هو خليط من اليهودية والنصرانية والإسلام، بل والأديان الوضعية؛ كالهندوسية والبوذية- دعوة قديمة حمل كبر وزرها فلاسفة المتصوفة من أمثال: الحلاج المقتول والتلمساني وابن سبعين، وقد قال الحلاج: «واعلم أن اليهودية والنصرانية والإسلام، وغيرها من البوذية والهندوسية هي أسماء متغايرة، والمقصود منها لا يتغير، فكلهم عباد الله» [(١)].

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «بل كان ابن سبعين والتلمساني وغيرهم يسوِّغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذه كلها طرقًا إلى الله بمنزلة مذاهب المسلمين»[(٢)]، وممن قال بذلك ابن عربي الذي قرر أن قلبه أصبح بيتًا لليهودية والنصرانية والبوذية والأوثان كلها: فهو يقول:

---

(١) ديوان الحلاج، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت. منشورات محمد علي بيضون.

(٢) الصفدية ، (ص ٢٨٦-٢٨٩) .

لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلَّ صُورَةٍ فَمَرْعًى لِغِزْلَانٍ وَدِيرٌ لِرُهْبَانِ
وَبَيتٌ لِأَوْثَانٍ وَكَعْبَةُ طَائِفٍ وَأَلْوَاحُ تَوْرَاةٍ وَمُصْحَفُ قُرْآنِ[1]

كذلك من الدعاة إلى هذه الديانة الشاملة الباطلة: إخوان الصفا، والفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام، إن هذه الدعوة القديمة قد جددها ونفض عنها الغبار الصهيونية العالمية، وكبار رجال الكنيسة النصرانية، الذين تظاهروا بالتسامح وصدق النوايا، وقد نشطوا في الدعوة إلى ذلك الدين الإبراهيمي، ليس رغبة في ترك ديانتهم النصرانية، ودمجها مع اليهودية والإسلام في دين واحد- كما يزعمون- بل الرغبة الحقيقية وراء ذلك كله هي تذويب الإسلام، وإفساد عقائد المسلمين، وصرفهم عن دين الله الحق، أما رجال النصرانية فهم مستمسكون بدينهم الباطل، حريصون عليه إلى أقصى حد، بدليل أنهم بينما يدعون إلى دمج الأديان الثلاثة في دين واحد، وبينما يُكَوِّنون جميعات التقريب بين النصرانية والإسلام- كما يزعمون- ويقيمون الحوارات بين بعض المنتسبين إلى الدينين، نقول: بينما يتم ذلك، إذا هم يدفعون بحركات التنصير لتزاول أنشطتها ببلاد المسلمين، وبخاصة: أندونيسيا، وجنوب السودان، ودول أفريقيا؛ فالمراد بدعواهم الفاسدة هذه إنما هو الإسلام والمسلمون، وقد عُقد العديد من المؤتمرات من أجل إنشاء هذا الدين الخرافة، كان أشهرها ذلك المؤتمر الذي عُقد بمصر بدير سانت كاترين بسيناء عام أربعة وثمانين وتسعمائة وألف وحضره ممثلون عن اليهودية والنصرانية والبهائية والبوذية وديانات الهنود الحمر، كما حضره بعض من ينتسبون إلى الإسلام.

---

(١) ديوان محي الدين ابن عربي (ص٥٩).

إن هذه الدعوة رغم وضوح بطلانها وفسادها، وأن هدفها هو القضاء على الإسلام، وإذهاب ريح المسلمين، رغم ذلك فقد فُتن بها بعض المسئولين في كبرى البلاد العربية الإسلامية، وقام هذا المسئول فعلًا بوضع حجر الأساس، لمبني سماه: (**مجمع الأديان**) وبعد أن وضع حجر الأساس أقام أول صلاة إبراهيمية موحَّدة، وقف فيها هو ومن معه من المنتسبين إلى الإسلام، ووقف بجوارهم كبير الأقباط بمصر، ثم بجواره حاخام اليهود، وقف الجميع صفًّا واحدًا في صلاة واحدة يؤمُّهم من كان يسمى: بالإمام الأكبر- آنئذٍ- وكانت هذه الصلاة التي أذاعتها وسائل الإعلام هي أول صلاة قامت على أساس من هذه الدعوة الضالة، ولقد كانت- أيضًا- هي آخر صلاة بفضل الله الذي أخذ المسئولين عن هذا الفساد أخذ عزيز مقتدر، ودُفن تحت رمال سيناء أساس مجمع الضلال هذا الذي وضعوه للديانة الفاسدة الخرافة، التي سموها: (الديانة الإبراهيمية).

ومن خلال ما عرضناه عن الدين الإبراهيمي المزعوم نُذكر بما يلي:

أولًا: أن الدعوة إلى ما يسمى: بالدين الإبراهيمي، أو العالمي دعوة غير معلنة على مستوى الشعوب، بل هي موجهة إلى الخواص والهيئات المعينة والمؤسسات الدينية، وبخاصة الذين يُرَى فيهم استعدادٌ لقبولها، ومن قبل ذلك استعداد للفسوق عن دينهم الإسلامي.

ثانيًا: هذه الدعوة قائمة على قدم وساق، ولها جمعيات تسمى جمعيات التقريب بين الأديان، أو بين النصرانية والإسلام، وفي إطار تلك الجمعيات تقام لقاءات ومؤتمرات دورية، فلنحذر هذه الدعوات المشبوهة ولنقف لها بالمرصاد، نكشف زيفها، ونئدها، ولنتدبر؛ فإذا كان أصحاب الأديان الباطلة يتمسكون بباطلهم، فنحن أولى منهم بذلك، ونحمد الله على الحق المبين، وكفى بربك هاديًا ونصيرًا.

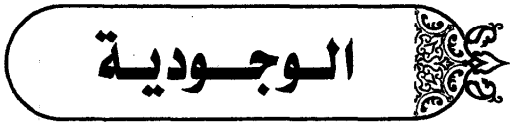

الوجودية

نعرض في هذا المبحث لواحد من أشد التيارات الوافدة تدميرًا للدين والقيم والأخلاق، ومن أكثرها مناقضة للفطرة، ومعارضة لكرامة الإنسان ومكانته بين الكائنات التي خلقها الله -تعالى-، ونقصد به **(الوجودية)**.

والوجودية مذهب فلسفي اجتماعي، من أشد المذاهب إغراقًا في الإلحاد، وإصرارًا على الكفر والزندقة، وهذا المذهب يركز تركيزًا شديدًا على الوجود المادي الشهوي للإنسان، ذلكم أن المحور الذي يرتكز عليه مذهب الوجودية: أن الإنسان هو الموجود العاقل الوحيد في هذا الكون، وأن وجود الإنسان المادي هو الحقيقة الوحيدة المتيقنة في هذا العالم، وأن ما عدا ذلك من حديث عن الأديان، أو القيم، أو الأخلاق والعادات والتقاليد إنما هي خرافات وأوهام يجب نبذها والعمل على القضاء عليها حتى لا تقف عائقًا دون أن يحقق الإنسان ذاته وحريته، وقد رتَّب أصحاب الوجودية، بناءً على زعمهم: أن الإنسان هو الكائن الوحيد العاقل في هذا الوجود، رتبوا على ذلك: أن الإنسان وحده هو مقياس كل شيء في الوجود، وأن شهواته ونزواته وغرائزه هي الميزان الذي يوزن به كل شيء، والإنسان حرٌّ حرية مطلقة، يفعل ما يشاء بلا حدود ولا قيود؛ لأنه إذا كان الإنسان هو الوحيد في هذا الكون، ولا يوجد كائن عاقل لا قبله ولا بعده، فمن الذي يضع له القيود والحدود؟ ومن الذي يبين له ما يجوز وما لا يجوز؟ إن

الإنسان عند الوجوديين حر في أن يفعل ما يشاء، كما يشاء، في الوقت الذي يشاء، دون سلطان لأحد عليه، وهو قادر على خلق أعماله، وهو قادر على تصريف وتدبير كل شيء دون حاجة إلى خالق، أو صانع، هكذا زعموا -أخزاهم الله-.

❁ ❁ ❁

نشأة الوجودية:

وُجدت جذور الوجودية قديمًا لدى السوفطائيين اليونان، الذين كانوا يرون أن الإنسان هو ميزان كل شيء، ومقياس كل حقيقة، وكانوا يرفضون الدين والأخلاق والقيم، ثم اختفت تلك الضلالات زمنًا طويلًا، حتى طفت على السطح حين دعا إليها الفيلسوف الألماني النصراني (سورين كيركجارد)، المتوفَّى سنة خمس وخمسين وثمانمائة وألف -١٨٥٥م-، ثم توالى بعد ذلك الدعاة إليها، والذين كان من أشهرهم الفليسوف الفرنسي (جان بول سارتر) الذي هلك منذ سنوات، والذي تولى كبر نشر هذا المذهب عن طريق رواياته ومحاضراته، ومسرحياته.

وقد تولى كبر نشر هذا المذهب بمصر الدكتور عبد الرحمن بدوي، ثم كثير من تلاميذه، والذين أعلن بعضهم توبته عن الوجودية، ولكن كتاباتهم ما تزال تنضح بنتن الوجودية وعفنها.

❁ ❁ ❁

وقد ساعد على انتشار الوجودية عوامل من أهمها:

- النصرانية بعقائدها ورجالها، أما عقائدها فتناقض العقل وتصادم الفطرة، وذلك مثل: التثليث والتوحيد، والصلب والفداء تلك العقائد التي تقول بأن

ابن الله -تعالى- تجسد في إنسان، ثم صلبه أبوه وأماته، ثم بعثه مرة أخرى، إلى آخر هذه العقائد التي كانت السبب المباشر في اتجاه (سورين كيركجارد) إلى الوجودية، كما قرَّر ذلك بنفسه، وأما رجال الكنيسة فقد تاجروا بالدين، واستغلوه في إشباع شهواتهم، مما جعل الإنسان النصراني يرفض الكنيسة ورجالها، ويرتمي في أحضان كلِّ فكرٍ ملحد غريب، مما دعا البعض إلى إطلاق الشعار المشهور في الغرب: (**اشنقوا آخِرَ مَلِكٍ بأمعاءِ آخِرِ قسيسٍ**)، أي: أن الإنسان الغربي رفض النظام السياسي والديني جميعًا.

- الآثار التي خلَّفتها الحرب العالمية من بؤس وفقر وتشريد للملايين، ونشر للتدمير والتخريب واليتم، كل هذا جعل الغرب النصراني بيئة قابلة لكل الفلسفات الفاسدة الضالة والتي منها الوجودية.

❁ ❁ ❁

الأسس التي تقوم عليها الوجودية:

إن للوجودية أسسًا وقواعدَ تقوم عليها، ومن دراستنا لأهم هذه الأسس تتضح لنا حقيقة هذا التيار، وينكشف لنا وجهه البشع وفكره الضال.

وأول هذه الأسس التي تقوم عليها الوجودية: الإلحاد، وإنكار الأديان بعامة، والإسلام بخاصة، وقد ظل فيلسوف الوجودية الأشهر: (جان بول سارتر) يردد مقولته الفاسدة: (**إن كان الله قد خلق العالم، فمن خلق الله**)، وقد ظل يحارب الدين والأخلاق حتى لفظته الحياة، وتطهر منه الوجود.

وثاني الأسس التي تقوم عليها الوجودية: قول فلاسفة الوجودية: إن وجود

الإنسان المادي مقدم وسابق على ماهيته، وهم يقصدون من ذلك أمرين:

الأمر الأول: إنكار وجود الله -تعالى-، وقدره في الخلق، فنحن نؤمن بأن كل فرد من بني الإنسان كان في علم الله -تعالى-، وإرادة الله -تعالى-، وفي كتاب عند الله قبل وجوده في هذه الدنيا، وأنه قد سبق في علم الله -تعالى- كل ما يتعلق بالإنسان من رزق وأجل وعمل وخاتمة، وقد ورد في ذلك الحديث الصحيح: «يجمع ابن آدم في بطنه أمه أربعين ليلة نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويكتب أربع كلمات: أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد» أو كما قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. لكن الوجوديين ينكرون ماهية الإنسان وحقيقته في علم الله -تعالى-، قبل وجوده المادي على الأرض، ذلكم أنهم يكفرون بوجود الله -تعالى-، ومن ثم فهم ينكرون كل ذلك.

أما الأمر الثاني الذي يقصدون إليه من قولهم: إن وجود الإنسان المادي سابق على ماهيته، فهو إنكار النوع الإنساني، والتركيز على الوجود الفردي، فالفرد- عندهم- هو كل شيء، وأما نوع الإنسان، وما يمثله النوع من قيم وأخلاق وموروثات فذلك مرفوض، وليس لديهم اهتمام إلا بالفرد فقط الذي عليه أن يحقق ذاته، ويطلق العنان لشهواته وغرائزه دون التفات، أو اهتمام بغيره، ولو هلك الجميع؛ لأن ذاته الخاصة هي قبل الجميع، ومن هنا نفهم سلوك الوجوديين الذين يعيشون حياتهم لا همَّ لهم إلا إشباع شهواتهم وملذاتهم الدنيا من جنسٍ وسُكْرٍ ومخدِّرات، دون إن يلقوا بالًا إلى مصير الإنسانية التي لا تمثل- عندهم- أي معنى، والتي لا حقيقية لها في مذهبهم الفاسد.

وثالث الأسس التي تقوم عليها الوجودية: هو ما يسمونه: **الحرية**، والحرية معنًى طيبٌ سامٍ، يفهمه الأسوياء من الناس على أنه: تصرُّف الإنسان وفق الدين والأخلاق دون أن يضرَّ بنفسه، أو بالآخرين، أما عند الوجوديين فيعني أن ينطلق الوجودي كالحيوان يُشبع شهواته وغرائزه، دون أن يلقي بالًا إلى دين، أو قيمة، أو خلق، أو إلى المجتمع نفسه.

ورابع الأسس التي تقوم عليها الوجودية: تقسيمهم الأشياء إلى **(كائن)** و**(موجود)**، والفرق بين الكائن والموجود- عندهم-: أن الكائن هو الذي يعيش في سلبية، ولا يحقق ذاته، ولا يحصِّل الهدف من وجوده- كما يزعمون- فالإنسان يصير مجرد كائن إذا عاش هادئًا مطمئنًا مؤمنًا بدينه، عابدًا لربه، بعيدًا عن الزنا والسُّكْر والعربدة، هذا- عندهم- مجرد كائن؛ لأنه لم يحقق ذاته، ولم يفعل ما تدفعه إليه شهواته، ولأنه كبت شهواته، وقاوم غرائزه.

لكن الإنسان- عندهم- يرتفع من مرتبة الكائن إلى منزلة الموجود حين يثور على القيم والأخلاق والدين، وكل شيء موروث، وحين يطلق العنان لغرائزه وشهواته، يشبعها بلا حدود ولا ضوابط، حين يندفع مع شهوة الجنس والشراب، فيزني ويسكر ويتعاطي المخدِّرات، ويطلق العنان لغرائزه بكل طاقتها، بل وفوق طاقاتها حتى يسقط مرضًا وإعياءً، هنا يكون الإنسان قد ارتفع من مرتبة الكائن إلى مرتبة الموجود؛ ولذلك كان لكثيرين من طوائف الوجوديين تجمعاتهم الخاصة التي يعيشون فيها، وأغلب تجمعاتهم تعيش في أماكن منزوية، وكهوف وأماكن خربة، تشبه مزابل الحيوان، وهم يعيشون في هذه الأماكن يزاولون السكر والزنا

واللواط والهوى والعربدة دونما تمييز، وعاقبة جمهرتهم إلى الأمراض الجنسية، والانهيارات العصبية والجسمية، والكثرة منهم ينتهي بهم الأمر إما إلى الجنون، أو الانتحار، وهذه عقوبات إلهية لهؤلاء الذين خلقهم الله بشرًا وكرَّمهم، فمسخوا بشريتهم، وردُّوا على الله تكريمه إياهم، وجعلوا أنفسهم أحط من القردة والخنازير، وعاشوا بعيدًا عن دنيا الأسوياء حياة يعفُّ عنها الحيوان في غابه.

وخامس الأسس التي تقوم عليها الوجودية: قولهم: (الآخَرون هم الجحيم) وهم يعنون بالآخرين غير الوجوديين، وبعضهم يعمم هذا المبدأ حتى على أمثاله من الوجوديين، وهذا المبدأ يبين أن الوجودي يعيش لنفسه فقط منعزلًا عن المجتمع الذي يعيش فيه الآخرون الأسوياء، وأن الوجودي بينه وبين الآخرين عداء مستعر، وحرب مستمرة، وأنه يُكِنُّ للفئات الأخرى الحقدَ والضغينة والكراهية، وذلك أمر طبعي؛ لأنه ما من إنسان سوي يمكن أن يقبل الوجودي بأخلاقه وسلوكياته، فالمجتمع السوي يرفض الوجودي ويمقته، ويضع الوجوديين في مرتبة أعلى منها مرتبة الحيوان.

ومن ثم كان الوجودي يمقت الآخرين ويعتبرهم أعداءه، بل يعتبرهم- كما هو مبدؤهم- جحيمًا لا يطاق.

وسادس الأسس التي تقوم عليها الوجودية: (القلق)؛ فمن الأمور المميزة للوجودي أنه محاط بالقلق والتعاسة والاكتئاب، وأن هذا القلق لا يفارقه لحظة من حياته.

وليس صحيحًا ما يزعمونه من أنهم قلقون على مصير البشرية، وأنهم تعساء

أشقياء بسبب الظلم الاجتماعي الذي تعانيه بعض المجتمعات الإنسانية، ليس ذلك صحيحًا، وليس ذلك هو سبب القلق الذي يعانيه الوجوديون، والذي هو سمة مميزة لهم، وإنما السبب في شعورهم بالقلق والشقاء والتعاسة: أنهم لا يؤمنون بالله رب العالم، ولا يدينون دين الحق، ولا تستند حياتهم إلى مُثُلٍ عليا، أو أهداف سامية يسعون إلى تحقيقها، وتجعل لحياتهم قيمة؛ ولذلك فقدوا الطمأنينة والسلام والأمان والسعادة التي يستشعرها المؤمن بالله رب العالمين.

فقدوا كل ذلك لما فقدوا الإيمان والدين والقيم السامية الباقية التي يضحي الإنسان من أجلها، بل ويدفع حياته- وهو سعيد- دفاعًا عنها، لكن هؤلاء ربطوا حياتهم بالشهوات والغرائز، وعاشوا لا يفيقون من سكر الخمر، وغول المخدرات، فأسلمهم كل ذلك إلى القلق واليأس والبؤس والشقاء، حتى إنهم ليقضون على حياتهم بأيديهم فرارًا من مستنقع التعاسة والشقاء الذي غرقوا فيه.

ونستطيع أن نستخلص مما عرضنا له عن الوجودية ما يلي:

أولًا: أن الوجودية مذهب فلسفي اجتماعي إلحادي، ينكر وجود الله -سبحانه- ويهزأ بالأديان، ويجعل من أهدافه القضاء على الموروثات الإنسانية، ويعنون بذلك: الدين والقيم والأخلاق، ويعتبرون كل ذلك عوائق لتقدم الإنسانية.

ثانيًا: يرون أن الحقيقة الوحيدة المتيقنة في الوجود هي وجود الإنسان المادي، وعلى الإنسان أن يحقق ذاته ووجوده عن طريق إشباع غرائزه ونزواته، كما ينكرون الماهية الإنسانية، أو النوع الإنساني بما يمثله من قيم وأخلاق وحضارة، ويرفضون كل ذلك؛ لأنه يمثل قيودًا على حريتهم في إشباع غرائزهم، وفعل ما يريدون.

ثالثًا: الوجودي الحقيقي- عندهم- هو الذي يلبي شهواته، ويشبع غرائزه، ويفعل ما يريد بحرية كاملة دون حدود، أو قيود.

رابعًا: تمثل الوجودية والوجوديون سلاحًا قويًّا في أيدي الصهيونية واليهودية العالمية؛ بما تؤديه من هدم للقيم والأخلاق والأديان، وهم يساندون إسرائيل ماديًّا ومعنويًّا.

الشيوعية الماركسية

التيار الذي نتكلم عنه هنا هو من التيارات العريقة في الإلحاد، والتي قام منهجها على معاداة الله -تعالى- ورسله -صلوات الله عليهم- وإعلان الحرب على الأديان بعامة، والإسلام بخاصة واعتبار عالم الغيب وهمًا وخرافةً، وأن الوجود الحقيقي مقصور على العالم المادي الكثيف المحسوس.

والشيوعية اتجاه فكري يشمل أهم الأمور الحياتية لدى الناس، بل يشملها جميعها؛ فهو يشمل الجوانب الدينية والاقتصادية والاجتماعية، ولا يدع شأنًا من شئون الحياة لدى الإنسان إلا ويفسدها بضلالاته، ويدمرها بمفترياته.

والشيوعية اتجاه فلسفي قديم، لم يخترعه شيوعيو العصر الحديث، ولم يكونوا أول الواضعين له، أو الداعين إليه؛ لأن له جذورًا تضرب في عمق التاريخ البشري.

ولسنا ندري متى كانت أول حركة شيوعية لدى المجتمعات الإنسانية القديمة، ولا أين كانت، لكنا نعرف أن أول نظام شيوعي سجله تاريخ الفكر الإنساني كان لدى اليونان، حين وضع الفيلسوف اليوناني أفلاطون تصوره عن نظام شيوعي يمكن تطبيقه في المجتمع اليوناني، ونحن نعرف- أيضًا- أن أفلاطون هذا قد فشل فشلًا ذريعًا في تطبيق نظامه الشيوعي حين أُتيحَ له تطبيقه.

ثم توالت بعد ذلك الدعوات إلى النظم الشيوعية على اختلاف في أسسها،

على أيدي الكثيرين من الشيوعيين في المشرق والمغرب على سواء، بعض هذه الدعوات لم تتعدَّ طور الفكرة والتصور، وبعضها الآخر تخطى هذه المرحلة إلى مرحلة التطبيق الفعلي، وبعض هذه التجارب الشيوعية عمرت سنين، ثم كان مآلها الفشل، كما حدث للنظام الشيوعي الذي طبقه مزدك في فارس، والنظام الشيوعي الذي طبقه القرامطة بعد ذلك.

ولقد كان ظهور الفكر الشيوعي، والدعوة إليه يرتبطان ارتباطًا وثيقًا بشكل النظام الاجتماعي، ومدى ما يشيع فيه من عدل اجتماعي، أو ظلم.

فالملاحظ أن المجتمع الإنساني إذا شاع فيه العدل، وشعر الناس فيه بالأمان، وحصل كل إنسان فيه على حقوقه المشروعة، فإن السلام والرضا والاستقرار يظلل هذه المجتمعات، ولا يُسمع فيها صوت يدعو إلى الشيوعية.

أما إذا قام النظام في بعض المجتمعات على الظلم والقهر، واستولى بعض طوائفه على كل شيء، وحُرِمَ الآخرون حقوقَهم المشروعة؛ فإن قلوب المظلومين تمتلئ حقدًا وحسدًا وضغينةً، ويتشوفون للحصول على حقوقهم، بل ويتمنون أن يستولوا على حقوق الذين ظلموهم ليذيقوهم من الظلم مثل ما أذاقوهم.

في مثل هذه المجتمعات التي حُرمت العدلَ بين أفرادها قد تظهر الدعوة إلى الشيوعية، ليس لأن الشيوعية من النظم السوية للمجتمعات البشرية؛ بل لأن المجتمعات التي تقوم على الظلم والقهر، قد فقدت السمة الإنسانية التي يتميز بها مجتمع الإنسان، وبذلك كانت مباءة لظهور الأفكار المنحرفة، والاتجاهات الضالة مثل الشيوعية، وذلك كرد فعل للظلم الذي يغشى تلك المجتمعات.

ليست القضية إذن في الدعوات إلى الشيوعية قضية فقر وغنى، وليست كذلك قضية طبقات في المجتمع، بعضها غني، وبعضها فقير، كذلك لا تكمن قضية الشيوعية في شدة غنى البعض، وشدة فقر الآخرين؛ فإن المجتمعات الإنسانية بطبيعتها تقوم على طبقات وفئات، وفيها فقراء شديدو الفقر، وفيها أغنياء واسعو الغنى، وما دام الأغنياء قد اكتسبوا أموالهم من وجوهها المشروعة، ولم يسلبوها من الفقراء، وما دام الفقر لم يَلحقِ الفقراءَ بسبب ظلم من الأغنياء وقع عليهم، وما دام الأغنياء لم يمنعوا حقوق الفقراء في أموالهم من زكاة وصدقات وتكافل، فليس ثمةَ بأسٌ في أن يشتمل المجتمع على الأغنياء واسعي الغنى، والفقراء كذلك؛ فإن الله -سبحانه- هو مقسم المعايش، وهو -ﷻ- القائل:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

يتبين من هذا أن الدعوة إلى الشيوعية لم تظهر في مجتمع سويٍّ، ولم تصدر عن أناس أسوياء، وليس وجود الأغنياء في مجتمع ما مسوغًا لأن يقوم الفقراء بالدعوة إلى الشيوعية؛ فإن الشيوعية نقمة وبلاء على الفقراء قبل الأغنياء، كما سيتضح لنا ذلك في ثنايا هذا العرض؛ فالمجتمع الذي تصدر عنه الدعوة إلى الشيوعية مجتمع غير سويٍّ، والذين يدعون إليها من بعض الفئات هم أناس غير أسوياء، فقدوا الرؤية الصحيحة، وضلوا عن سواء السبيل، ولو فُرض أن الداعين إلى الشيوعية في مجتمع ما قد دعوا إليها بسبب ظلمٍ وقع عليهم، فلقد كان

الطَّبَعيُّ أن يسعوا لدفع الظلم عنهم بالسبل المشروعة، وأن يجتهدوا في الحصول على حقوقهم، لكن بدلًا من العمل للحصول على حقوقهم، قد سعوا ليسلبوا الآخرين حقوقهم، بل ليسلبوا حقوق المجتمع كله، وبدلًا من أن يدفعوا الظلم عن أنفسهم، نصبوا أنفسهم عتاةً ظالمين، وبدلًا من أن يعيدوا إلى ميزان الحق اعتداله وسواءه، خطموا الميزان، وذبحوا العدالة، وحوَّلوا المجتمعات الإنسانية إلى أفحش من غاب الوحوش، وذلك بالدعوة إلى الشيوعية، التي هي أخبث ما رأت البشرية من دعوات.

عرفنا أن الدعوة إلى الشيوعية وباءٌ فكري كان يعاود بعض المفكرين عبر العصور المختلفة، كما تعاود الإنسانيةَ الأوبئةُ من حينٍ لآخَرَ، وقد عرفنا أن أول دعوة للشيوعية وعاها التاريخ كانت على يد الفيلسوف اليوناني أفلاطون، ومنذ دعوة أفلاطون قبل الميلاد إلى دعوة ماركس في العصر الحديث، كان ثمة دعوات عديدة بعضها لم يتخطَّ دور التصور والفكرة، وبعضها طُبِّقَ فعلًا وظل سنين عددًا، لكن مآل الكل كان الفشل الذريع، والانهيار التام، كما رأينا ذلك بأنفسنا لدى الاتحاد السوفيتي، ودول أوروبا الشرقية منذ عهد قريب.

❁ ❁ ❁

أسس الشيوعية:

للشيوعية الماركسية مبادئ وأسس قامت عليها وانطلقت منها، وهذه المبادئ والأسس تحتل لدى الشيوعيين منزلةَ اليقين المطلق، والمسلَّمات البدهية التي لا تقبل البحث، ولا هي محلٌّ للمناقشة، وهذه المبادئ الشيوعية هي:

أولًا: في مجال الدين: لا إله، والدين خرافة.

ثانيًا: في مجال الوجود: الكون مادة، والمادة سابقة على الفكر.

ثالثًا: في مجال الطبيعة: المادية الجدلية.

رابعًا: في فلسفة التاريخ: التفسير المادي للتاريخ.

خامسًا: في مجال الاقتصاد: إلغاء الملكيات الفردية.

سادسًا: في مجال الاجتماع والسياسة: الصراع بين الطبقات، وديكتاتورية العمال (البروليتاريا).

هذه هي المبادئ والأسس التي تقوم عليها الشيوعية الماركسية، وليس هنا مجال البحث عن هذه الأسس جميعها، ولكنا سنتناول بإيجاز المبدأ الأول والثاني فقط، نعني: زعمهم بأنه لا إله والدين خرافة، وزعمهم بأن الكون مادة، وأن المادة سابقة على الفكر.

المبدأ الأول من مبادئ الشيوعية:

إن المبدأ الأول من مبادئ الشيوعية هو: **(لا إله، والدين خرافة)**، وهذه المقولة الفاسدة لا تمثل مبدأ من مبادئهم فقط، بل تمثل حجر الزاوية في بناء الشيوعية، فهم أقاموا مذهبهم على أن الدين خرافةٌ، وأنه وهمٌ من خلق الإنسان واختراعه، وفي هذا يقولون عبارتهم المشهورة: **(إن الله لم يخلق الإنسان، ولكن الإنسان هو الذي خلق الله)**، ويقصدون بذلك- أخزاهم الله- أن الله -تعالى- لا وجود له، ولكنه من اختراع الإنسان، ولأن مذهبهم الفاسد يصادم الدين، سواء كان الدين حقًّا أم باطلًا؛ فقد وضعوا في أوَّلياتهم وعلى رأس أهدافهم: أن يزيحوا

الدين من طريقهم، حتى تخلُوَ لهم الساحةُ دون عقبات، وإن كان الدين الذي نشأت في ظله الحركة الشيوعية الماركسية هو النصرانية؛ فقد أدركوا جيدًا أن الإسلام أشد خطرًا على دعوتهم الفاسدة من النصرانية وغيرها، حيث إن الإسلام بتشريعاته الإلهية الحكيمة التي تشيع العدل والمساواة والألفة، وتقضي على ظلم الإنسان أخاه الإنسان، يقف عقبةً كأداءَ أمام الشيوعية الماركسية التي تقوم دعواها على أساس من الظلم الذي كان شائعًا في المجتمعات الغربية.

على أن ثمة سببًا آخَرَ جوهريًّا يجعل الإسلام، وليس النصرانية هو العدو الأول للشيوعية؛ ذلك أن النصرانية انزوت داخل الكنائس، وتركت شئون الحياة للناس يصوغونها كما يشاءون دون تدخل من النصرانية، أو رجالها، وبذلك أخلت الساحة أمام الشيوعيين يفعلون ما يشاءون.

أما الإسلام فإنه قد شمل بتشريعاته وأحكامه شئون الناس الحياتية كلها، فلم يترك مجالًا لمذهب فاسد، أو نظام باطل لِيُفسدَ على الناس حياتهم، أو يحولهم إلى قطيع بيد أصحاب النفوس الضعيفة، وذوي الأغراض الخبيثة.

ومن هنا كان الإسلام هو صاحب الحظ الأوفر من عداء تلك الطغمة الفاسدة المفسدة، وكانت جهودهم للقضاء على دين الله الحق الإسلام أضعاف جهودهم التي بذلوها مع النصرانية، وقد سجل التاريخ فشلهم الذريع في القضاء على الإسلام في روسيا، وبخاصة في الجمهوريات الإسلامية التي استولى عليها الشيوعيون الروس بالقوة الغاشمة، ورغم أن الشيوعيين الروس قد أبادوا من شعوب هذه الجمهوريات المسلمة مئات الآلاف، فإن دين الله ظل يشع بنوره في

تلك البقاع، وصدق الله العظيم:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

إن الشيوعيين قد بذلوا محاولات مستميتة للقضاء على الأديان التي كانت تدين بها الشعوب التي خضعت لحكمهم وظلوا على ذلك عشرات السنين، لكنهم فشلوا فشلًا ذريعًا؛ لأن التدين غريزة، وفطرة فطر الله الناس عليها، لا يمكن أن يعيش الإنسان دون أن يشبع هذه الفطرة؛ لأن الله -تعالى- خلقهم على فطرة التدين، فالتدين ضرورة لدى الإنسان، وإذا ضل الإنسان عن إشباع فطرة التدين بالدين الحق، لجأ إلى الأديان الباطلة محاولًا إشباع هذه الفطرة بها، وذلك كالعطشان الذي لم يجد الماء الطاهر يروي به عطشه، فإنه يلجأ إلى إشباع عطشه بما يجد من ماء مالح، أو نجس، أو خمر.

ومن هنا ما كادت الشيوعية الماركسية، تسقط في روسيا، حتى عاد الناس يزاولون شعائر دينهم بحرية وفي ضوء النهار، بعد أن كانوا يزاولونها في عهد طواغيت الشيوعية سرًّا وفي كتمان، وعادت المساجد تفتح أبوابها لروادها المؤمنين بعد أن ظلت عشرات السنين مغلقة، أو تُستعمل مخازنَ للغلال، عادت بيوت الله -تعالى- شاهقة تطل من أعلى لتعلن للعالم فشل الشيوعية والشيوعيين، وانتصار دين الله على أعداء الله الذين حاولوا بكل ما يملكون القضاء على دين الله -سبحانه- فقضى الله عليهم، وجعلهم عبرةً لكل من تُحدِّثه نفسه بالتصدي لدين الله.

المبدأ الثاني من مبادئ الشيوعية:

الأساس الثاني من أسس الشيوعية الماركسية، الأساس الذي يقولون فيه- أخزاهم الله-: «**الوجود كله مادة، والمادة سابقة في الوجود على الفكر**»، والشيوعيون بهذه المقولة- التي تمثل مبدأ أساسيًّا من مبادئهم- يتفقون مع كل المذاهب والتيارات المادية الملحدة، فكل الماديين- سواء كانوا شيوعيين، أو وجوديين، أو دهريين، أو غير ذلك- مجمعون على أنه لا يوجد في الكون إلا المادة فحسب، وليس ثَمَّ وجود آخر غير مادي، فالمادة أصل الوجود وجوهره، والوجود كله منحصر فيها، منها يبدأ، وإليها ينتهي، فليس في الوجود كله- سمائه وأرضه- سوى المادة المحسوسة الملموسة، وأي حديث عن وجود، أو موجود غير مادي لا يُرَى ولا يُحَسُّ إنما هو حديثُ وهمٍ وخرافة، وهو خداع وتضليل، ولأن المادة هي الموجود الوحيد؛ فإن كل ما في الحياة ناشئ بها، وعائد إليها، وهي أصله ومنبعه، حتى ولو كان في ظاهره غير مادي.

فالحياة نتاج المادة، والفكر نتاج المادة، هذا معنى قولهم: إن المادة سابقة في الوجود على الفكر والماهية، فهم يقولون: إن الفكر ناتج عن الدماغ، والدماغ مادة، فالفكر والمشاعر من حب وبغض، ورضى وغضب، وسعادة وتعاسة، كل ذلك مادة وناتج عن المادة، حتى ذكاء الإنسان وغباؤه كذلك.

وذلك مبدأ خطير؛ لأنه يضع الإنسان في مصافِّ الحيوانات الدنيا، ويجرده من إنسانيته وخصائصه التي اختصه الخالق -سبحانه- بها، من عقل، وإيمان ومعرفة واضحة بربه -سبحانه- وطاعة له -ﷻ- على كل حال، لكن الشيوعيين

- أخزاهم الله- أرادوا أن يجرِّدوا الإنسان من كل ميزة، ويضعوه في مصافِّ الحيوان الأعجم، فجاءوا بذلك المبدأ الذي يحصر كل شيء في الوجود في المادة التي تُحَسُّ وتُلْمَسُ، وأنكروا كل ما عداها، على أن في الإنسان جوانبَ لا يمكن تفسيرها ماديًّا، ولا إرجاعها إلى المادة، ففيه العقل، والفكر، والحب، والبغض، ولديه القيم العليا التي تعود في أصلها إلى العقيدة الإيمانية، ونجد الإنسان يضحي في سبيل دينه وعقيدته بكل من المال والولد، بل وبالنفس وبالحياة ذاتها.

فكيف نفسر ذلك؟ وكيف نرجعه إلى المادة؟

إن هذه الأمور، لا يمكن أن تفسَّر على أساس مادي، ثم إنه لو كان الأمر كذلك، وكان الذكاء الإنساني والمشاعر راجعة إلى المادة ألا يعني ذلك أن زيادة المادة وكثرتها وتضخمها تؤدي إلى زيادة ما ينتج عنها من ذكاء وفكر ورقة في المشاعر والإحساس بالحب والبغض، وأن قلة المادة وضآلة حجمها في الإنسان تؤدي إلى عكس ذلك، أي: تؤدي إلى ضعف في الذكاء وتبلد في المشاعر وجحود في العاطفة.

وذلك غير صحيح، بل إن الأمر قد يكون على عكس ذلك في الكثير من الأحيان، فقد يكون الإنسان ضئيل الحجم، نحيل الجسم، قليل الوزن فيما يتصل بالمادة، لكن مع قلة مادته يكون حادَّ الذكاء، قويَّ الفكر، والعاطفة، رقيق المشاعر، سريع الانفعال، في حين يكون من في ضِعف وزنه ماديًّا، متبلدَ الأحاسيس، ضعيف الذكاء، متخلف الفهم والفكر والعاطفة.

على أن ثمة أمرًا هامًّا جاء به العلم الحديث يهدم نظريات الماديين، ويَقلبها رأسًا على عقب، فقد غير العلم الكثير من المفاهيم القديمة عن المادة، وما يتصل

بها، مما جعل العلماء يختلفون حول مفهوم المادة، ولا يتفقون على تعريف محدد لها، وذلك منذ حدث تفجير الذرة لأول مرة، وتحولت المادة التي كانت تمثلها الذرة إلى طاقة مدمرة هائلة، وانطلقت هذه الطاقة على هيئة إشعاعات في الفضاء، وفنيت المادة التي كانوا يعرفونها سابقًا بأنها: ما له وزن وشَغَلَ حيزًا من الفراغ.

لقد تحولت المادة التي كان لها وزن، وكانت تشغل حيزًا من الفراغ إلى طاقة لا وزن لها ولا حيز.

فماذا عسى يقول الماديون بعد ذلك؟ وأين هي تلك المادة التي يجعلونها الموجودَ الأوحدَ، ويفسرون على أساس منها كل شيء في الوجود، وفي إطار الكلام عن العلم الحديث، فقد ثبت لدى العلماء بعد استقرار نظرية الثقب الأسود- وهو منطقة صغيرة المساحة نسبيًّا، لكنها ذات قوة جذب رهيبة تقع قرب مركز المجرة التي نحن جزء منها، وقد اصطلح على تسميتها: (الثقب الأسود) الذي رأوه العلماء من خلال أجهزتهم أنه يبتلع النجوم والكواكب التي تقترب منه فلا يظهر لها أثر بعد ذلك، وقد سموه لذلك (مقبرة النجوم) وقد أثبتت هذه النظرية وما تمخضت عنه من أبحاث أن المادة التي اكتشفها الإنسان في عالمنا الأرض تمثل سبعة من مائة من المادة في الكون الفسيح، وهذا يعني: أن الشيوعيين يبنون نظرياتهم على سبعة أجزاء من مائة من المادة التي يتبجحون بأنهم عرفوها، وأنهم بمعرفتهم المادة سيطروا على الوجود بأَسْره.

ألا ما أشد كذبَهم وافتراءَهم!! وما أشد كفرهم وضلالهم!!.

❁ ❁ ❁

خصائص التيار الشيوعي الهدَّام:

يعتبر التيار الشيوعي الماركسي أخطر التيارات الإلحادية الهدامة لأمور كثيرة، منها.

أولًا: أنه أكثر التيارات خطورة على الدين والأخلاق والقيم، ليس بتعاليمه فقط، بل؛ لأن الدول التي تدين بالشيوعية، وكذلك المنظمات التابعة لها تعلن الحرب على الدين علانية، وبخاصة دين الله الحق الإسلام، وتضع البرامج المدروسة لمحاربة الدين، وتنفذها بالقوة في إطار الدول التي تسيطر عليها الشيوعية، وبالحيلة والخديعة في محيط الدول الأخرى.

ثانيًا: أن التيار الشيوعي لا تتمثل خطورته في جمعيات، أو طوائف، أو هيئات متفرقة هنا وهناك، لكنه يمثل الاتجاه الرسمي والنظام الأساسي لعدد من الدول قد يبلغ سكانها نصف سكان العالم تقريبًا، فقد طُبِّقت الشيوعية بالقوة الغاشمة في الاتحاد السوفيتي، والصين، وتشيكوسلوفاكيا، ويوغسلافيا، وبولندا، والمجر، وكوبا، وبلغاريا، ورومانيا، وألبانيا، وألمانيا الشرقية، كل هذه البلاد والدول والأمم استولى عليها الشيوعيون، وطَبَّقوا فيها الشيوعية بقوة الحديد والنار، وقُتِلَ من شعوبها الملايين، بل إن بعض الشعوب الصغيرة تكاد تكون مُحِيت بسبب السياسة الإجرامية للشيوعيين، من أمثال: لينين الذي كان يقول: لا يهمني أن أُفني ثلاثة أرباع العالم ما دام الربع الباقي سيكون شيوعيًّا.

ثالثًا: أن معظم دول العالم التي لم تُطَبَّق فيها الشيوعية وُجدت بها أحزاب شيوعية تدين للنظام الشيوعي، وتأخذ توجهاتها وسياستها من الشيوعيين في روسيا، أو الصين، أو غيرهما، وبعض هذه الأحزاب يوجد في بلاد إسلامية، لكن

هذه الأحزاب وكل من ينتمي إليها يتوجه بولائه كاملًا لأسياده الشيوعيين في البلاد الشيوعية، ويعمل ضد وطنه ودينه وأمته.

رابعًا: أن الشيوعية قد اقتحمت على المسلمين ديارهم، ودخلت الكثير من بلادهم، إما استعمارًا كما فعلت بأفغانستان، وإما على هيئة أحزاب رَسْمية في كثير من البلاد الإسلامية، تزاول أنشطتها المخربة المدمرة إما تحت اسمها الحقيقي: (**الحزب الشيوعي**) وإما تحت ستار من أسماء زائفة تمويهًا وتضليلًا حتى لا يكتشف الشعب المسلم حقيقتها، فأحيانًا يُطلِق الشيوعيون على حزبهم (**الحزب الاشتراكي الإصلاحي**) وقد يُطلِقون عليه (**حزب التجمع الوطني**)[1] وكثيرًا ما يطلقون على أحزابهم أحزاب اليسار، ويبلغ تضليلهم وكذبهم أقصاه حين يُطلِقون على أنفسهم (**اليسار الإسلامي**) فيرتكبون بذلك عددًا من الفِرَى والأكاذيب، ليس أقلها زعمهم أن الإسلام به يمين ويسار، وأفحش من ذلك انتسابهم إلى الإسلام، والإسلام والمسلمون منهم بَرَاء.

❁ ❁ ❁

ومن الأمور التي نود أن يعيها المسلم بشأن الشيوعية:

أولا: عداء الشيوعية الماركسية الشديد للدين والمتدينين بعامة وللإسلام بخاصة، وهم يتبجحون بإظهار ذلك العداء، وإعلانه في كافة المناسبات، وقد كانوا يعلقون اللافتات الكبيرة، وقد كتبوا عليها مقولة لينين وشعاره الذي يقول

---

(١) كما في مصر بلدنا، ورغم أن الشيوعية سقطت في بلدها فإن الحزب الشيوعي في بلدنا -حزب التجمع- ما يزال متمسكا بشيوعيته.

فيه: (نؤمن بثلاثة: ماركس، ولينين، والملكية العامة، ونكفر بثلاثة: الله، والدين، والملكية الخاصة)، هكذا كانوا يعلنون في تبجح وتوقح- عليهم من الله -تعالى- ما يستحقون- وقد سجل التاريخ على الشيوعيين في روسيا بقيادة لينين، ثم ستالين- عليهما لعائن الله- أنهم اكتسحوا الجمهوريات الإسلامية التي كانت تجاور روسيا، واستولوا عليها بالقوة الغاشمة، وأبادوا ما يقرب من نصف سكانها، وحين دخل الشيوعيون هذه الجمهوريات الإسلامية، منعوا المسلمين من مزاولة شعائر الإسلام، وحولوا بيوت الله المساجد إلى دور للهو والبغاء العلني، وحولوا بعضها إلى مستودعات لآلات الزراعة، ومخازن للغلال، وحرَّموا على المسلم أن يظهر ما يدل- مجرد دلالة- على أنه مسلم، وكانت عقوبة من يُعثَر في بيته على المصحف الشريف السجن عامًا كاملًا، ووضعه على قائمة أعداء الدولة والنظام.

ثانيا: للشيوعيين سياسة معروفة في البلاد الإسلامية، حيث يعلنون على الناس أنه لا تعارض بين الإسلام والشيوعية، وأنه ليس هناك ما يمنع من أن يكون المرء مسلمًا وشيوعيًّا ماركسيًّا في آنٍ واحد، ولتأكيد هذا المعنى الخبيث؛ يذهب كثير من رؤساء وأعضاء الأحزاب الشيوعية لأداء فريضة الحج، ويهتمون بإظهار ذلك في الصحف ووسائل الإعلام، ويحرصون على أن ينادي بعضهم بعضًا أمام الناس بلقب (يا حاج) كل هذا ليخدعوا الجماهير ويقنعوهم بأنه لا تعارض بين الشيوعية والإسلام، وهم في هذا أكذبُ الخلق؛ لأنهم يعلمون جيدًا بأن أول مبدأ من مبادئ الشيوعية الماركسية: لا إله، والدين خرافة يجب القضاء عليها.

ثالثا: لقد انهارات الشيوعية في أول وأكبر معاقلها وهو الاتحاد السوفيتي،

وتفتت الاتحاد السوفيتي، واستقلت الجمهوريات الإسلامية التي كانت ترزح تحت ظلمات الشيوعية، أو هي في طريقها للاستقلال بفضل الله -سبحانه-.

أما روسيا التي كانت حاميةً للشيوعية، فقد ودعت الشيوعية نهائيًّا، وجاء على ألسنة زعمائها الإقرارُ بأن مبادئ الماركسية لم تعد صالحة للتطبيق، كل هذا الانهيار جاء بعد أكثر من سبعين عامًا من محاولات تطبيق الشيوعية والإبقاء عليها، لكنها انهارت بفعل زعمائها الشيوعيين أنفسهم، وليس بفعل أحد خارج نظامها.

ومن عجيب أن تنهار الشيوعية في بلادها، بينما ما يزال أصحاب الأحزاب الشيوعية في كثير من البلاد الإسلامية متمسكين بشيوعيتهم رافضين تركها والعودة إلى دين الله الحق.

ولكن غدًا يأتيهم الانهيار الذي قضى على أسيادهم في الكريملين الروسي ليقضي عليهم، وتتطهر دنيا الناس من تيار من أشد التيارات تدميرًا للدين والخلق والقيم.

والله غالب على أمره.

العلمانية

العَالَمانية، أو العَلْمَانية، وهي وباء العصر، إلى درجة أننا يمكن أن نسمي العصر الذي نعيشه: عصر العلمانية.

ولنبدأ ببيان معنى هذه اللفظة: (**العَلْمَانية**) وبيان المراد بها تحديدًا.

لفظة: (العَلْمَانية) مشتقة من العالم، أي: الحياة الدنيا في مقابل الحياة الآخرة، وهي نسبة على غير قياس، فإن النسبة إلى العالَم تقتضي أن تكون الكلمة: (العَالَمِيَّة، أو العَالَمَانِيَّة) لكنهم نطقوها العَلْمَانية نسبة إلى العالَم على غير قياس، تخفيفًا على اللسان العربي، وحتى لا تكون ثقيلةً في النطق، فتجرى على الألسنة، ويكثر استعمالها وشيوعها وذيوعها، هكذا أراد لها الذين وضعوها أولًا، وهم نصارى لبنان، كما سنبين ذلك- بحول الله -تعالى-:

والعَلْمَانِيَّةُ في الأصل ترجمة للكلمة اللاتينية: (Secularism) مأخوذة من الكلمة (Secular) وهي تعني: (**اتجاهًا دنيويًّا، أو مذهبًا لا دينيًّا**).

وكان أول من وضع هذه اللفظة في اللغة العربية نصراني لبناني اسمه: (إلياس بقطر) وضعها في معجم عربي فرنسي من تأليفه، وذلك عام ستة وعشرين وثمانمائة وألف -١٨٢٦م-، ثم تبعه على ذلك أصحاب المعاجم النصارى- أيضًا- ومنهم: خليل الجسر، والبستاني في معجميهما.

ولأن العلمانية لفظ، أو مصطلح مستحدث؛ فإننا لا نجد له ذكر في معاجم

اللغة العربية القديمة، وأول معجم عربي أورد ذكره، هو المعجم الوسيط الذي وضعه مجمع اللغة العربية.

لكن معاجم النصارى في لبنان سبقت إلى ذلك، حيث إن العلمانية مُشْكِلَةٌ نصرانية أولًا وأخيرًا، ولا صلة لها بالإسلام والمسلمين؛ لذلك كان هؤلاء أسبقَ إلى ترجمتها والدعوة إليها، ولقد عُنينا ببيان اشتقاق الكلمة، ونسبتها إلى المصدر الذي أُخذت عنه، وأنها (العَلْمَانية) بفتح العين نسبة إلى العالم الدنيوي المادي في مقابل العالم الأخروي الغيبي وليست (العِلْمَانية) نسبة إلى العِلْمِ، كما يحلو لبعضهم أن يُضلل بنطقها، حيث كان رجال الدين النصارى يحاربون العلم ويحرقون العلماء.

يتضح مما ذكرناه أن العلمانية اتجاه فكري سياسي اجتماعي يعني: اللادينية في مقابل الدين، كما يعني: العالم الدنيوي المادي، في مقابل العالم الغيبي؛ ولذلك كان أقرب الترجمات صحة لهذه اللفظة هي **(اللادينية)**.

فالعَلْمَانية- إذن- تيار فكري نصراني غربي يقوم على أن الدينَ- أيَّ دينٍ- لا صلة له بشئون الحياة الدنيا، وأن الحياة التي يعيشها الناس بكل ما فيها ومن فيها لا علاقة لها بالدين من قريب، أو بعيد، وأن الدين يجب تنحيته بعيدًا عن حياة الناس، وأن أيَّ إنسان حرٌّ في أن يدين بأي دين يراه، شريطةَ أن يجعل دينه حبيسًا داخل نفسه، فلا يَظهر له أثر على حياته وتصرفاته مع الآخرين:

❁ ❁ ❁

نشأة العلمانية:

أما عن نشأة العلمانية؛ فقد ظهرت العلمانية في أوربا في أواخر القرن السابع عشر دعوة على ألسنة عدد من المفكرين الغربيين، ثم بدأ تطبيقها الفعلي بفرنسا عقب الثورة الفرنسية في أول حكومة أقامها الثوار.

وقد كان لظهور العلمانية في الغرب النصراني أسباب كثيرة، أهمها: الكنيسة ورجالها، فقد جاء على رجال الدين النصارى فترة من الزمن تحولوا فيه إلى طغاة جبابرة، يستنزفون أموال الناس ويعتدون على حرماتهم، وأخطر من ذلك: أنهم وقفوا يقاومون الحركة العلمية التي بدأت في عصر النهضة، فكانوا يفرضون نظرياتهم في الفلك والكون على العلماء، وكان العالم الذي يخالف نظريات رجال الدين التي استقوها من كتبهم المحرفة يُحكَم عليه بالموت حرقًا، وذلك عن طريق محاكم التفتيش التي كانت تحكم على العالم بالموت دون أن تنزف منه قطرة دم واحدة، ويعنون بذلك: الموت حرقًا، وقد نفذ الموت حرقًا في كثير من العلماء، وكثير آخرون رجعوا عن نظرياتهم العلمية خوفًا من الحرق، مثل: جاليليو العالم الإيطالي، كل ذلك أدى بالشعوب الغربية- بعد جهاد طويل- إلى القضاء على سلطان رجال الدين النصارى، بل رفض الدين النصراني جملة، وإبعاده عن كافة شئون الحياة، وحبسه داخل جدران الكنائس، فأصبح باب الكنيسة يفصل بين عالَمَينِ، من باب الكنيسة إلى داخلها هناك النصرانية ورجالها، ومن باب الكنيسة إلى الخارج هناك الدنيا الواسعة التي ليس للنصرانية عليها من سبيل، لا في قليل ولا في كثير، وقد رضيت الكنيسة بذلك، واستقر الأمر على هذا في الغرب.

هذه قصة العلمانية في الغرب النصراني، وقد بان لنا أن العالم الغربي النصراني قد اصطلى بنار النصرانية الباطلة، وفساد رجالها، ولم يكن له سبيل للخلاص من هذا كله إلا بالعلمانية، أي: بالقضاء على النصرانية ورجالها، وإبعادها عن حياة الناس جملة.

وإذا كان ذلك؛ فما قصة العلمانية مع المجتمعات الإسلامية؟

أسباب انتقال العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية:

سبق أن بيَّنا أن العلمانية مشكلة نصرانية بحتة، وإذا كان ذلك؛ فما علاقتها بالإسلام والمسلمين؟

وما هي الأسباب التي جعلت العلمانية تنتقل إلى الكثير من المجتمعات الإسلامية، إن لم يكن جميعها؟ وما هي الأسباب التي جعلت العلمانية هي السمة الرسمية لبعض هذه المجتمعات؟

إن كان الغرب قد أخذ بنظام العلمانية، وفصل الدين عن الدولة وعن شئون الحياة تمامًا، وحبس دينه النصراني داخل الكنيسة؛ فذلك أمر مقبول لدى النصارى، ذلكم أن النصارى يقيمون علاقتهم مع دينهم ورجال دينهم على أساس مقولة يزعمون أن المسيح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قالها، وهي: **(أعطِ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)**، هذه المقولة التي يزعمون باطلًا أن المسيح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قالها، تمهد الطريق للعلمانية، وفصل الدين عن الدولة، وعن شئون الحياة برمتها.

أما الإسلام فشيء مختلف تمامًا عن ذلك؛ إذ الإسلام لا يعرف هذه الثنائية، فليس في حياة المسلم شيء هو لله -سبحانه-، وشيء آخر هو لغير الله -سبحانه-، بل حياة المسلم كلها هي من الله، ولله، وبالله، وفي الله -عَزَّ وَجَلَّ-، المسلم منذ يدخل إلى هذه الحياة حتى يخرج منها وهو محكوم بشرع الله -سبحانه-، ملتزم بما يرضي الله -تعالى-، وشعار المسلم في ذلك، وهو قول الله -عَزَّ وَجَلَّ- لرسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

بذلك نجد حياة المسلم محكومة بشرع الله -تعالى-، وما من حياة المسلم

مثقال ذرة إلا ولها من شرع الله -ﷻ- ما يحكمها وينظمها، والإسلام كل متكامل، لا يستطيع المسلم تنحيته ولا شيئًا منه عن حياته.

ومن جانب آخر؛ فليس هناك مسوغ لتنحية الإسلام عن الحياة، كما فعل النصارى بدينهم ورجاله، فالنصارى إنما دفعهم إلى ذلك طغيان رجال دينهم، ووقوفهم ضد العلم والعلماء. والإسلام لا يوجد فيه شيء من الأمرين جميعًا.

فالإسلام ليس فيه رجال دين طغاة جبابرة، يحتكرون تفسير الكتاب، وشرح السنة، ويفرضون ذلك على الناس فرضًا، ليس في الإسلام، شيء من ذلك وإنما فيه علماء يعظون الناس في دينهم، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، وليس في أيدي علماء الإسلام سلطات طاغية يستغلونها لإشباع أهوائهم، وسلب الناس أموالهم، ولا هم يطوعون الإسلام وأحكامه لأهوائهم كما يفعل رجال الدين النصارى.

هذا من جانب، ومن جانب آخر؛ إذا كانت النصرانية ورجالها قد وقفوا عقبة ضد العلم، وأحرقوا العلماء أحياء، وأنشأوا ما عُرف بمحاكم التفتيش لإرهاب العلماء والقضاء على النهضة العلمية في الغرب النصراني؛ فإن الإسلام لم يقف يومًا عقبة في سبيل العلم، ولا أرهب العلماء، بل إن الإسلام على نقيض ذلك، حضَّ على العلم، وأعلى من شأن العلماء، وهذه حقيقة لا ينكرها حتى أعداء الإسلام أنفسهم، ويكفي دليلًا على موقف الإسلام من العلم: أن أول آيات نزلت من كتاب الله -تعالى- على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاءت بالعلم، ووسائل العلم من قراءة وكتابة، وبينت أن مصدر العلم حقًّا هو الله -سبحانه-،

وذلك في قول الله -عَزَّوَجَلَّ-:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥].

وقال -سبحانه-:

﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال رسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما رواه الترمذي وأبو داود عن أبي الدرداء -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: «**مَن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لَتضَعُ أجنحتها رضًا لطالب العلم**»[1]، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة ومشهورة.

برغم كل ذلك فقد وفدت العلمانية إلى الكثير من المجتمعات الإسلامية، واتخذها كثير من الدول الإسلامية نظامًا سياسيًّا، بل إن بعضها نصت على ذلك في دساتيرها وقوانينها التي تحكم بها تلك المجتمعات.

❁ ❁ ❁

أهم معتقدات العلمانيين في العالم العربي والإسلامي:

أولًا: يدعو العلمانيون في البلاد الإسلامية إلى فصل الدين عن الحياة تمامًا، وقد نجحوا في ذلك إلى حدٍّ كبير في بلاد كثيرة.

ثانيًا: الطعن في صلاحية الإسلام للحكم، وأنه مجرد طقوس وشعائر روحية، وأنه لم يعد صالحًا للعصر الذي نعيشه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢).

ثالثًا: الزعم بأن الإسلام دين يدعو إلى التخلف والجمود، ومن دلائل ذلك: ما يفرضه على المرأة من الحجاب، وعدم الاختلاء بالأجانب، ووجوب المحْرَم في ظروف معلومة.

رابعًا: الدعوة إلى ما يسمونه -زورًا وبهتانًا- تحرير المرأة من أغلال الرق والعبودية التي فرضها الإسلام عليها.

خامسًا: الدعوة إلى عدم اعتبار الإسلام وأحكامه في أية قضية من قضايا الحياة، وإطلاق شعار: **(الدين لله، والوطن للجميع)**، وشعار: **(لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين)**.

هذه بعض مطامع العلمانيين في الإسلام دين الله:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

❁ ❁ ❁

هذه أهم معتقدات العلمانية -أخزاهم الله- في بلادنا الإسلامية وهي مطاعن تعلق عن كفر صحيح بالله ورسوله ودين الله الإسلام، وهي كلها بحجة على الإسلام والمسلم، وكل الذي دعوا إليه مردود عليه، وتحديدا نقول عن هذه الأمور:

أولا: لا يمكن فصل الدين عن الدولة بأي شكل، ودستور الأمة جعل الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع وبخاصا في الوصول إلى هذا أمر جيد، وتطبيقه في كل صغيرة وكبيرة قادم لا محالة، فقد ينبغي عدم اليأس وأن لا نصاب بالإحباط.

ثانيا: الإسلام صالح تماما للحكم، وأوهامهم وضلالاتهم مصيرها إلى زوال،

وقد طبق الإسلام في الدولة الإسلامية وكانت مصر آنذاك مجرود ولاية صغرى، ونحن نأمل أن يتحقق ذلك التطبيق مرة أخرى.

ثالثا: كلامهم عن المرأة مرفوض في كل نواحيه والإسلام حين كن مطبعا كان علماء الإسلام أساتذة الدنيا، وكانت المرأة سيدة في بيتها معلمة في مجتمعها، محترمة في الدنيا كلها.

رابعا: فرض الإسلام الحجاب على المرأة حماية لها وللمجتمع كله، وربنا -سبحانه- ما حرم شيئا مثل الزنا إلا وحرم الوسائل الموصلة إليه، وكما فرض على المرأة الحجاب حرم على الرجل النظر، أما هم فلا مانع لدينا أن يعروا نساءهم، وأن يتاجروا بأعراضهم إن كانت لديهم أعراض أو كان لديهم ما يسمى بالشرف.

خامسا: الأمر الذي لا يجادل فيه أحد أن الإسلام مطبق مائة بالمائة عند أفراد الشعب المسلمين، أو على مستوى الأفراد أو الأسر والجماعة المسلمة، لا يشذ عن هذا أحد بدءا من اجتماع رجل بامرأة، أي من تكوين الأسر، ثم ما يلي ذلك ويتبعه من العمل والرزق وختان الذكور ثم ولادة الأطفال، والأذان في الاذن اليمنى والإقامة في الأذن اليسرى، وقد لاحظت بكل السعادة والغبطة أن المستشفى التي ولدت فيها ابنتي قامت الطيبة المولدة بهذا المنسك رغم أن هناك خلافا في أذان المرأة مع إمكانية وجود الرجل... فأبى تزوج أمي وأنجينا على ملة الأكرام، وكذلك فعل أبوه وأمه، وكذلك فعل ابني وبناتي... والأمر العجيب أن دعوة جاءتني لعقد قران وابنه أحد العلمانيين المنفلتين، وقال بلسانه وهو ينوب عن ابنته في العقد: «على دين الله وسنة رسوله ومذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة...»

ويأتينا يوما غالبا أسئله حول الطلاق وفوائد البنوك والزكاة، الشاهد هنا أن الإسلام لدى الأمة مطبق كاملا، وإن كان هناك عبادة فقد كان على عهد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عدياة، ويبقى الجزء الخامس بالدولة نأمل في وجه الله خيرا أن يطبق قريبا... والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الداروينية

نعرض في هذا المبحث لتيار من التيارات الخطيرة التي عارضت الإسلام، بل وعارضت العقل والمنطق السوي حتى عند الوثنيين والصنميين؛ فإن الصنميين حينما سئلوا عن خالق السماوات والأرض، قالوا: الله، فأقروا لله تعالى بالخلق، وقد ورد عنهم في التنزيل الشريف قول الله -تعالى-:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩]، ويقول الله -ﷻ- عن عبدة الأصنام- أيضًا-:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فهؤلاء الصنميون يقرون لله -سبحانه- بصفة الخلق، ويؤمنون بأنه -سبحانه- خالق السموات والأرض وخالقهم.

أما أصحاب هذا التيار الفاسد ومن تابعهم فإنهم ينكرون وجود الله -تعالى-، ولا يقرون به، فضلًا عن أن يقروا له -سبحانه- بالخلق والتدبير، وهم يسندون قضية الخلق والتدبير إلى الطبيعة، فيزعمون أن الطبيعة هي التي أوجدت نفسها، وهي الخالقة والمدبرة، فهم في هذا الزعم يتفقون مع الملاحدة والدهريين وغيرهم، لكن خطر أصحاب هذا التيار أشد من هؤلاء جميعًا، فهم أشدُّ الملاحدة خطرًا، وأسوأ أثرًا، وخطر أصحاب هذا التيار إنما يأتي من أنهم لبسوا مسوح العلماء الجادين، وأضفوا على مذهبهم وأفكارهم سمة الدراسة والبحث

والموضوعية، وزعموا أنهم يحدثون الناس بلسان الحقائق الواقعية، والقوانين الطَّبعيّة، وقد أقاموا صرحًا من الأكاذيب بنوها على أساس من افتراضات موهومة، وظواهر خادعة مزعومة، وصاغوا كل ذلك في أساليب زعموا أنها علمية موضوعية، فانخدع الناس بمزاعمهم تلك حينًا من الدهر، حتى شاء الله -تعالى- أن تنقشع الغمة، ويُكشَف زيف هذا التيار، ويبين كذبه، وكان من فضل الله -سبحانه- أن تجيء أدلة كذبه من العلماء الغربيين أنفسهم الذين تولى سلفهم الدعوة إليه، والترويج له.

وما يسمى: (**نظرية التطور**)، أو ما يسمى- أحيانًا-: (**نظرية النشوء والارتقاء**)، أو ما يسمى- كذلك-: (**الداروينية**) نسبة إلى أشهر القائلين بتلك الخرافة الموهومة فهذا تيار زائف اشتهر عند الباحثين والدراسين بـ: (**نظرية التطور الحيوي**)، أو (**نظرية التطور العضوي**) ولعله من الأوفق أن نقف وقفة يسيرة نعرض خلالها لمعاني كلمة: (تطور)، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: أن لفظة (التطور) هي أشهر صفات النظرية الكاذبة، وأن محتوى النظرية في جملته قائم على ما يسمى: بالتطور.

أما الأمر الثاني: فإن بعض من افتتنوا بهذه النظرية الفاسدة- ومنهم ذوو الأغراض الخبيثة- قد زعموا أن الإسلام قد جاء بما يؤيد هذه النظرية، بل زادوا على ذلك، فزعموا أن الإسلام قد سبق إلى القول بها وتقريرها، وأن القول بها قد جاء نصًّا من نصوص القرآن المجيد، وقد كذبوا، وفي بيان كذب النظرية والقائلين بها يأتي مبحثنا هذا.

إن كلمة (تطور) مأخوذة من كلمة (طور) و(الطور) في اللغة: الحال، والتارة، والمرة، يقال: طورًا بعد طورٍ، أي: حالًا بعد حالٍ، وتارةً بعد تارةٍ، ومرةً بعد مرةٍ، ويقال: الناس أطوار، أي: الناس حالات مختلفة، وأشكال متفرقة، وأخلاق شتى، وقد ورد في التنزيل الشريف قوله تعالى:

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣- ١٤].

وقد قيل في معنى (أطوارًا) في الآية الكريمة: أنها الأشكال والألوان والأحوال والألسنة، أي: خَلَقَ الله -تعالى- الناسَ على أشكال مختلفة، وألوان متعددة، وألسنة كثيرة متباينة، لكن الأرجح في معنى (أطوارًا) في الآية الكريمة أنها المراحل التي يمر بها خلق الإنسان، مذ كان نطفة حتى يصير خلقًا سويًّا، تامَّ الخلقِ، مكتملَ التكوينِ، وإلى ذلك ذهب جمهرة المفسرين، قالوا: خلق الله الإنسان أطوارًا؛ طورًا نطفة، وطورًا علقة، وطورًا مضغة، حتى يصير تامَّ الخلق، ولقد أشار القرآن المجيد إلى هذه الأطوار في خلق الإنسان، فقال -ﷻ-:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢- ١٤].

ومثل ذلك يكون الإنسان- أيضًا- أطوارًا بعد أن يخرج من بطن أمه، فطورًا هو طفل، وطورًا هو شاب، وطورًا هو كهل، وطورًا هو شيخ، وقد أشار الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى أطوار الإنسان في بطن أمه، فقال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة

مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد»[١].

هذه هي معاني لفظة: تطور، ومعنى كلمة: (أطوارًا) الواردة في التنزيل الشريف، وقد فصلنا في بيان المراد منها بعضَ تفصيلٍ؛ لأن بعض مدعي العلم ومن قبلهم ذوو الأغراض الخبيثة قد ادَّعَوا أن القرآن المجيد قد جاء بما يؤيد (نظرية التطور) الداروينية، وقد أرادوا بمقالتهم تلك هذه الآية الكريمة؛ لذلك بيَّنا معناها؛ ليتبين لنا مدى كذبهم وافترائهم.

وإذا كان هذا معنى الطور في القرآن المجيد؛ فما المراد بالطور والتطور لدى أصحاب هذا التيار الفاسد؟

إن علماء التطور يُعَرِّفون نظريتهم تلك بتعريفات كثيرة، سنختار منها تعريفًا مبسَّطًا، ثم نشرحه مبينين المراد بهذه النظرية، يُعَرِّفُ العلماء النظرية الداروينية بأنها: «افتراض أن جميع الكائنات الحية التي تعيش على الأرض من نبات وحشرات وحيوان وإنسان قد نشأت جميعها عن أصل واحد، أو كانت في بدايتها شيئًا واحدًا، وأنه نتيجة للتغيرات المستمرة التي حدثت لها قد تحولت من كائنات بسيطة التركيب إلى كائنات أخرى أكثر تعقيدًا وتنوعًا»[٢].

ونظرية التطور التي جاء بها دارون وأشياعه تعني: أن جميع الكائنات الحية التي تعيش على هذه الأرض، سواء كانت ميكروبات، أو جراثيم كالأميبا، أو

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٣).

(٢) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية (ص١٧)، ومجلة عالم الفكر، م١٢، (ص٢٣٦).

نباتات، أو حشرات، أو حيوانات، أو إنسانًا، كل ذلك بدأ في أصله- كما يزعمون- شيئًا واحدًا، أو كائنًا واحدًا بسيطَ التركيب، ثم بمرور الزمان وتغير الظروف البيئية، أخذ هذا الكائن يتغير، ويتطور، ويتنوع، ويترقى، فينتج عنه كائن أعلى، ثم عن طريق الترقي المستمر- عبر ملايين السنين- وصلت الكائنات إلى الكائن الأعلى الذي هو الإنسان، وقد زعموا أن الأمر لن يقف عند الإنسان؛ فإن مسيرة التطور مستمرة، وسوف يتحول الإنسان إلى كائن أعلى منه، وهو ما أسموه: (**السوبرمان**) أي: الإنسان الأعلى، أو الأكمل.

أما كيف تم ذلك؟

فإن أصحاب نظرية التطور يعتقدون أنه لم يكن على وجه الأرض حياة منذ آلاف الملايين من السنين، وكان كل شيء جمادًا، ثم يقولون: في بقعة ما من البقاع التي يلتقي فيها الماء باليابسة على شاطئ البحر، في هذه البقعة اعتدلت البرودة والحرارة، والرطوبة واليبوسة، واجتمعت كل العناصر الضرورية لنشأة الحياة وفجأة ظهرت الحياة لأول مرة على ظهر هذا الكوكب، وقد ظهرت الحياة على هيئة بسيطة، على هيئة كائن حي وحيد الخلية، ويقصدون به ما يسمى: (بالأميبا)، ثم يزعمون- أيضًا- أن خلية (الأميبا) تكاثرت حتى صارت كائنًا متعددَ الخلايا، ثم قذف البحرُ ببعض هذه الكائنات إلى اليابسة، فنشأ من ذلك الكائنات البرمائية، ثم تطورت الكائنات وتنوعت، فنشأت النباتات، ثم الحيوانات الدنيا، ثم الحيوانات العليا، ثم كان آخر المطاف الإنسان، كل ذلك نشأ بعضه عن بعض بفعل البيئة والظروف، دونما حاجة إلى خالق بديع حكيم مدبر.

يقول دارون- في كتابه: (**أصل الأنواع**) الذي يعتبر المرجع الأساس لدى التطوريين، يقول-: إن سلسلة الموجودات الحية نشأت على الشكل الآتي الأساسي: كائن وحيد الخلية وهو الأميبا، ثم كائنات متعددة الخلايا كالفطريات، ثم عن الفطريات نشأت النباتات، ثم كائنات نباتية تشبه الحيوان، مثل: نبات الهيدرا، ثم حيوان يشبه النبات، وهو المرجان، ثم حيوانات لا فقارية، مثل: التي تعيش داخل القواقع، ثم الحيوانات الفقارية البسيطة، مثل: الزواحف والأسماك، ثم حيوانات فقارية أعلى، مثل: الثدييات، ثم نشأ عن تلك القردة الدنيا، ثم نشأ عن القردة الدنيا القردة العليا، وهي الغوريللا، ثم نشأ عن القردة العليا حلقة بين الإنسان والقرد، يسميها دارون: (**القرد الإنسان**)، ثم نشأ أخيرًا الإنسان، وكل هذه المراحل موجودة ما عدا ما يزعمه دارون مما أسماه: (القرد الإنسان) وسوف نتناول ذلك في نقد النظرية- بحول الله -تعالى-.

هذه هي الصورة التي يتخيلها أصحاب نظرية التطور عن وجود الحياة على الأرض، والحياة- عندهم- قد نشأت وتنوَّعت بفعل الطبيعة دون خالق- كما ذكرنا- وقد استعمل دارون لفظة (الخلق) في كتابه الأول: (أصل الأنواع)، ثم عاد في آخِر مؤلفاته، وهو كتابه: (**تسلسل الإنسان**) فاعتذر للقراء عن استعماله لفظة (الخلق) قائلًا: إنه لا يوجد خلق ولا خالق، وإذا كان ثمة خالق فهو الطبيعة، وقد قال في آخِر مؤلفاته: «إن الطبيعة تخلق كلَّ شيء، ولا حدَّ لقدرتها على الخلق»، هذه عبارة دارون الملحد، نُهديها إلى الذين يتعصَّبون لنظريته زاعمين أنها لا تتعارض مع الدين.

الأسس التي بني عليها دارون نظريته:

لقد بنى دارون نظريته في التطور على أسس باطلة، وافتراضات كاذبة زائفة، وأهم الأمور التي دفعته إلى القول بهذه النظرية ما يلي:

أولًا: لاحظ دارون التشابه الكبير بين جميع الأحياء الفقارية، أي: ذات العمود الفقري، لاحظ تشابهها الشديد في تركيب أجسامها من حيث أطرافها الأربعة، وجهازها الهضمي، وأجهزة الجسم الأخرى من قلب وأمعاء وكُلى، وتفصيل الأجسام من رأس وجذع وأطراف، وقد لفت نظره بشدة ذلك التشابه، أو التماثل في عدد الفقرات في عمودها الفقري، إلى حد أن عنق الزرافة على طوله، له نفس عدد فقرات عنق الضفدع على قصره، وأخذ يطبق هذا على الأحياء المائية والبرية مما دفع به في نهاية الأمر إلى القول بوجود صلة قوية بين جميع الأحياء، ثم افترض أنها جميعها ترجع إلى أصل واحد تفرعت عنه، وتطورت بمرور الزمن عبر آلاف الملايين من السنين.

ثانيًا: لاحظ دارون- أيضًا- أن هناك تلاءمًا وتوافقًا بين تكوين الكائن الحي والبيئة التي يعيش فيها، فكل كائن تكونت أعضاء جسمه لتتلاءم مع بيئته، فالسمك تحولت أطرافه إلى زعانف ليسبح بها في البحر بدل الأيدي والأرجل للكائنات الأخرى التي تعيش على البر، والسلحفاة واحدة في البر والبحر، غير أن التي في البحر تحولت أطرافها إلى زعانف بخلاف التي على البر، والجمل تكونت له أخفاف مفلطحة؛ لأنه يعيش في بيئة رملية، وحتى لا تغوص أقدامه في الرمال، والحصان تكونت له حوافر صلبة؛ لأنه يعيش على الصخور، وعلى نفس النسق

طال عنق الزرافة؛ لأنها تأكل فروع الأشجار، وبينما قصر عنق الضفدع لعدم حاجته إلى ذلك، وهكذا.

وبدلًا من أن يقول دارون- عندما لاحظ ذلك-: سبحان الله الحكيم، الخالق البديع، الذي أحسن كل شيء خلقه، لم يقل دارون هذا، وإنما دفعه ما رآه إلى العدوة القصوى من الكفر والإلحاد، فقرَّر أن هذا الذي يراه إنما هو من فعل البيئة، ومن أثر الطبيعة، وبنى على ذلك قانونًا من أهم القوانين في نظريته أسماه: **(قانون الانتخاب الطبيعي)**.

ثالثًا: قانون الانتخاب الطبيعي هذا يقصد به (دارون): أن الطبيعة تمد الكائن الحي الذي يعيش فيها بأعضاء جديدة تتلاءَم مع البيئة، وذلك كما حدث للسلحفاة البرية؛ فإنها كانت في زعمه بحريةً ذاتَ أرجلٍ مفلطحة كالزعانف، فلما خرجت إلى البر، وصارت أطرافها التي هي زعانف لا تتلاءم مع السير على الأرض، فقد أنشأت لها الطبيعة أرجلًا بها أصابع وأظافر للتلاءم مع الحياة البرية- هكذا زعموا- إضافة إلى ذلك، وتمشِّيًا مع هذا القانون: أن العضو الذي لا يستعمله الكائن الحي يذوي ويموت، وقد زعموا: أن الإنسان في أصله قرد، وكان له ذيل مثل القردة؛ لكن لأنه لـمَّا لم يستعمل ذيله، ولأنه يجلس على مقعدته، فقد ضمر الذيل ومات، ولم يعد له وجود، وهذا من فعل الطبيعة- في زعمهم، أخزاهم الله.

رابعًا: زعم دارون وأشياعه: أن أعداد النوع الإنساني سوف تتزايد بمتوالية هندسية، أي: (٢.٤.٨.١٦.٣٢) بينما أنواع الغذاء والطعام سوف تتزايد بمتوالية عددية، أي: (٢.٤.٦.٨.١٠.١٢) وذلك حسب قانون (مالتس) الإنجليزي،

المهم في هذا أنهم زعموا أن الطعام سوف لا يكفي الأعداد المتزايدة من البشر، وبالتالي سوف يكون هناك صراع بين الأحياء الكثيرين على الطعام القليل، وتكون النتيجة أن الأقوى جسميًّا من البشر سوف يتغلب على الضعيف، ويحصل هو على الغذاء ويعيش، بينما الضعيف سوف يموت من الجوع، أو من التقاتل مع القوي.

ومن هنا فقد وضع دارون قانون: (**الصراع من أجل البقاء**) وقانونًا آخَرَ هو: (**البقاء في الصراع إنما هو للأقوى**)، وجعل دارون هذين القانونين هما السبب في تطور الكائنات وترقيها من الأدنى إلى الأعلى، فالصراع قائم بين الكائنات كلها- بما فيها الإنسان- على الغذاء، والقوي يقتل الضعيف، فتخلو المجتمعات من الضعاف، ثم يأتي الأقوى فيقتل القوي، وهكذا تترقى الموجودات من الضعيف إلى القوي، ومن القوي إلى الأقوى- هكذا زعموا، وقد كذبوا فيما زعموا.

❁ ❁ ❁

نقد النظرية:

بيَّنا فيما سبق أن دارون قد أقام نظريته في (التطور الحيوي) على عدد من الأضاليل التي سماها: (قوانين) وقد أشرنا إلى عدد من أهم قوانينه تلك، وسوف نلقي بعض الضوء على هذه التي أسماها قوانين؛ ليبين لنا بوضوح أن هذه التي أسماها: (قوانين) إنما هي في ميزان الحق خرافات وأوهام وأضاليل.

وخلاصة ما اعتمد عليه دارون في نظريته تلك ما يلي:

أولًا: التشابه بين الكائنات الحية في تكوينها الجسمي، وبخاصة ذوات العمود الفقري.

ثانيًا: اعتمد دارون- أيضًا- على ملائمة الكائن الحي في أعضاء جسمه للبيئة التي يعيش فيها.

ثالثًا: اعتمد دارون على ما أسماه: (الانتخابات الطبيعي) وزعم في هذا القانون أن الطبيعة هي التي تخلق في الكائن الحي الأعضاء التي تناسب البيئة التي يعيش فيها.

رابعًا: زعم دارون أن الغذاء في الطبيعة لن يكفي الأحياء الذين يعيشون فيها؛ ولذا فسوف يقع الصراع بين الأحياء الكثيرين على الغذاء القليل، ومن ثم فسوف يقضي القوي على الضعيف، ثم يقضي الأقوى على القوي وهكذا، وقد سمَّى ذلك: (الصراع من أجل البقاء) ورتَّب على ذلك قانونًا آخَرَ أسماه: (البقاء للأقوى).

هذه أهم قوانين التطوريين، وقد وعدنا أن نوجز القول في الرد عليها، ثم نقول كلمتنا في نقد النظرية بشكل عام، فنقول:

إن القوانين الثلاثة الأُوَل لا نرد عليها إلا بقول الله -سبحانه-:

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١]، أما التشابه بين جميع الأحياء الفقرية في البنية الجسمية، فهذا خلق الله -تعالى-، خلق الجميع على الهيئة التي أراد -سبحانه-، ولو أراد الله -تعالى- أن يخلق الكائنات على غير ذلك لفعل، فهو -سبحانه-:

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج: ١٦]، فقد خلق الخلق أصنافًا شتى كي نتفكر في حكمته، فيهتدي الضال، ويؤمن الكافر، ويزداد المؤمنون إيمانًا، لا ليكفر به الكافرون، قال تعالى:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥]

فالتشابه ليس دليلًا على أن بعض الكائنات قد تفرَّع عن بعض، بل هو دليل على قدرة الخالق الحكيم، وأنها من صنع إله واحد لا شريك له، ومع أن البنية متشابهة، فلقد أمد الله -تعالى- كل كائن بما يناسب البيئة التي يعيش فيها؛ كي يستطيع العيش والبقاء، فالسمك له خياشيم تعينه على الحياة في الماء، والإنسان له رئتان ليحيا على اليابسة، كل ذلك من حكمة الله -تعالى-، ومن أعظم الآيات الدالة على حكمته، الداعية إلى الإيمان به -ﷻ-.

ولقد لفت الله -تعالى- الأنظار إلى (الإبل) تحديدًا، فقال -ﷻ-:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]

وذلك لما خلق الله -تعالى- لها، وما زوَّدها به من أعضاء تعينها على العيش في الصحراء، حيث يندر الطعام والماء، فزودها بمخزن للطعام تمثَّل في أسنامها التي تأخذ منها كلما جاعت، ومخزن للماء تمثَّل في معدتها الكبيرة وقدرتها الخاصة على الاحتفاظ بالماء، وقد لفت القرآن المجيد إلى ذلك؛ لنقول: سبحان الخلاق العظيم، لكن دارون وأشياعه بدل أن يقولوا: سبحان الله، قالوا: (سبحان الطبيعة!!) فلم ينكروا الفاعل، لكنهم كفروا بالله -ﷻ-، ووضعوا الطبيعة مكان الله -سبحانه-!! وذلك منهم جحود للحق، واستكبار عليه ليس أكثر.

أما القانون الرابع وهو: الصراع من أجل البقاء، والذي زعموا فيه أن الطعام سوف يقل عن الكائنات بما فيها الإنسان، وسوف يتصارع الأقوياء حتى يقتل

القوي الضعيف؛ فهذا القانون محض خرافة، وقد كذبه الواقع، فلا الطعام أضحى في يوم من الأيام قليلًا، ولا الناس زادت أعدادهم وتقاتلوا من أجله، والذي يحدث- أحيانًا- من قحط في بعض البقاع، فهو من سوء تصرف الإنسان، ومن سوء التوزيع، فانظر إلى ما فعل (يوسف) -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أيام القحط، لقد تصرف ورتب واحتفظ لأيام القحط بما يُعِين عليها، ولقد قص الله -تعالى- علينا قصته -عَلَيْهِ السَّلَامُ-؛ لنتعلم منها، ونقتدي به في حكمته وحسن تصرفه، ولنقر بأن الله -تعالى- ما خلق خلقًا إلا وقدَّر له رزقًا، وعلينا نحن أن نتدبر كيف نصل إلى هذا الرزق ونحوزه ونحفظه، وقد صدق الله -سبحانه- الذي يقول:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦]، فالقول بالصراع من أجل الطعام، قول كذَّبه الواقعُ، ولم يقع في الدنيا مرةً واحدة، مما يقطع بكذب هذا القانون، بل بكذب النظرية كلها، فلم يحدث أن تصارع الناس في أي مجتمع من المجتمعات على الطعام، ونشأ من ذلك أن قتل الأقوياء في مجتمع ما الضعفاء في هذا المجتمع.

إن الواقع هو الحاكم على نظرية التطور وعلى القائلين بها، وقد حكم الواقع بأنهم واهمون مخرفون، والواقع الذي كذبهم في قانون الصراع من أجل البقاء، هو الذي كذبهم في قانونهم الهمجي الذي يقول: **(البقاء للأقوى)**، والواقع نفسه يكذبهم في أصل النظرية وهو قولهم بأن الإنسان أصله قرد، وأن القرد تطور فصار إنسانًا- هكذا زعموا- ونحن نسألهم: لماذا توقف قانون التطور ولم يعد له أثر، إنهم يقولون: **إن الإنسان بشكله الحالي وُجد منذ نصف مليون سنة، فلماذا**

توقف قانون التطور، ولم يتطور عن الإنسان مخلوق جديد أعلى، ولماذا لم يوجد (السوبرمان)، أو الإنسان الأعلى الذي وعدوا به؟!

كذلك يقولون: إن الإنسان تطور عن القردة، ونحن نسأل: لماذا توقف التطور، في مجتمع القردة- أيضًا- لماذا لم يتطور عن مجتمع القردة إنسان آخر، إن الغابات مليئة بالقردة على كثرة أنواعها، ولم يحدث منذ آلاف السنين أن دخل الناس إلى غاب القرود فوجدوا بينها إنسانًا قد تحوَّل عن هذه القردة وتطور، إن نظرية التطور حديثُ خرافةٍ وأباطيل.

ومن الأمور ذات المغزى: أن الغرب النصراني قد ودَّع هذه النظرية، وأودعها مقبرة النفايات منذ زمن، ولكن هذه النظرية وآثارها ما زالت حاضرة مؤثرة في مجتمعاتنا الشرقية.

الآثار المدمرة لنظرية التطور:

ليس من شك أن نظرية التطور في جملتها وتفصيلاتها، ثم في النتائج والآثار المترتبة عليها، هي نظرية مادية إلحادية، من حيث إنها نظرية آلية جامدة تعتمد في كل قوانينها، وفي الأسس التي قامت عليها على الطبيعة المادية فقط، ولا تدع مكانًا فيها لإله خالق حكيم، وصانع بديع، فقد بدأها صاحبها (دارون) بصورة مادية بحته، ثم انتهى منها بشرٍّ مما بدأها به، وكان كلما أغرق في النظرية، وتقدم في قوانينها، وفصل في أسسها، ابتعد عن الإيمان بالله الخالق أكثر فأكثر، حتى انتهى منها وليس في مرحلة من مراحلها، ولا قانون من قوانينها محلٌّ للعناية الإلهية، ولا الحكمة الربانية، وهكذا كانت نتائجها وآثارها الفعلية، منذ أعلن عنها صاحبها

وحتى اليوم، نظرية إلحادية تخدم الفكر المادي الإلحادي، وتدفع بكل من اعتقدها وقطع بصحتها إلى الإلحاد الصراح، والكفر البواح.

وإن تعجب فعجب أن نجد من يدافع عن هذه النظرية من المسلمين، ويزعم أنها لا تتعارض مع الإسلام والإيمان، مع أن صاحبها (دارون) قد أعلن بوضوح شديد أن الطبيعة هي الصانعة والموجِدة لجميع الكائنات على اختلاف أنواعها، وأن الكون لا يوجد فيه محل لما يسمى: (**العناية الإلهية**) أي: لا يوجد إله، وقد سبق أن ذكرنا أن دارون قال في آخر مؤلفاته: «إن الطبيعة تخلق كل شيء، وأنه لا حد لقدرتها على الخلق»، ثم قرَّر أن فعل الطبيعة خالٍ من الحكمة وخالٍ من الإدراك والإتقان، فقال: «إن الطبيعة تخبط خبطَ عشواء»، يقصد: أن كل ما في الكون إنما قد وُجد بالصدفة، وليس هناك حكمة ولا هدف ولا غاية من وجود أي شيء في هذا الكون، وهو هنا يؤكد المرة بعد المرة على عقيدته في أنه لا يوجد إله حكيم خالق، أوجد كل شيء بحكمة ولغاية سامية.

وإذن؛ فالطابع الكفري الإلحادي الذي يحيط بالنظرية ويشملها من ألفها إلى يائها واضح لكل من يطَّلع عليها، ولقد أقرَّ بكفر النظرية والقائلين بها كلُّ من اطَّلع عليها وفهمها، ولم يجادل في ذلك سوى بعض المخدوعين، أو ذوو الأغراض ممن دافعوا عنها، بل حاولوا التوفيق بينها وبين الإسلام جهلًا منهم، أو عن سوء قصد، ولو كان الإلحاد والكفر في النظرية خافيًا، أو مبهمًا لعذرنا هؤلاء نوعًا من العذر، لكن كفر النظرية والقائلين بها واضح بين كما ذكرنا آنفًا، وهذا هو مثار العجب من المدافعين عنها!.

إن من أخطر النتائج والآثار المترتبة على هذه النظرية: آثارها على الدين والخلق، ذلكم أن (دارون) قد سلك الإنسانَ مع الحيوانات جميعها في سلك واحد، وجعل الإنسان نوعًا من القردة وفرعًا عنها، والتي هي بدورها فرع عما سبقها من الكائنات التي تصل في نهاية أصلها إلى أحطِّ الكائنات الحية من الجراثيم والحشرات، فالإنسان إذن نوع متطور عن هذه الكائنات، وهو حلقة من في سلسلتها المترابطة، وبذلك قضى (دارون وأشياعه) على ما يتميز به الإنسان عن كل الكائنات الأرضية من عقل وفكر، وذكاء وإبداع، وإنشاء واختراع، بل قضي على ما كلفه الله -تعالى- به من دين وعبادات، وما كرَّمه الله به عن سائر المخلوقات في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وإذا كان سلوك الإنسان وخلقه يقومان على تميزه عن سائر المخلوقات؛ فإن الدعوة إلى أن الإنسان مجرَّدٌ عن التميز، وأنه حيوان من الحيوانات، من شأنه أن يقضي على دافع الخلق الفاضل لدى الإنسان، وأن يقضي كذلك على نوازع السلوك الحسن لديه، وهذه النظرية من أكبر الدواعي التي تدعو الإنسان إلى أن يتصرف باعتباره حيوانًا، وأن يطلق العنان لغرائزه، وأن يشبع نزواته ونزغاته، وأن يخلع عن نفسه الدين والخلق وسمو السلوك، لا لشيء إلا لأنه كما قالت النظرية حيوان من الحيوانات!!.

إن فساد تلك النظرية وضلالها، وخطورة آثارها لم يقتصر على علم الأحياء، وما يتصل به من علوم- كما يبدو لأول وهلة- ولكن آثارها الضالة تخطت كل ذلك إلى مجالات أَخْطَر بكثير من الأحياء وعلومها، إن النظرية تعتبر طعنة

ماضية، وسلاحًا فتَّاكًا موجَّهًا إلى الدين وإلى المتدينين، وقد استغلت النظرية ومعطياتها الضالة وأضحت سلاحًا في أيدي الملاحدة والزنادقة وأعداء الدين، يُشهرونه في وجوه المتدينين باعتبار تلك النظرية هي الدليل القاطع على أنه: (لا إله)، وأن الوجود كله- كما قال دارون- غني بنفسه عن وجود إله يوجده ويدبره ويصرِّف أمره، فقد ادعت النظرية أن الطبيعة المادية هي كل شيء، وهي الموجدة لكل شيء، وهي وراء كل ما نراه من حياة وأحياء، وهي صاحبة الإبداع وصانعة الإتقان، ومنوعة الأنواع، من هنا كانت النظرية سلاحًا في أيدي الملاحدة والزنادقة، وكانت ذات آثار سيئة على الدين، ثم على الخلق والسلوك.

إن نظرية التطور قد شغلت العلماء حينًا من الدهر، وانتقلت إلينا وتلقفتها الكثير من المجتمعات الإسلامية، ووضعتها ضمن المقررات الدراسية، وأصبح أولادنا يدرسونها على أنها حقيقة علمية، وقد تعرَّض أولادنا في كثير من المجتمعات إلى ما يشبه (**غسيل الدِّماغ**) طيلة سنين كثيرة، فرضت عليهم النظرية فرضًا، وإذا كان هذا قد حدث- وقد حدث فعلًا-؛ فإنه كان أشبهَ بغمامة قاتمة مرت بسماء العلم والخلق والدين، فألقت بظلالها السوداء على شمس الحقيقة حينًا من الدهر، ثم انقشعت كما ينقشع دائمًا الباطل والكذب والخداع، وأطلت الحقيقة تعلن أن النصر للحق دائمًا ولو بعد حين.

❁ ❁ ❁

موقف علماء الإسلام من التطور:

لقد بيَّنا قبل ذلك أن كثيرًا من المثقفين الإسلاميين قد فُتنوا بنظرية التطور الدارونية إلى حَدٍّ أن زعموا أنها لا تتعارض مع الإسلام، بل ذهب بعضهم إلى أن

الإسلام قد جاء بها محتجِّين بقول الله -تعالى-:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]، كذلك احتجوا بأن علماء المسلمين قد سبقوا إلى القول بها منذ ألف عام محتجِّين في ذلك بموقف (إخوان الصفا)، و(ابن خلدون)، و(وأبي الريحان البيروني)، وغيرهم؛ لذلك رأينا ألَّا نفرغ من هذه النظرية إلا بعد أن نبين موقف علماء الإسلام من التطور، لكنا نلفت النظر إلى أننا نبين موقفهم من (التطور) بصورة عامة، وليس من (نظرية التطور)؛ إذ إن النظرية جاءت بعدهم بقرون كثيرة.

أولًا: نحن نتحفظ بل نرفض القول بأن (إخوان الصفا) من علماء الإسلام، أو من الإسلاميين، ولقد سبق أن بيَّنا أنهم جماعة لا صلة لهم بالإسلام، بل هم من التلفيقيين، لفَّقوا بين تعاليم الإسلام وفلسفة يونان، وأفكار الهند، وعقائد المجوس... إلى غير ذلك، وقد مزجوا كل ذلك وبنوا عليه مذهبهم الفاسد.

ثانيًا: لقد قال بعض علماء الإسلام بالتطور في الموجودات، وهؤلاء من أمثال: (أبي الريحان البيروني) و(ابن خلدون)، إضافة إلى الفيلسوف (مسكويه)- أو (ابن مسكويه) كما هو مشهور- وهؤلاء جميعًا قالوا بالتطور، لكن التطور الذي قالوا به لا صلة له بما قال به دارون- من قريب، أو من بعيد- سوى لفظة: (تطور) فهذه اللفظة وحدها هي الصلة الوحيدة بين التطور الذي قال به الإسلاميون، والتطور الذي قال به دارون، وما عدا هذه اللفظة فإن بين ما قال به دارون وما قال به الإسلاميون من البعد كما بين سماء الله وأرضه، ولكي تتضح لنا هذه الحقيقة فسنذكر بما قال به دارون، ثم نذكر ما قال به الإسلاميون ليتضح لنا الفرق بين النظريتين، أو المذهبين.

لقد قامت نظرية دارون على أن الموجودات كلها من نبات وحشرات وحيوان وإنسان لها أصل واحد نشأت عنه، وأنها كلها نشأ بعضها عن بعض، وتطورت أنواعها الأرقى عن الأنواع السابقة عليها، وهذا يعني: أن كل نوع لم يوجد مستقلًّا عن الأنواع الأخرى، فالإنسان لم يخلق خلقًا قائمًا بذاته، وكذا القردة، وكذا الخيل والبغال والحمير، وكل الأنواع، لم يوجد كل نوع منها وجودًا مستقلًّا، بل تطور كل نوع منها عن نوع سابق عليه، وقد قالوا: إن أول ما وُجد خلية واحدة، ثم تكاثرت، ثم وجد عنها النبات، وتطور النبات فصار بعضه حيوانًا، ثم تطور عن الحيوان فصائل وأنواع كثيرة، كان آخرها الإنسان، وهذا التطور عند دارون عملٌ آليٌّ بحتٌ تقوم به الطبيعة دون حاجة إلى إله.

هذا ما ذهب إليه دارون في نظريته في التطور؛ فماذا عن الإسلاميين؟

إن التطور لدى الإسلاميين من أمثال: (أبي الريحاني البيروني، وابن خلدون)، لا يعني: انبثاقَ الموجودات بعضها عن بعض، أو نشوءَها وتطوُّرَها كل نوع عن نوع سابق عليه، فالإسلاميون يؤمنون بأن الله -تعالى- قد خلق جميع الأنواع، وقد خلق كل نوع خلقًا مستقلًّا عن الآخَر، وقد خلق الله الخلق جميعهم من نبات وحيوان وإنسان بقدرته وحكمته.

أما التطور- عندهم- فيعني: تصنيف الموجودات وترتيبها من حيث زمان الوجود، وأفضليتها، وغائيتها.

فمن حيث التصنيف والترتيب الزماني؛ فقد قال البيروني وابن خلدون: إن الماء وجد قبل التراب، والبحر قبل البر، والتراب قبل النبات، والنبات وجد قبل

الحيوان، والحيوان قبل الإنسان، ثم تُوِّجَ الوجود الأرضي بالإنسان الذي كان آخِرَ الموجودات، أو المخلوقات وجودًا، وهذا الذي ذهبوا إليه أمرٌ طبيعي بين الأحياء. والقاعدة: أن الموجود إذا توقف وجوده على شيء آخر، فلا بد أن يكون هذا الشيء الآخر موجودًا قبله، فالنبات يتوقف وجوده على التراب؛ لذلك كان التراب موجودًا قبله، والنبات وجد قبل الحيوان؛ لأن حياة الحيوان متوقفة على النبات، والنبات والحيوان وُجدا قبل الإنسان؛ لأن حياة الإنسان قائمة على النبات والحيوان معًا، ولما كانت حياة الموجودات كلها قائمة على الماء، كان الماء هو الأسبق في الوجود على جميع الكائنات ليس لحاجتها إليه في استمرار حياتها فقط، بل لحاجتها إليه في تكوينها، فكل شيء قائم في تكوينه على الماء بشكل أساسي، يقول الله -ﷻ-:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

أما من حديث أفضلية الأحياء بعضها على بعض، فقد ذهب المفكرون الإسلاميون إلى أن الأفضلية تتناسب عكسيًّا مع الأسبقية في الوجود، فأسبق الأشياء وجودًا أقلُّها أفضليةً وآخِرُها وجودًا هو أفضلُها جميعها وذلك أمر طَبِعَيّ؛ إذ إن الأسبق في الوجود هو وسيلة إلى الذي يليه في الوجود وفي خدمته وقد وجد من أجله، ولأن الإنسان هو آخر الموجودات، فقد كان كل شيء مخلوق له، يقول الله -ﷻ-:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]

فالنبات أقل من الحيوان، والحيوان أفضل من النبات، وأقل من الإنسان، والإنسان أفضلها جميعًا، وهو آخرها وجودًا.

مما ذكرنا يتبين لنا الفروق الآتية بين التطور لدى دارون، وما أراده بعض الإسلاميين من لفظة (تطور):

أولًا: أن ما يسمى: (تطورًا) لدى بعض المفكرين الإسلاميين إنما أُريد به تصنيف الموجودات وترتيبها من حيث زمان وجودها، وأفضليتها، ولم يُرَدْ به نشوءُ الموجودات عن بعضها، كما زعم دارون.

ثانيًا: يؤمن المفكرون الإسلاميون الذين تكلموا عن علاقة الموجودات بعضها ببعض، بأن الله -تعالى- قد خلق كل نوع من أنواع الموجودات خلقًا مستقلًّا، ولم يطوِّره عن نوعٍ آخَرَ، حتى الأصناف المتقاربة؛ فإنها لم يتطور بعضها عن بعض، وإنما خلق الله -ﷻ- كلَّ صنف منها مستقلًّا عن الآخَر، فإذا كان يوجد من النمل مئاتُ الأنواع وكلها نمل؛ فإن الله -تعالى- قد خلق كل صنف من هذه المئات رغم تشابهها خلقًا مستقلًّا، ولم ينبثق، أو يتطور نوع منها عن نوع آخر، وهكذا جميع مخلوقات الله في هذا الوجود الفسيح، وهذا مناقِض لما ذهب إليه الداروينيون من أن كل الموجودات تطور بعضها عن بعض، ولم يوجد منها شيء، أو نوع وجودًا مستقلًّا.

ثالثًا: من البَدَهِيّ أن المفكرين الإسلاميين يؤمنون بأن جميع الموجودات من جامد وحي قد أوجدها الله -سبحانه- بعلمه وإرادته وقدرته وحكمته، وأن ما بين أنواع الموجودات من تشابه، أو تنافر إنما هو لحكمة أرادها الله الخالق البارئ

المصور -سبحانه-، وهذا مناقِض لما ذهب إليه الداروينيون من أن كل شيء من التشابه، أو التنافر، بل الإيجاد نفسه إنما هو راجع إلى الطبيعة والبيئة، دونما حاجة إلى إله، كما يزعمون- عليهم من الله ما يستحقون-.

هذا ما أردنا أن نبينه في موضوع التطور، ولعلنا أوفينا الموضوع حقَّه في إيجاز غير مخلٍّ.

أصناف العباد وأنواع الهداية

إن الله -سبحانه وتعالى- قد خلق الوجود لحكمة بالغة، وغاية سامية، ولم يخلقه لعبًا ولا لهوًا، يقول الله -ﷻ-:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦-١٧].

ويقول تبارك وتعالى في سورة الدخان:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٨-٣٩].

وإذا كان الله -سبحانه- قد خلق الخلق لحكمة بالغة، وغاية سامية؛ فقد بين الله -تعالى- هذه الحكمة من خلق الوجود بعامة، والإنس والجن بخاصة، في قوله -ﷻ-:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فالله -ﷻ- يبين لنا أن الغاية من خلق الجن والإنس إنما هي طاعته تعالى، والانتظام في سلك عبادته، وقد تكفَّل -سبحانه- لجميع الخلق برزقهم وما يمسك عليهم حياتهم، فالرزاق هو الله -ﷻ-، وأما السعي في سبيل الرزق الذي أمر الله -تعالى- به العباد في قوله:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، فهذا السعي إنما هو سبب من الأسباب يؤجر عليه العبد، أو يؤزر حسب نيته وعمله واحتسابه في سعيه، أما الرزق فمقدر كالأجل، ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، كما ورد، عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أنه قال: «إنَّ رُوحَ القدسِ نَفَثَ في رُوعِي أنْ نفسًا لن تموت حتَّى تستكمل رزقها وتستوفي أجلَهَا، فاتَّقُوا اللهَ وأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ»(١).

محصلة هذا أن الله -تعالى- قد خلق الخلق للعبادة، وضمن لهم الرزق، وإذا كان ذلك كذلك؛ فما موقف الخلق من عبادة الله -تعالى- وطاعته التي خُلقوا من أجلها؟

فيما يتصل بعبادة الله -تعالى- وطاعته وقبول التكليف من الله -تعالى- بذلك؛ نجد أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- قد خلق من الخلق أصنافًا أربعة:

الصنف الأول: صنف من الخلق يطيع ولا يعصي، وهم الملائكة، فهم قد جبلهم الله -تعالى- على الطاعة، فلا يتصور منهم وقوع المصعية، كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- عنهم:

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وكما قال الله تبارك وتعالى في شأنهم- أيضًا-:

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٢٦).

والصنف الثاني: صنف يعصي ولا يطيع، وهو الشيطان وذريته، وقد بدأ الشيطان عصيانه برفضه أمر الله -تعالى- إياه بالسجود لآدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، ثم اشتط في عناده، حتى استمر أمره، واستقر حاله على العصيان هو وذريته، وقد قال الله -تعالى-:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقال الله -تعالى- فيه وفي ذريته:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[الكهف: ٥٠]، فهذا الشيطان وذريته يعصون الله -تعالى- ولا يطيعون.

وأما الصنف الثالث والرابع: ففيهما الطاعة والعصيان، وفيها الكفر والإيمان، وهما الإنس والجن، وإليهما بَعث الله -تعالى- الرسلَ، وعليها أنزل الكتبَ، يقول الله -عَزَّوَجَلَّ-:

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقد قالت الجن عن نفسها كما ورد في القرآن المجيد:

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ ﴾ [الجن: ١٤]، والقاسطون هم الجائرون عن طريق الحق الخارجون عن الإسلام، فالإنس والجن هما النوعان من خلق الله -تعالى- اللذان وقع فيهما التكليف بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وعن هذين

النوعين من خلق الله -تعالى- وعن الإنس بخاصة- يأتي عرضنا هنا لهداية الله -سبحانه- إياهم، وسبيل هذه الهداية، ثم عن إضلالِهم أنفسَهم وسبلِ هذا الإضلالِ وصورِه.

❁ ❁ ❁

أنواع الهداية:

لقد كان من رحمة الله -تعالى- بعباده ولطفه بهم، أن أمدهم بنوعين من الهداية:

النوع الأول: هداية ذاتيه، ونقصد بها تلك الهداية التي وُلد الإنسان مزودًا بها من قِبل الله -سبحانه-، لم يكتسبها من البيئة، ولم يزوده بها غيره، وإنما وُلد مفطورًا عليها، مصبوغًا بها، وتلك هي التي أشار إليها القرآن المجيد في قوله -سبحانه-:

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، ولعل مرجع الفطرة التي فطر الله -تعالى- الناس عليها إلى ذلكم الميثاق الذي أخذه الله -سبحانه- على بني آدم، حيث عرَّفهم -سبحانه- بنفسه، وأشهدهم على هذه المعرفة، ذلكم الميثاق الذي ذكره القرآن المجيد في قوله -ﷻ:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، هذه هي الهداية الذاتية التي يولد الإنسان بها، والإنسان بهذه الهداية قمينٌ، أو جديرٌ أن يعرفَ ربه -سبحانه-، ويدينَ له بالتوحيد والعبودية، لو أنه تُرِكَ دون مؤثرات من البيئة، ولكن البيئة لا تتركه، فهي تسقيه عاداتها وعقائدها، وهذا ما أشار إليه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقوله: «كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرةِ

فأبواهُ يُهوِّدَانِهِ، أو ينصرانه، أو يمجسانه،». [(١)]

أما النوع الثاني: فهو الهداية الخارجية، ونقصد بها الهداية التي تأتي الإنسان من خارج نفسه، وليس من الذات، وهذه الهداية هي التي تأتي عن طريق إرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ فالله -سبحانه- من رحمته بالخلق أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتبَ، وحتى يُلزِمَهم الحجةَ، فلا يكون للناس حجة يوم القيامة في جنوحِهم عن الدين الحق، وانحرافهم عن عبادة الله -سبحانه-، واتخاذهم من دون الله أندادًا يحبونهم كحبِّ الله، ويعبدونهم من دون الله؛ فالرسل -صلوات الله على نبيِّنا وعليهم أجمعين- هم حجة الله على الخلق؛ من إنس، وجن، يقول الله -عز وجل-:

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥]؛ ولذلك كان سؤالُ الله -تعالى- الخلقَ من إنس وجن مرتبطًا بهذا المعنى، يقول الله -عز وجل-:

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

فإرسال الرسل -صلوات الله عليهم- وإنزال الكتب، هو حجة الله -تعالى- على الخلق من إنس وجن، على أن للرسل والكتب خصيصةً أخرى لا توجد في الهداية الذاتية، التي تتمثل في الفطرة التي فطر الله -تعالى- الناس عليها، فالفطرة تهدي إلى معرفة الله -سبحانه- وإلى توحيده، وإفراده بالعبادة، ونفي الشريك والند، لكنها لا تهدي إلى تفاصيل العبادة، ولا إلى مفردات الفرائض، ولا إلى

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨).

تفصيل وتوضيح ما يَحِلُّ وما يَحْرُمُ، والذي يتولى هذا إنما هم الرسل، وما جاءوا به من كتب، فالرسل هم الذين يتولون بيان تفاصيل العبادات، وبيان الشرائع وبيان ما يَحِلُّ وما يَحْرُمُ، يقول الله -ﷻ- على لسان عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يخاطب قومه:

﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٠]، ويقول الله -ﷻ- عن خاتم الرسل -صلوات الله وسلامه عليه-:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فالرسل -صلوات الله عليهم- هم حجة الله -تعالى- على الخلق من جن وإنس، وهم الذين يتولون عن الله -تعالى- بيان أحكام الله -سبحانه- وشرائعه للخلق.

ولا يقف الأمر عند رسل الله -صلوات الله عليهم- ولكنه يتعداهم بعد رحيلهم إلى العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء، والذين وضع الله -تعالى- في أعناقهم أمانةَ تبليغِ الدعوةِ التي جاء بها الرسل -صلوات الله عليهم- وحراسة العقيدة وتطبيق أحكام الشريعة، وملاك ذلك كله: النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وهؤلاء العلماء معدودون من الهداية الخارجية التي أَمَدَّ الله -تعالى- بها عباده، فهم يتعهدون الناس بالتوجيه والنصح والإرشاد، ويتخوَّلونهم بالعظات والفتيا، وهم حجة الله -تعالى- على العباد بعد الرسل.

وإذا كان الرسل صلوات الله عليهم هم حجة الله -تعالى- على الخلق من إنس وجن؛ فإن الناس بحاجة إلى عقل يتلقَّون به ما جاء به الرسل، ويفهمون عنهم ما جاءوا به من عقائد وتشريعات وأحكام، وبغير العقل لا يكون الرسل حجة، ولا يكون فاقد العقل مكلفًا بما جاءت به الرسالة من أحكام، فالرسالات- إذن- لا تنزل من الناس على فراغ، ولكنها تنزل منهم على عقول تعي وتدرك ما جاء به الرسل من نذارة وبشارة، وما اشتملت عليه رسالاتهم من أحكام وتشريعات، فالعقل أساس التكليف، ومن ثم فقد كان هو والبلوغ شرطي التكليف.

وإلى هنا نكون قد وصلنا إلى التيار الذي قدَّمنا له بهذا المبحث عن الهداية وأنواعها، ونقصد به: **تيار العقلانية**، وحول هذا التيار سيكون المبحث التالي عن العقل وموقفه من الوحي لدى أهم الطوائف والفرقاء- بحول الله -تعالى-.

العقلانية

نعرض في هذا المبحث لتيار واسع الانتشار، شديد الخطر، قوي الجذب والتأثير على فئات كثيرة بعامة، وعلى من يوصفون بالمثقفين بخاصة، وهو تيار **(العقلانية)**، أو **(التيار العقلاني)**.

ولا يسبقن إلى فهم القارئ، من وصف التيار بأنه **(عقلاني)** أنه تيار يهتم أصحابه بتنقية عقولهم من الأوهام والخرافات، والسمو بأفكارهم من الانحراف والضلالات، وأنهم يحرصون على تسخير عقولهم فيما خُلقت من أجله، من معرفة الله -سبحانه- والتعبد له بأنواع العبادات التي منها عمارة الأرض ومعرفة قوانين الله في كونه، نقول: لا يسبقن إلى فهم القارئ الكريم هذا المعنى؛ لأن تيار (العقلانية)، أو (التيار العقلاني) يعني: نقيض هذه المعاني تمامًا، حيث يقوم هذا التيار على اعتبار العقل في مواجهة الوحي، كما سنبين ذلك في حينه، ولقد قدَّمنا للحديث عن التيار العقلاني بالحديث عن الفطرة والوحي، تحت مسمى: الهداية الذاتية، والهداية الخارجية، وقصدنا بالهداية الذاتية؛ الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي دين الله الحق، القائم على توحيد الله الخالص من كل شائبة شرك، وقصدنا بالهداية الخارجية؛ رسل الله -تعالى-، وما أُنزل عليهم من كتب، وما أُوحي إليهم من أحكام، وقد بيَّنا أن الهداية الخارجية، أو الوحي، إنما هي تأكيد لما جاءت به الفطرة، أو الهداية الذاتية، وإرشاد لها إن انحرفت بها البيئات والتقاليد،

ثم إن الوحي فيه من الأحكام ما ليس تأتي به الفطرة، وقد بيَّنا كذلك، أن العقل هو الأساس الذي يقوم عليه التكليف بما جاء به الوحي من أحكام تشريعية، وأن الوحي الذي جاءت به الرسالات إنما يقع من الإنسان على عقله؛ ولذلك كان العقل شرط التكليف بما جاء به الوحي من أحكام، وقد قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل»(١).

إن العلاقة بين الوحي والعقل علاقة وثيقة، وهي- أيضًا- علاقة حميمة- إنْ صحَّ هذا التعبيرُ-؛ فالوحي ينزل على العقل فيرشده قويم الطويق، ويهديه سواء السبيل، والعقل بدون الوحي قد يضل الطريق، ويتنكب السبيل، وقد يصل به الأمر حدَّ أن يعادِيَ الحق، ويعاضِدَ الباطل، وليس العيب هنا عيب العقل، لكنه عيب الإنسان الذي انحرف بعقله، متأثرًا بالبيئة والمجتمع، وما يَشيع فيهما من أعراف وعادات وتقاليد قد تُضِلُّ العاقلَ، وتُصِمُّ السميعَ، وتعمي البصيرَ، حتى لا تكونَ ثمة فائدة في عقل، أو سمع، أو بصر، وفي أمثال هؤلاء يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ولعلنا نلاحظ أن الآية الكريمة لم تطعن في العقل، أو البصر، أو السمع، ولكنها نعت على هؤلاء الذين منحهم الله -تعالى- هذه النعم، وأنعم عليهم بهذه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٩٨) وابن ماجه (٢٠٤١).

الملكات من العقل والبصر والسمع، ليوظفوها فيما ينفعهم من معرفة الله -سبحانه-، وتوحيده وعبادته، فكانوا أن وظفوها في الكفر بالله -تعالى-، وحرب الله ورسله، واتخاذ الأنداد والشركاء من دون الله -تعالى-، فكانوا بحق كما وصفتهم الآية الكريمة كالأنعام من حيث إن الأنعام لا تملك قلبًا يفقه ويعقل ويفكر، ولا سمعًا يعي العظة وينتفع بها، ولا بصرًا يرى آياتِ الله في خلقه الدالةَ عليه -سبحانه-، وصفاتِه وأسماءَه، فيعتبر بها، ويعرف الله من خلالها، فلما كانوا لا ينتفعون بقلوبهم ولا بسمعهم ولا بأبصارهم كانوا كالفاقدين لها، كالأنعام، ثم إنهم كانوا أضلَّ من الأنعام من حيث إن الأنعام- بغريزتها التي أودعها الله -تعالى- فيها- إذا رأت ما ينفعها من عشب وكلأ وماء سعت إليه، وانتفعت به، وإذا رأت ما يضرها من إنسان صائد، أو حيوان مفترس فرَّتْ منه، وابتعدت عنه، بينما المشركون الكافرون يرون ما ينفعهم من معرفة الله -تعالى- وطاعته وتوحيده، وما أَعَدَّ الله لهم لقاء ذلك مِن جنة عرضها السماوات والأرض، فيفرُّون من ذلك، وينفرون منه، ويرون ما يضرهم من الكفر بالله -تعالى- واتخاذهم شركاءَ له -سبحانه-، وما ينتظرهم على ذلك من نار شديدة الحر بعيدة القعر، لها تغيظ وزفير، وشهيق وفوران، يرون ذلك فيختارونه، ويقدمون عليه، فكانت الأنعام بذلك خيرًا منهم، أو كانوا أضلَّ منها؛ إذ هي تعرف ما ينفعها فتقدم عليه، وما يضرها فتفر منه، بينما هم يرون ما ينفعهم فينفرون منه، وما يضرهم فَيُقدمون عليه، ويسارعون إليه.

إن العقل والوحي محال أن يكون بينهما تعارض، أو تناقض، فإن الله الذي

خلق العقل، هو الذي أنزل الوحي، والحكمة التي خلق الله العقل من أجلها، هي نفسها الحكمة التي أنزل الوحي من أجلها، وهي معرفة الله -سبحانه- وتوحيده والتعبد له بما افترض على عباده من فراض، فالعقل والوحي كلاهما يهديان الإنسان إلى ربه -سبحانه-.

أما العلاقة بين العقل والوحي فهي علاقة وثيقة- كما ذكرنا-؛ فالعقل بالنسبة إلى الوحي وسيلة، ينزل الوحي فيتلقاه العقل ويعمل فيه تذكُّرًا وتدبُّرًا وتفكُّرًا واعتبارًا واتعاظًا، ثم يسلم له، ويعمل به، أما الوحي بالنسبة إلى العقل فهو هدى ورشاد، ونور وضياء، وعصمة ويقين، فالعقل يعمل في إطار الوحي لا يخرج منه، ولا يبتعد عنه.

يتضح من هذا: أنه لا تعارض بين عقل ووحي، ولأهمية هذه القضية فقد عُنِيَ بها سلفنا من العلماء -رحمهم الله-، ولشيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- سفر عظيم القدر وضعه لدرء ما يزعمه الزاعمون من تعارض بين العقل والوحي.

❁ ❁ ❁

التعريف بالعقلانية:

إن تيار العقلانية شديد الجذب لفئات كثيرة، وبخاصة هؤلاء الذين يوصفون بالمثقفين؛ ذلكم أن تيار العقلانية يجعل من اسمه أحبولة يُوقِع في شراكها الكثيرين من الأغرار الذين لا يعرفون حقيقته، ولا يدركون المراد به، ويظن من يستمع لهذه اللفظة (العقلانية) يظن أنه تيار يُعلي من شأن العقل، وتنقية الفكر، وتجريد المعارف عن الخرافات والأوهام، ومن هنا يقع الكثيرون صرعَى هذا التيار الضال، نتيجة فهمهم الخاطئ لمحتواه، وما يعنيه ويراد به.

لذلك نبادر ونوضح المراد بهذا التيار ونبين ماذا تعني: (العقلانية) عند أصحابها؟

إن (**العقلانية**) مذهب يعني: «تحكيمَ العقل في كل شيء، وجَعْلَهُ وحده ميزانًا لكل شيء، ووضعه قوامًا على كل شيء، فكل شيء إنما يخضع في إدراكه وتمييزه وتقويمه والحكم عليه للعقل وحده، لا يخرج عن ذلك شيء في الأرض، ولا يُستثنى من ذلك شيء في السماوات».

هذا هو المراد بالعقلانية، أو الاتجاه العقلاني، ويتضح من هذا: أن أصحاب التيار العقلاني لا يعترفون بالغيب؛ لأن كلَّ ما غاب عن الحس الذي يعمل العقل فيه فلا وجود له- عندهم- وذلك أمر بَدَهِيّ؛ فإنهم جعلوا العقل ميزان كل شيء، ومهيمنًا على كل شيء، والعقل إنما يعمل في هذا العالم المحسوس من خلال منافذه، ومنافذ العقل إلى العالم المحسوس هي الحواس الخمس؛ السمع والبصر والشم والذوق واللمس، ومن خلالها يجمع العقل معارفه عن الوجود كله، وهم قصروا عمل العقل في المحسوسات فقط، وبذلك أنكروا عالم الغيب، وأنكروا الوحي، وأنكروا الرسل والرسالات.

❁ ❁ ❁

أسس الاتجاه العقلاني:

ومن توضيحنا تيَّار العقلانية، وبيان المراد به، وتعريفنا إياه، نستطيع أن نضع أيدينا على أهم الأسس والركائز التي يقوم عليها هذا التيار، وهي:

أولًا: جعلُ العقلِ ميزانًا لكل شيء، وَقَوَّامًا على كل شيء، وله السلطة العليا التي لا تعلوها سلطة أخرى، لا يُستثنى من ذلك وحي، أو كتب.

ثانيًا: مجال عمل العقل هو العالم المحسوس، وليس عالم الغيب.

ثالثًا: بديهي أن التيار العقلاني ينكر الوحي، وينكر الموحي -جل وعلا- كما ينكر الملائكة والجن والشياطين؛ بناء على إنكاره عالم الغيب.

رابعًا: من أصحاب هذا التيار العقلاني من زعم أنه يؤمن بوجود إله لهذا الكون، لكن الإله الذي زعموه لأنفسهم وهمٌ وخيال، وزيف وضلال، وهو والعدم المطلق على حال، ومن أشهر أصحاب هذا التيار الذين قالوا بهذا الذي سموه إلهًا، الفيلسوف اليوناني (أرسطو)، وقد خلع على إله هذا صفات من أوهامه فجعل إله علةً لا تعقل شيئًا في هذا الوجود، وهذه العلة، أو الإله- بزعمه- لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عن عباده شيئًا، وإله أرسطو، هو الذي فتن به الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام، كالفارابي، وابن سينا، فاستبدلوه بالله الحق -سبحانه-؛ فضلوا وزاغوا، وكان عاقبة أمرهم خسرًا، والذي افتراه أرسطو وسماه إلهًا يطلق عليه الدارسون اسم: **(الإله الفلسفي)**، أو: **(إله الفلاسفة)** تمييزًا للإله الحق عن هذا الضلال، وفي أرسطو ومن تابعه وأمثالهم قال الله -ﷻ-:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

نشأة التيار العقلاني:

يأتي السؤال عن نشأة التيار العقلاني؛ متى نشأ؟ وعلى أيدي من نشأ؟ والواقع أن التيار العقلاني سابق وجوده وجود الإنسان، ويضرب بجذوره في عمق التاريخ الإنساني، وفي كل زمان نجد الملاحدة الذين يستندون في إلحادهم على الأقيسة

العقلية الفاسدة، وهم يقيمون أقيستهم العقلية الفاسدة في مواجهة الوحي، أو كما هي عبارتهم: (**العقل في مواجهة النص**) والمراد بالنص إنما هو الوحي الإلهي.

ولقد قيل: إن (إبليس) لعنه الله هو أول استعمل العقل في مواجهة الأمر الإلهي، فحينما أمره ربه -سبحانه- بالسجود لآدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ردَّ الأمر على الله -عَزَّوَجَلَّ- قائلًا:

﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال لعنه الله مستنكرًا أمْرَ الله -عَزَّوَجَلَّ- إياه بالسجود لآدم:

﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].

فالقياس العقلاني الذي أقامه إبليس -لعنه الله- يقتضي أن يسجدَ الطينُ للنار، حيث النار مضيئة والطين مظلم، والنار لطيفة والطين كثيف، والنار مطهرة والطين ملوث، والنار ترتفع إلى أعلا والطين يهبط إلى أسفل، هذا هو القياس، أو الاتجاه العقلاني الفاسد الذي أقامه إبليس لعنه الله فضلَّ به هو وذريته، ومن تابعهم، ولو أن إبليس لعنه الله عرف وبعقله- أيضًا- أن الأمر صادر من الله -سبحانه- مالك الملك، وأنه -سبحانه- يعلم من حكمة السجود لآدم ما لا يعلمه إبليس ولا غيره، كما قال الله -تعالى- للملائكة ردًّا على استفسارهم عن الحكمة في جعل آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- خليفةً في الأرض، قال الله -تعالى- مخاطبًا ملائكته:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، نقول: لو أن إبليس لعنه الله عقل ذلك وعرفه، ووقف عنده

لَمَّا عارض الأمر الإلهي بالقياس العقلاني، ولكن أنَّى له ذلك، وقد سبق في علم الله -سبحانه- عصيانه وشقوته هو، ومن يقتدي به في مواجهة الوحي بالقياس العقلاني الفاسد.

❁ ❁ ❁

ونخلص من عرضنا هذا إلى الأمور الآتية:

أولًا: أن الاتجاه العقلاني اتجاه يقيم العقل ميزانًا لكل شيء، ويضع العقل وأقيسته في مواجهة وحي الله -تعالى-.

ثانيًا: أن أصحاب الاتجاه العقلي لا يؤمنون بالله ولا برسالاته، ومن زعم منهم أن له إلهًا، فذلك إله الفلاسفة، الذي هو والإلحاد سواء.

ثالثًا: أن الاتجاه العقلاني صاحَبَ وجودَ الإنسان، فهو قديم، وأن أظهر القائلين به كان فلاسفة اليونان، ثم من أخذ عنهم من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام.

❁ ❁ ❁

مسيرة التيار العقلاني:

نُبين في حديثنا هذا عن العقلانية مسيرةَ هذا التيار في الغرب النصراني الذي وفد إلينا منه هذا التيار، ثم كيف انتقل هذا التيار إلى بعض المجتمعات الإسلامية، ثم نذكر أهم آثاره السيئة وأخطاره المدمرة.

إن التيار العقلاني الذي يوجه المجتمعات الغربية النصرانية، والذي التاثت به الكثير من مجتمعاتنا الإسلامية، قد مرَّ بثلاثة أدوار واضحة:

ففي الدور الأول ازدهرت الفلسفة اليونانية بجميع مدارسها لدى الطبعيين،

ولدى السوفسطائيين، ثم لدى هؤلاء الفلاسفة الذين أسموهم: (**الإلهيين**)، وهم: (**سقراط وأفلاطون وأرسطو**) وقد ظل هذا التيار العقلاني مسيطرًا حتى بداية العصر الوسيط حوالي القرن السابع الميلادي، ثم انقلب الحال في الغرب حينما بدأت الكنيسة النصرانية تفرض سلطانها، فحجرت على العقول، وألزمت الناسَ النصوصَ اللاهوتية التي تتمثل في توراة اليهود، وأناجيل النصارى، أو ما يسمونه- عندهم-: (الكتاب المقدس) واحتكر رجال الدين النصارى تفسير هذه النصوص، وألزموا الناسَ بها، رغم مناقضتها للبدهيات، بل إن الكنيسة حجرت على العقول أن تبحث في العلوم الطبيعية، مثل: الكيمياء والفلك والرياضيات، وكان من ذلك: أن انتقل العقل في الغرب من حرية تصل إلى حد الفوضى إلى حَجْرٍ وتضييقٍ يصل إلى الجمود، وقد ظل الأمر كذلك حتى جاءت النهضة في الغرب، فثار الناس ضد الكنيسة، بل ضد النصرانية بكل ما فيها من عقائد وشرائع، فكان أن تبنوا المذهب الذي سُمِّي: (العَلْمَانية)، وهو اتجاه قُضي فيه على سلطة الكنيسة والنصرانية في حياة الناس، وصارت المجتمعات الغربية تعيش بحرية، بل بفوضى عارمة، وأُطلق العنان للعقل مرة ثانية، لكنه في هذه المرحلة أضحى أشدَّ شراسةً، وأكثرَ عداءً للدين والوحي، وذلك بسبب ما عاناه من الكنيسة ورجالها طوال ألف عام تقريبًا.

من ذلك يتبين لنا: أن التيار العقلاني مرَّ بانتشار قوي لدى اليونان الذين يعتبرون أصل الفكر والثقافة لدى الغرب، ثم انقلب الحال حين سيطرت الكنيسة، فحجرت على العقول وحاربت العلم، وأحرقت العلماء وكان ذلك إبان

ما سمى: العصر الوسيط، أو: العصور الوسطى المظلمة، حتى جاءت اللحظة التي انفجر فيها المجتمع الغربي، فقضى على الكنيسة ورجالها وعلى الإقطاع، وانطلق الناس في الغرب كالوحوش التي طال حبسها، فأخذوا يُعبِّرون عن أنفسهم دون حدود، أو قيود، وكانت هذه هي المرحلة الثالثة التي مرَّ بها العقل والعقلانية في الغرب النصراني.

كانت هذه هي المراحل الثلاث، ولعلنا قد أدركنا مدى الشقاء الذي عاناه ويعانيه المجتمع الغربي طوال تاريخه وعبر المراحل الثلاث التي ذكرناها، فعندما كانت السيطرة للفكر اليوناني كانت تلك المجتمعات تعيش في فوضى عقلانية أدت إلى الإلحاد والوثنية، وذلك نتيجة أنهم فُتنوا بما أسموه: (العقل)، وجعلوه معبودَهم حتى تفشَّى فيهم أشدُّ أنواع الفساد العقلي متمثلًا في السفسطة والسوفسطائين، وقد عاش المجتمع الغربي هذا الشقاق حتى جاءت مرحلة السيطرة الكنسية، فانتقل الناس من شقاء إلى شقاءٍ أشدَّ منه، ثم استقر حالهم عند شقاء العلمانية، حيث يندفع الناس في هذه المجتمعات، وفي ظل العلمانية، كما تندفع السائمة على غير هدى، وكل حسب ما يدفعه إليه عقله وهواه وغرائزه ومنافعه.

إن تيار (العقلانية) له آثاره الضارة المدمرة للدين والأخلاق، وكل القيم التي تحكم مسيرة الإنسان، ونحن نبين أهم الأخطار والمفاسد التي وقع فيها أصحاب التيار العقلاني فيما يلي:

أولًا: أساء أصحاب هذا التيار إلى العقل نفسه الذي نسبوا إليه ضلالاتهم، أو مذاهبهم، وذلك حين أطلقوا له العنان، وجعلوه حاكمًا على كل شيء، وجعلوا

سلطانه فوق سلطان الوحي، فكان أن أنكروا الوحي، ووقفوا بعقولهم في مواجهة النص، ورفضوا الأديان جملةً، ولم يميزوا فيها بين حق وباطل، فالعقل- عند هؤلاء- لم يعد عقلًا، وإنما أصبح خرافةً ووهمًا، وبدل أن يكون أداةَ هدايةٍ صار أداةَ ضلالٍ وإضلالٍ، وقد عرفنا أن الله -سبحانه- قد خلق العقل ليتلقى عن الله -تعالى- الوحي بواسطة الرسل والكتب، والعقل يعمل في إطار وحي الله -تعالى- تذكُّرًا وتدبُّرًا وتسليمًا وطاعةً، أما هؤلاء الذين رفضوا الوحي، واكتفوا بالعقل فمثلهم كمن لبس العمامة في رجله، وزين رأسه بنعله، ومشي يختال!! فكيف يفكر هؤلاء بعقول هي سجينةُ نعالهم، نعني بذلك: أن عقولهم الخاليةَ عن هدي الوحي ونور الدين الحق، إنما هي سجينة شهواتهم الدنيا، ونزواتهم السفلى، وأن عقولهم سوف تظل في نطاق العالم المادي، وشهواته ونزغاته الحسية، وسوف تظل عقولهم في ظلال المادة حتى يُلْقَوا في ظلام قبورِهم؛ ليلاقوا ما ينتظر الملاحدة الضالين.

ثانيًا: لم يقتصر ضلال التيار العقلاني على الملاحدة فقط، لكنه لاث أصحاب الأديان، فاليهود تأثروا به؛ والنصارى كذلك، ثم كانت الفادحة في تأثر طوائف كثيرة من المسلمين بهذا التيار، وكان من نتيجة ذلك: أن فسق بعض هذه الطوائف عن الملة، وذلك كطائفة الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، ومن هذه الطوائف مَن ظل على إيمانه بالله ورسله ووحيه، ولكنهم قدَّموا العقل على الوحي، ووقعوا في أضاليل عقدية خطيرة، فأوَّلوا الوحيَ كتابًا وسنةً كي يتفقَ مع قواعدَ عقليةٍ وضعوها هم، فأفسدوا من دينهم بقدر ما دسُّوا من عقولهم في وحي الله -سبحانه-.

أثر التيار العقلاني على الطوائف الإسلامية:

تكلمنا في المبحث السابق عن التيار العقلاني، أو (العقلانية) وبيَّنا المراد بهذا التيار، وبيَّنا كذلك ركائزه وأسسه، ثم نقدناه وبيَّنا آثاره الخطيرة على الدين والخلق، وفي هذا المبحث نتحدث عن آثار هذا التيار في الفكر الإسلامي، وبخاصة لدى أكثر الطوائف تأثرًا به، ودعوةً إليه، ونعني بتلك الطوائف: طائفة الفلاسفة، وطوائف المتكلمين.

أما طائفة الفلاسفة فيقعون تحت ثلاثة اتجاهات كلها يصدق على أصحابها أنهم فلاسفة، أو متفلسفة:

الطائفة الأولى: هم الذين عُرفوا (**بإخوان الصفا**).

والطائفة الثانية: المتصوفة المتفلسفة من أصحاب وحدة الشهود ووحدة الوجود.

وأما الطائفة الثالثة: فهم الذين عُرفوا باسم: (**الفلاسفة الإسلاميين**)، وعرفت فلسفتهم باسم: (**الفلسفة الإسلامية**) من أمثال: (**الفارابي، وابن سينا، وابن رشد**) وهؤلاء الطوائف الثلاث هم الذين يقعون تحت اسم: الفلاسفة.

أما طائفة (أخوان الصفا)؛ فقد أدركوا- ابتداءً- خطورة ما يعتقدون من اتجاه عقلاني وثني، ومن ثم فقد أخفوا أسماءَهم وهوياتهم خوفًا من نقمة الجماهير المسلمة.

وأما طائفة المتصوفة المتفلسفة؛ فقد أخذوا يعبرون عن عقيدتهم في وحدة الشهود ووحدة الوجود بعبارات ومصطلحات مطاطة مبهمة، يُمَوِّهون بها على الناس، ولكن الله -سبحانه- شاء أن يعرف الناس بهم، فعرفهم الناس بسيماهم ولحون أقوالهم، وأُقيم على المجاهرين منهم حدُّ الله، وأذاق الله الكثيرين منهم

طعم الحديد، وقُتلوا رِدَّةً.

وأما الطائفة التي عُرفت باسم: (الفلاسفة) والذين نسبوا أنفسهم- زورًا- أو نسبهم الناس- جهلًا- إلى الإسلام، فهؤلاء هم أكثر الطوائف الثلاث إشاعة للشر وإذاعة للفساد، حيث لم يقف ضلالهم عند أشخاصهم، بل تأثر بهم الكثيرون على مستوى الأفراد والجماعات، وكان أخطر آثارهم هو تأثر كثير من طوائف المتكلمين بآرائهم في بعض قضايا العقيدة، وما نشأ عن ذلك من ضلالات ما تزال الأمة تعاني منها، وسنشير إلى أهمها عند الحديث عن آثار التيار العقلاني لدى المتكلمين.

أما الفلاسفة فهم الذين تولَّوا كبر نشر التيار العقلاني لدى الأمة المسلمة، حيث تلقَّوه عن اليونان، ثم جدوا في شرحه ونشره، وقد اتخذوه دينًا من دون دين الله -تعالى-، فحينما وجد الفلاسفة أنفسهم مضطرين أن يختاروا بين دين الله الإسلام وفلسفة اليونان، اختاروا فلسفة اليونان، وفضَّلوا الاتجاه العقلاني اليوناني على الوحي المنزل على محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فالفلسفة العقلانية هي اختيارهم الحقيقي، فهم لم يُنسبوا إلى الإسلام إلا بمقتضى الولادة، حيث وُلدوا مسلمين، لكنهم حين قرأوا فلسفة اليونان أسلموا إليها قياد قلوبهم وعقولهم. فالاتجاه العقلاني الفلسفي اليوناني هو هواهم الذي ألَّهوه من دون الله -سبحانه- سبحانه-؛ فهم ممن قال الله -تعالى- فيهم:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

هؤلاء هم طائفة الفلاسفة الذين اختاروا التيار العقلاني، وقد ذكرنا ما فيه الكفاية عنهم في مباحث سابقة؛ فلا حاجة بنا إلى المزيد هنا، وننتقل إلى الحديث عن المتكلمين، وآثار التيار العقلاني على آرائهم الكلامية.

إن من الأمور المسلَّمة التي لاشيةَ فيها من جدل، أو ملاحاة، أن الفِرَقَ الكلامية، أو المتكلمين قد التاثوا جميعًا بالفلسفة، وقد تأثروا في آرائهم بالتيار العقلاني الذي جاء به الفلاسفة، ومن الحق الذي لا جدال فيه- أيضًا- أنه لم تَنْجُ فِرقةٌ كلامية من لوث الفلسفة وضلالاتها، على اختلاف بين الفِرق في مدى تأثرها بالاتجاه العقلاني في مواجهة الوحي الشريف.

ويأتي على رأس الفِرق الكلامية في هذا الجانب (**فرقة المعتزلة**) التي اختلطت آراؤها الكلامية بالفلسفة، والتي وصل الحدُّ في تأثرهم بالفلسفة إلى أن قدموا العقل على الشرع، بل جعلوا العقل حاكمًا على الوحي وميزانًا له، ولتحقيق وصاية العقل على الشرع وضعوا لأنفسهم قواعد عقلية، ثم عرضوا عليها الوحي، فما لم يستقم مع قواعدهم العقلية من الوحي أوَّلوه حتى يستقيم مع قواعدهم تلك، ومن أشهر ضلالاتهم: تعطيلهم الله -ﷻ- عن صفاته، ثم تأويلهم صفات الله -سبحانه- التي تُسَمَّى الخبرية، واجتراؤهم على مقام الربوبية بقولهم بوجوب الصلاح والأصلح واللطف على الله -ﷻ-، إلى غير ذلك مما نراه واضحًا من تأثرهم بالمنهج العقلاني الفاسد.

يأتي بعد ذلك الحديث عن (**فرقة الأشاعرة**)، وهي أوسعُ الفِرق الكلامية انتشارًا، وهم يطلقون على أنفسهم اسم: (**أهل السنة**) ويسمون أنفسهم بذلك في

مقابل المعتزلة، وقد التاثت هذه الفِرقة بالاتجاه العقلاني، وقد ظهر ذلك في أمور من مذهبهم، من أهمها:

- إنكارهم بعض صفات الله -سبحانه-، مثل: صفة العلو.
- تأويلهم بعض الصفات الخبرية تأثُّرًا بالمعتزلة.

وقد زعموا أنهم فوضوا في بعض الصفات، ولكنه تفويض في معنى الكلم القرآني، وقد زعموا بذلك أن الله -تعالى- أنزل في كتابه كلماتٍ لا يعرف رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا الصحابة -رضوان الله عليهم- معناها، وهذا مخالف للتفويض الشرعي حيث نؤمن بمعاني ما جاء به القرآن العظيم، الذي أنزله الله -تعالى- بلسان عربي مبين، ثم نُفوِّض في الكيف الذي لا يعلمه إلا الله ربُّ العالمين.

ومن ذلك- أيضًا-: قولهم بالكلام النفسي، وأن القرآن قديم بمعناه، أما ألفاظه فحادثة مخلوقة، وهذه لعمري قاصمة الظهر.

هذه أشهر الفِرق الكلامية التي تأثَّرت بالاتجاه العقلاني الذي جاء به الفلاسفة عن اليونان، بل زادوا عليه.

لكن تبقى لنا كلمة إنصاف بالنسبة إلى مؤسس الفرقة الأشعرية: أبو الحسن الأشعري -رَحِمَهُ اللَّهُ-، فهذا الرجل مرَّ بثلاث مراحل عقدية:

المرحلة الأولى: كان فيها على الاعتزال.

المرحلة الثانية: خرج فيها من الاعتزال، ووضع أسس مذهبه الذي تأثر فيه بابن كلاب من ناحية، وبقيت فيه آثار من المعتزلة.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي نفض فيها عن نفسه آثار الفِرق الكلامية،

وعاد إلى عقيدة السلف، وقد سجل ذلك في كتابه: الإبانة، حيث أعلن أنه يدين بعقيدة السلف، عقيدة الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، لكن أتباعه الأشاعرة ظلوا متمسكين بمناهجهم الكلامية، بل ازدادوا غلوًّا فيها، نسأل الله -تعالى- أن يأخذ بنواصي الجميع إلى الحق والخير.

القومية العربية

نتناول في هذا المبحث العرض لتيار من التيارات التي قامت لحرب الإسلام، وضرب وحدة الأمة المسلمة؛ فهذا التيار لم يوجد إلا من أجل تفرقة المسلمين، والقضاء على وحدة الأمة القائمة على أساس من دينها الحق الإسلام.

ولأن هذا التيارَ وُجد أصلًا للقضاء على وحدة الأمة المسلمة، وإضعاف الإسلام والمسلمين؛ فقد تعاون على إنشاء هذا التيار، والتمكين له، والدعوة إليه طوائف ثلاث:

أولها: الاستعمار الغربي الصليبي الصهيوني.

ثانيها: المفكرون النصارى في البلاد العربية، وبخاصة نصارى لبنان والشام.

وثالثها: العلمانيون والملاحدة، وبخاصة من تولى منهم سُدَّةَ الحكم والسلطة في بلده، يضاف إلى هذه الطوائف الثلاث كثير من السذج والمخدوعين من المسلمين، ممن خدعتهم الشعارات الزائفة التي يطلقها دعاة هذا التيار ليخدعوا بها أمثال هؤلاء.

والقومية العربية دعوة عنصرية سياسية إقليمية-متعصبة ضد الإسلام والمسلمين، وقد قامت هذه الدعوة لتحقيق أمرين:

الأمر الأول: القضاء على وحدة الأمة المسلمة، وعلى اعتبار الإسلام هو الرابطة

والأساس الذي تقوم عليه الوحدة بين المسلمين في كل مكان من هذا العالم.

الأمر الثاني: اعتبار الجنس العربي هو الأساس الذي تقوم عليه الوحدة بين الدول العربية، وذلك بعد طرح الإسلام بعيدًا، وعدم اعتباره ضمن مقومات هذه الوحدة، ومكان الوحدة هذه- عندهم- هي البلاد العربية التي يعبر عنها شعارهم: (**من المحيط إلى الخليج**) والأمر الأول في الواقع هو المهم من الدعوة إلى القومية، بل هو الدافع الأول والأخير إلى هذه الدعوة؛ حيث إن الداعين إلى القومية العربية هم أعداء الإسلام والمسلمين، ولا يهمهم وحدة البلاد العربية، بدليل أن كل محاولات الوحدة العربية، على كثرتها كانت تُجهض ويُقضَى عليها بأيدي الداعين إليها أنفسهم، فهم ليسوا صادقين في دعوتهم إلى وحدة تقوم على العروبة، وإلا فلماذا لم تتحقق تلك الوحدة مرة واحدة، رغم أن الدعوة إلى تلك الوحدة يزيد عمرها على قرن ونصف، وهذا يدل على أن الدعوة إلى القومية لم يُرَدْ بها إلا ضرب الوحدة الإسلامية التي تقوم على أساس من الإسلام، يدل على ذلك- أيضًا- أن أول دعوة إلى هذه القومية بدأت على أيدي بعض نصارى الشام وهم: (ناصيف اليازجي) و(بطرس البستاني) وذلك عام سبعة وأربعين وثمانمائة وألف للميلاد، وكان هدف هذه الدعوة إنما هو ضرب الوحدة الإسلامية التي كانت تقوم على أساس من الإسلام، وكان رمزها في ذلكم الزمان هو الخليفة العثماني في تركيا.

إن الإسلام لا يعرف وحدة تقوم بين مسلم ومسلم إلا على أساس من دين الله الإسلام، ولقد جاء الإسلام فوحَّد بين المسلمين بجميع أجناسهم وقومياتهم

وأوطانهم تحت مظلة الإسلام، وفي ظل الإسلام انصهرت تلك الروابط وذابت، ولم يَبْقَ إلا رابطةُ الإسلام هي التي توحِّد بين المسلم وأخيه.

ولقد عُنِيَ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بتأكيد الرابطة الإسلامية، وأنه في ظل الإسلام لا توجد رابطة فوق رابطة الدين، وقد وضع رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دعائم هذه الرابطة فعليًّا، فقد كان حوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، ثم أصحابه من العرب، ولم يكن هناك شعور بالفروق بين هؤلاء، إلا فروق السبق في الإسلام، والبذل في سبيله، ومن قبل ذلك تقوى الله -سبحانه- تطبيقًا لقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**سلمانُ مِنَّا أَهْلَ البيتِ**»[(١)] فلم يسقط رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فارسيةَ سلمانَ فقط ليصير عربيًّا، بل جعله في الذروة العصماء من الصحابة من آل البيت -رضي الله عنهم أجمعين-، وقد اقتدى أصحاب رسول الله -رضوان الله عليهم- به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في ذلك، فهذا عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول: «أبو بكر سيدُنا وأعتق سيدَنا. يعني بلالا»[(٢)] يشير إلى أن أبا بكر قد أعتق بلالًا رضي الله عن الجميع، فعمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وهو في الذؤابة من قريش، وقريش في الذؤابة من العرب- يقول عن بلال الحبشي: إنه سيدُه، وإنْ

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦٠٤٠)، وقال الألباني في الضعيف (٣٧٠٤)، ضعيف جدًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٥٤).

تعجَبْ فعجبٌ أن يقعَ ذلك من عمر الذي كان يخشاه الجبابرةُ في الجاهلية، يُذَلِّلُهُ الإسلامُ حتى يرى أنَّ من كان عبدًا حبشيًّا سيدًا له، فحقًّا إنه الإسلام.

وقد جاء القرآن بالعديد من الصور التي تبين ذلك، وتؤكد أنه لا رابطة بين مسلم ومسلم إلا رابطة الإسلام، وحتى رابطة الدم والأبوة والبنوة فهما ساقطتان لا وزن لهما بجانب رابطة الدين، فهذا نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يُغرق الطوفانُ ابنَهُ؛ لأنه انحاز إلى الكفار، ورفض الإيمان برسالة أبيه، ولكن عاطفة الأبوة تجعل نوحًا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يخاطب ربه قائلًا:

﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥].

لكنَّ خطاب الله -تعالى- يأتيه حاسمًا قائلًا:

﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦].

فالأهلية التي فهم نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أنها أهليةُ الدَّمِ والولادةِ، نفاها ربُّنا -سبحانه-، وبين أنه لا أهليةَ بين مسلم ومسلم إلا أهلية الدين والإسلام.

إن رابطة الإسلام، والوحدة بين المسلمين على أساس من الإسلام طالما كانت شوكة في حلوق أعداء الإسلام، وقذى في عيونهم، ولم يفتأ هؤلاء الأعداء يبحثون عن رابطة أخرى تحلُّ محلَّ رابطة الإسلام حتى تفتقت حِيَلُهم ومكرُهم عن الدعوة إلى القومية العربية، التي حاولوا بها القضاء على الوحدة الإسلامية، ولقد عاصرنا ملكًا لإحدى الدول الإسلامية التي تحكم بشريعة الله [1]، قام هذا الملك -رَحِمَهُ اللَّهُ- رحمة واسعة إلى الدعوة إلى حلف إسلامي في مقابل الأحلاف

---

(١) الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود.

الغربية النصرانية[١]، لكنَّ أعداء الإسلام جن جنونهم فقاموا بالدعوة إلى حلف قومي معروف[٢]، ولم يهدأ بالهم حتى عطلوا دعوة الحق في حلف إسلامي، ثم لم يُلقُوا بالًا بعد ذلك إلى الحلف الذي دعوا إليه؛ لأنهم ما قصدوه أصلًا، بل قصدوا القضاءَ على الحلف الإسلامي، هذه هي بواعث الدعوة إلى القومية العربية وأهدافها الحقيقية عند دعاتها أعداء الإسلام والمسلمين.

ويبقى السؤال عن الأسس التي أقاموا عليها دعوتهم إلى تلك القومية العربية.

ثم ما موقفنا من هذه التي أسموها: (أسس القومية العربية)؟

الأسس التي تقوم عليها القومية العربية ونقدها:

تعرضنا في المبحث السابق لتيار (**القومية العربية**) وبيَّنا أن الدعوة إلى ما يسمى: (القومية العربية) لم يقصد بها في واقع الأمر دعوة إلى وحدة الأمة العربية، كما ادعى أصحاب هذه الدعوة وإنما قُصِدَ بالدعوة إلى القومية العربية ضربُ الوحدة الإسلامية، ومعارضةُ الدعوة إلى وحدة إسلامية بالدعوة إلى وحدة عربية تقوم على أساس العروبة ونبذ الإسلام بعيدًا، وعدم اعتباره مقومًا من مقومات الأمة، وقد بيَّنا أن الإسلام لا يعرف صلة بين مسلم ومسلم إلا صلة الإسلام، وليس معنى هذا إغفال الصلات الأخرى وإلغاءها، وإنما يعني هذا: أن كل الصلات بدءًا من صلات الدم إلى صلات التعامل والمصالح، كلها يجب أن تدور في

---

(١) الحلف الإسلامي الذي دعا إليه الملك فيصل.

(٢) حلف بغداد، الذي ما أن أفشلوا دعوة الملك فيصل، حتى تركوا الدعوة إلى حلف بغداد يموت كما ماتت -بفضل الله- جميع دعواتهم.

إطار الإسلام، وأن تنظَّمَ على أساس من قيم الإسلام وأحكامه، فرابطة الإسلام هي الأقوى وهي الأعم، وفي إطارها ينبغي أن تدور كل الروابط الأخرى، وقد نفى الله -تعالى- أن يكون ابن نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من أهله، فقال تعالى:

﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦].

فرغم كونه من صلبه، إلا أن كفره قد قطع كل صلة بينه وبين أبيه، وسلخه عن أهل نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

لقد تعلل أصحاب الدعوة إلى القومية العربية بأن الإسلام لا يصلح أساسًا لوحدة بين الدول العربية- وذلك كما يدَّعون- لوجود بعض فئات من العرب غير مسلمين، وقد كذبوا؛ فإن الأقلية الدينية لا تعني: فرض نظام معين على الأغلبية، ولا تعني: كذلك منع الأغلبية من إقامة نظام يخصُّها فيما يتصل بذوات أنفسها، كمزاولتها شعائر دينها، وإقامة أسرها على أساس من دينها، وفي كل دول العالم- غربه وشرقه- يوجد مسلمون وسط الدول النصرانية، ففي إنجلترا مسلمون إنجليز، وفي ألمانيا وفي أمريكا كذلك، ورغم ذلك لم يمنع وجود هؤلاء من أن تفرض هذه الدول نُظُمَها وتقاليدَها باعتبارها دولًا نصرانية، ولم يمنع وجود مسلمين ألمان في ألمانيا من أن يتولى الحزب الديمقراطي المسيحي الحكم سنوات وسنوات، وفي إيطاليا كذلك، فالاحتجاج بأن وجود بعض النصارى في البلاد العربية المسلمة يمنع قيام وحدة إسلامية حجة داحضة بكل المقاييس، ثم إن دعاة القومية جاءوا بأسس تقوم عليه القومية العربية، أو الوحدة العربية ظانين أن هذه الأسس بعيدة عن الإسلام، مع أن الأسس التي جعلوها ركيزة

لقوميتهم، أو لوحدتهم العربية إنما هي من بُنَيَّات الإسلام وراجعة إليه، وهذا يدل على أن العرب المسلمين لن يجدوا لهم مندوحة عن الإسلام حتى وهم يحاولون التملص منه، وأن الإسلام هو أساس كل شيء ذي قيمة في حياة العرب المسلمين، وسوف نستعرض في هذا المبحث تلك الأسس التي جعلوها ركائز لقوميتهم، أو وحدتهم العربية، وننظر صلتها بالإسلام.

لقد زعم دعاة القومية أن وحدتهم التي تقوم على العروبة- بعيدًا عن الإسلام- تقوم على أساس من اللغة المشتركة، والتاريخ المشترك، والثقافة المشتركة، والآلام والآمال المشتركة، ثم الأصل المشترك، هذه هي أهم الأسس التي زعموها أساسًا لوحدتهم بعيدًا عن الإسلام، بينما هي راجعة إليه ومنبثقة منه.

أما عن اللغة المشتركة فهذه اللغة إنما هي لغة القرآن والسنة، ولولا القرآن كلام الله -تعالى-، لاندثرت اللغة العربية منذ قرون طويلة، وقامت على أنقاضها اللهجات المحلية، كما هو الشأن في اللغات الأوربية التي كان أصلها واحدًا، ثم اندثر الأصل وقامت اللهجات مقامه.

وأما التاريخ المشترك؛ فأي تاريخ لدى العرب له وزن سوى التاريخ الإسلامي، حين نصر الله -تعالى- دينه، ودخل العرب إلى هذه البلاد فاتحين داعين إلى دين الله -سبحانه-، وهل كانت هذه البلاد عربية إلا بذلك الفتح الإسلامي المبين؟

وأما الثقافة المشتركة؛ فليس للعربي إلا الثقافة العربية، وأين تكون تلك الثقافة العربية للعرب المسلمين إلا من خلال الثقافة الشرعية، في التفسير، والحديث، والفقه، وأصوله، ثم في اللغة العربية وآدابها التي لا تجد مثالًا واحدًا

على قاعدة من قواعدها إلا بآية من كتاب الله -تعالى-، أو حديث لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟!!

وأما الآمال والآلام المشتركة- كما يقولون-؛ فإنما يقصدون بها آلام العرب من جراء الاستعمار الأوربي، وآمالهم في التخلص منه كلية، واستعادة عزهم وكرامتهم، وهل ضعفت المنطقة العربية إلا حين تخلت عن الإسلام وأخذت بنظام العلمانية؟ وهل ذلَّ العربُ حينًا من الدهر إلا حين ضعف الإسلام في قلوبهم، وابتعدوا عن هدي الله -تعالى-؟ ثم هل هناك من سبيل للخلاص من الضعف والتخلف إلا بالعودة إلى الإسلام الذي هو مناط القوة والمنعة؟ وبذلك تتحقق آمال العرب المسلمين.

وأما آخِرُ هذه الأسس التي تقوم عليها قوميتهم فهو: الأصل المشترك، والأصل المشترك هو العروبة، فمن أين لهم ذلك الأصل؟

إن هذه المنطقة التي هي عربية الآن، كانت موزعة بين فرعونية بمصر، وآشورية بالعراق، وفينيقية بالشام، وطورانية بتركيا، إلى غير ذلك من أصول ذابت وانصهرت في بوتقة العروبة الإسلامية التي حملها الصحابة والتابعون - رضوان الله عليهم-، وفتحوا بها تلك البلاد باسم الله وباسم الإسلام، فالعروبة في هذه البلاد إنما جاءتهم باسم الإسلام الذي قضى الله -تعالى- ألَّا تنفصل العروبة عنه، ثم إن الدعوة إلى القومية العربية بعيدًا عن الإسلام من شأنه أن يحيى نعراتٍ جاهليةً ماتت منذ دخل الإسلام تلك المنطقة، وإننا بالفعل نسمع نعراتٍ ينعق بها الناعقون تنادي بالقوميات التي قضى عليها الإسلام، وهذه الدعوات إنما أحيا نعراتها تلك الدعوة المغرضة الخبيثة، الدعوة إلى القومية العربية، التي لم

يُقصَدْ بها وحدةٌ، بل قُصِدَ بها القضاءُ أولًا على الوحدة الإسلامية، ثم تمخَّضت عن تمزيق الأمة العربية إلى تلك القوميات الجاهلية القديمة.

إن الله -سبحانه وتعالى-، قضى ألا يكون بين المسلمين رابطة سوى رابطة الإسلام والإيمان التي تجمعنا أمة واحدة تدين لربٍّ واحد -سبحانه-، وصدق الله العظيم القائل:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

الديمقراطية

نتناول في هذا المبحث تيارًا من التيارات التي وردت إلينا من الغرب النصراني، والتي فُتن بها الكثير من المجتمعات الإسلامية، بل ابتُليت بها المجتمعات الإسلامية جميعها، إلا من رحم الله -تعالى-، وقد كان هذا التيار الذي نتحدث عنه السببَ المباشر في تنحية شرع الله -سبحانه- عن المجتمعات الإسلامية، وكان السبب المباشر في تعطيل الحكم بما أنزل الله، وكان السببَ المباشر- أيضًا- في تلك الردة الجاهلية التي تعيشها غالبية المجتمعات الإسلامية، وتلك التبعية الذليلة التي تحياها الأمة، وهي تلهث وراء الفتات المتساقط من موائد الأنظمة الفاسدة، والمذاهب الضالة في المجتمعات الغربية النصرانية المنحلة دينًا وخُلقًا، الفاسدة تشريعًا وأنظمةً، السباقة في حمئة الفحشاء والمنكر سلوكًا وأفعالًا.

ولعلك- قارئي الكريم- قد عرفت ذلك التيار الذي نتحدث عنه، إنه التيار المعروف بـ(**الديمقراطية**).

و(الديمقراطية) كلمة مأخوذة عن اللفظة اليونانية: (Democracy) وهي مشتقة من لفظتين يونانيتين، هما: (Demos) بمعنى: الشعب، (Kratos) بمعنى: سلطة. والكلمة في جملتها تعني: حكم الشعب لنفسه، وهذه اللفظة تطلق ويراد بها: النظام الذي يتولى فيه الشعب اختيار حاكمه، ويتولى كذلك وضع

القوانين والتشريعات التي تحكمه، ويتولى الرقابة على الحكومة، وكل ذلك إن لم يكن بنفسه مباشرة، فعن طريق ممثليه الذين يختارهم لينوبوا عنه فيما يسمى: بالمجالس النيابية.

أما عن نشأة هذا النظام الذي يسمى: (الديمقراطية)، فقد عُرف أول ما عرف لدى اليونان القدماء قبل الميلاد بعدة قرون، حيث طبقته مدينة أثينا، ومدينة أسبرطة اليونانيتان، حيث كان يجتمع شعب كل مدينة في مكان عام ليختار حكامه، ولكي يؤخذ رأيه في القوانين التي تُطبق عليه، وقد كان ذلك ممكنًا آنذاك لقلة السكان في المدينتين وقتذاك، ولقد ظلت هذه الصورة القديمة للنظام السياسي الذي يقوم على اختيارِ الشعبِ الحكامَ الذين يحكمونه، والقوانينَ التي تُطبق عليه، ظلت هذه الصورة أمنية عزيزة للشعوب الغربية النصرانية التي ظلت تُحكم قرابة ألف عام حكمًا استبداديًّا ظالمًا، تحت طغيان الملوك والأباطرة من جانب، وفساد رجال الكنيسة الذين مالأوا الملوك من جانب آخر، وظلت الشعوب الغربية النصرانية تثور وتجاهد عبر قرون طويلة حتى تغلبت على عدوَّيها اللدودين: الملوك الطغاة، ورجال الدين الفاسدين، فتفككت الإمبراطوريات، وسقط الأباطرة، وانعزلت النصرانية ورجالها داخل جدران الكنائس، وطبقت العلمانية الإلحادية، ونالت الشعوب الغربية النصرانية أخيرًا حق اختيار حكامها، وحق اختيار القوانين التي تحكمها وتطبق عليها، وسُمِّيَ ذلك النظام بالنظام الديمقراطي، وكان ذلك نصرًا عظيمًا للشعوب الغربية النصرانية، ليس بإطلاق، بل بالنسبة لما كانت تعانية تلك الشعوب من قهر وظلم تحت حكم الملوك والأباطرة لأكثر من ألف عام، ولقد ظلت الديمقراطية هي النظام الأمثل والأكثر

ملاءمة للشعوب النصرانية، وذلك لأمور:

أولًا: أن هذه الشعوب النصرانية ليس لديها دين صحيح تحكم به.

ثانيًا: أن النصرانية الباطلة التي تدين بها تلك الشعوب ليس بها أحكام تشريعية مقررة وثابتة يمكن تطبيقها، ولكن الأمر فيها متروك لما يسمى- عندهم-: بالمجامع النصرانية التي تجتمع وتقرر الأحكام التي يرتضيها رجال الدين النصراني، وهذه المجامع تقرر أمورًا في مجمع، ثم تأتي فتنقض هذه الأمور في مجمع آخر، وقراراتها في كلتا الحالين لا يمليها إلا أهواؤهم ونزواتُهم.

ثالثًا: أن النصرانية ليس فيها ما يلزم المتدينين بها بتطبيق أحكام بعينها، بل هي تركت من يدين بها يطبق من الأحكام ما شاء.

رابعًا: أن رجال الدين النصارى قد رضوا لأنفسهم ولدينهم أن ينعزلوا داخل جدران الكنائس، ويتركوا الناس في المجتمعات الغربية النصرانية يشرعون لأنفسهم، ويضعون القوانين التي يحكمون أنفسهم بها، دون أدنى صلة لذلك بالنصرانية ورجالها.

خامسًا: يضاف إلى ذلك: أن تاريخ الكنيسة ورجالها مع المجتمعات الغربية تاريخٌ مخزٍ وفاضحٌ، فلطالما وضع رجال الدين النصارى أيديهم في أيدي الطغاة من الملوك والأباطرة الذين عاملوا شعوبهم الغربية معاملة العبيد، وأذاقوهم الذل والمهانة، وكانت الكنيسة ورجالها شرَّ معين للأباطرة على استذلال شعوبهم؛ ولذلك كانت هذه الشعوب- وما زالت- تمقت الكنيسة ورجالها، وتحتفظ لهم بأسوأ ذكريات يحتفظ بها بشر لرجال دينهم.

المجتمعات الغربية النصرانية- إذن- هي التي نبشت عن النظام الديمقراطي اليوناني القديم، واسترجعته بعد أن ظل مطمورًا ألف عام، أو تزيد، ليس هذا فحسب، بل إن المجتمعات والشعوب النصرانية الغربية قد ثارت وحاربت وبذلت الكثير في سبيل استحياء هذا النظام واستعادته وتطبيقه، وكان أشهر معارك الغرب في سبيل الديمقراطية هي الثورة الفرنسية، وما سبقها وما تبعها من معارك ظلت أمدًا طويلًا حتى استقر الأمر لذلك النظام الذي يسمى: (الديمقراطية) ويوم نالت الشعوب الغربية ذلك النظام تحقق لها أقصى ما تتمناه من نظام للحكم والتشريع والتنفيذ.

بان لنا- إذن- أن الديمقراطية نظام يعني: أن الإنسان هو أساس الحاكمية، فالحكم للإنسان، وهو أساس التشريع، فالإنسان هو المشرع، وأن الأحكام والقوانين غير ثابتة، فما يُعمَل به اليوم قد يُلغَى غدًا؛ لأن المرجعية في التشريع هي للإنسان، وقد ساغ ذلك في الغرب النصراني؛ لأن الدين النصراني دين فاسد، ورجاله رجال فاسدون منحلون؛ فكان من الخير للمجتمعات الغربية أن يتوارى الدين ورجاله خلف جدران الكنائس، وأن يختار الناس لأنفسهم نظامًا يحكمون به، فمهما بلغ فساده فإنه سيكون أفضلَ من فساد النصرانية ورجالها.

ويأتي السؤال الذي عقدنا هذا المبحث من أجل الإجابة عنه: إذا كان ذلك في الغرب النصراني؛ فماذا عنا نحن الأمة المسلمة التي تؤمن بأنه لا حكم إلا لله، ولا تشريع إلا من الله؟ وماذا عن موقفنا من تيار الديمقراطية هذا؟

أسباب تمسك الشعوب الغربية بالديمقراطية:

ذكرنا أن الشعوب الغربية عندما استطاعت استرداد حريتها، والقضاء على طغيان الملوك والكنيسة، وذلك منذ قامت الثورة الفرنسية وما بعدها، استمسكوا بالنظام الديمقراطي، واعتبروه النظام الأمثل بالنسبة إليهم، ولقد كانت الشعوب الغربية النصرانية لها أعذارها في التزامها بالديمقراطية؛ حيث ليس لديها دين حق، ولا شريعة صحيحة، وليس لديها من دينها الباطل ما يمنعها من اختيار القوانين التي تطبقها أيًّا كانت تلك القوانين!

وإذا كان هذا حال الدول الغربية النصرانية؛ فماذا عنا نحن الأمة المسلمة، التي تدين بدين الله الحق الإسلام؟ والتي أنزل الله -تعالى- عليها الشريعة الحقة التي كمل بها دين الله الحق، وتمت بها نعمة الهداية إلى ذلك الدين؟

ماذا عنا نحن الأمة المسلمة التي تؤمن بأن الحاكمية لله، وأن التشريع لا يكون إلا من الله -سبحانه-، وأنه لا يحق لأحد من الخلق أن يشرع لنفسه، فضلًا عن أن يشرع لغيره؟ هذا ما سنعرف الإجابة عنه في هذا المبحث.

قبل أن نجيب على السؤال المطروح تعالوا نوجه إلى (الديمقراطية) نظرة فاحصة تُبين لنا حقائقها، وتكشف لنا عن دقائقها، وسيبين ذلك- بحول الله- في أمور:

أولًا: الديمقراطية نظام شامل لحياة الناس بجميع جوانبها، فهي ليست نظامًا سياسيًّا فقط كما قد يبدو، ولكنها نظام سياسي، واقتصادي، واجتماعي.

ثانيًا: تقوم الديمقراطية على أن الحاكمية للناس، أو للشعوب، وأن التشريع حق لهم، فالناس هم الحاكمون، وهم المشرعون، وهم المنفذون لما يشرعون.

ثالثًا: الأحكام والتشريعات في الديمقراطية غير ثابتة؛ لأنها من تشريع البشر، فما يشرعون اليوم يظهر فساده غدًا فيغيرونه، وكل التشريعات كذلك لا يستثنى منها شيء.

رابعًا: تقوم الديمقراطية على ما يسمونه: **(الحرية)** والحرية في الديمقراطية تمثل لدى الشعوب الغربية هوسًا عصابيًّا، ومرضًا نفسيًّا غريبًا، وهذا الهوس وذاك المرض جعل الحرية- عندهم- تجنح عن الاعتدال إلى التطرف، حتى صار لائقًا بها أن تسمى **(فوضى حيوانية)** انفلتت عن كل ضابط، وتأبت على كل ميزان، أو رابط.

ولعل السبب في ذلك أن الشعوب الغربية حُرمت حريتها من بداية القرون الوسطى حتى العصر الحديث، فلما أُتيح لها قدر من الحرية أصابها سعار ودوار جنح بها عن حد الاعتدال إلى حد الشذوذ والانحراف.

هذه هي أهم سمات (الديمقراطية) فما ملاحظاتنا عليها نحن المسلمين؟

إن أول ما يلاحظ المسلم على الديمقراطية: أنها نظام يجعل الحاكمية لغير الله -سبحانه-، ويجعل حق التشريع كذلك لغير الله، ويترتب على ذلك أن الديمقراطية تجعل الطاعة والانقياد لغير الله، وإذا كانت هذه الأمور الثلاثة: **(الحاكمية، والتشريع، والطاعة)** حقًّا خالصًا لله -سبحانه-، ومن مقتضيات الربوبية والألوهية؛ فهذا يعني: أن الديمقراطية تسلب صفة الربوبية المتمثلة في حق الحاكمية، وحق التشريع، وتعطيه للناس، أو للشعوب، وتسلب كذلك حق الألوهية المتمثل في السمع والطاعة والانقياد، وتعطيه للناس، أو للشعوب،

وبذلك يتقرر أن الديمقراطية صورة من صور الشرك القديمة تلبَّست شكلًا حديثًا، وتسمَّت باسم عصري؛ لِتُلَبِّسَ على الناس دينهم وتُفسِدَ عقائدهم.

كذلك يلاحظ المسلم على الديمقراطية أنها تركز على ما يسمَّى: بالحرية، وأن الحرية فيها بلا ضوابط ولا حدود، وهذه نراه واضحًا في تطبيقات الحرية عندهم.

فهي حرية الكفر والإلحاد!

وهي حرية الزنا والدعارة!

وهي حرية المسكرات والمخدرات!

وهي حرية الشذوذ الذي وصل إلى حد أن تعقد الكنائس الزواج بين رجل ورجل، ويعلن القساوسة بعد ذلك شرعية هذه العقود!!

وهي كذلك حرية السفور الذي لا يُبقي على الأجساد شيئًا في معسكرات العراة، أو يُبقي القليل النادر في الشوارع والطرقات.

❁ ❁ ❁

وفي النهاية نجمل ما ذكرناه عن الديمقراطية فيما يلي:

أولًا: الديمقراطية نظام يوناني قديم، أخذت به الدول الغربية النصرانية بعد جهاد طويل مع الكنيسة من جانب وحكامها من جانب آخر.

ثانيًا: قد يكون للشعوب الغربية النصرانية عذرها من حيث هي كافرة بدين الله الحق، في أن تتخذ من الديمقراطية نظام حياة.

ثالثًا: يقرر المسلم عن يقين أن الديمقراطية هي إحدى صور الشرك الحديثة حيث تعطي حق الحاكمية للبشر، وهو حق خالص لله تعالى، يقول -سبحانه-:

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

كما تعطي حق التشريع للبشر، وهو حق خالص لله تعالى، يقول -سبحانه-:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

رابعًا: من المحزن المخزي أن ينخدع الكثيرون من المسلمين- أفرادًا وجماعاتٍ وأنظمةً- بهذه الديمقراطية، وليس لنا معهم إلا أن نذكرهم بكلام الله -تعالى- فيهم وفي أمثالهم:

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

الجمهوريون

هم تيار من التيارات الحديثة التي قامت لتقف عقبة ضد الصحوة الإسلامية، تلك الصحوة التي كان من أهم أهدافها: تطبيق الشريعة الإسلامية، والحكم بما أنزل الله -تعالى-، ومنذ بدأت الصحوة الإسلامية، ونشط المسلمون من غفوتهم، وأخذوا ينفضون عن كاهلهم غبار الشيوعية، وضلال العلمانية، واتجهوا جادين إلى تطبيق شرع الله -تعالى-، والحكم بما أنزل الله -سبحانه-، منذ ذلك لم يهدأ لأعداء الإسلام بال، ولم يسكنوا لحظة، بل استدعوا كل ما يملكون من مكر، وكل ما يجيدون من خديعة، لتعطيل المسيرة، وإجهاض الصحوة، ومنعِ تطبيق شرع الله -تعالى- في المجتمعات الإسلامية، وقد تعددت صور مكرهم، وتكاثرت أساليب خداعهم.

وهذه الحركة- التي نتكلم عنها في هذا المبحث- تمثل واحدة من تلك الحركات التي قام بها أعداء الإسلام؛ ليُعيقوا تطبيق شرع الله، وقد قامت هذه الحركة على أساس أنها تقدم بديلًا عن تطبيق الشريعة الإسلامية، وهذا البديل الذي قدموه يتمثل فيما أسموه: «الشريعة الإنسانية»، فقام زعيم هذه الحركة ومؤسسها، هو ومن تابعه، يقاومون الدعوة إلى تطبيق شرع الله -تعالى-، وأخذوا يتهمون الشريعة الإسلامية بالقصور عن مواكبة العصر، وأنها شريعة بدوية عربية عنصرية، إلى آخر هذا الخبث الذي نعرفه من أعداء الله، ثم طرح هؤلاء ما زعموه

بديلًا عن الشريعة الإسلامية، وهو ما أسموه: (**الشريعة الإنسانية**).

كذلك دعوا إلى إقامة (**جمهورية ديموقراطية اشتراكية**) تمتد لتشمل جميع الدول العربية المسلمة؛ ليطبق فيها جميعها نظامهم المسمى: (الشريعة الإنسانية)، ولأن دعوتهم قامت على ما أسموه تكوين: (**جمهورية ديموقراطية اشتراكية**) فقد أطلق على هذه الحركة اسم: (**الجمهوريون**) نسبة إلى تلك الجمهرة المزعومة، ولأن هذه الحركة لا هدف لها إلا أعاقة تطبيق الشريعة الإسلامية؛ فإننا لا نرى لها أساسًا فكريًّا واضحًا، ولا منطلقًا عقديًّا محدَّدًا، وإنما أفكارها شتات من الشيوعية الماركسية، والصوفية الغالية، والفلسفات الملفَّقة، وهي كلها خليط غير متجانس يتسم بالغموض والتعقيد والتطرف، والغلو؛ قصدًا إلى إخفاء أهداف الحركة، وجذب المثقفين إليها.

نشأة هذه الحركة ومؤسسها:

دعا إلى هذه الحركة رجل اسمه: (محمود محمد طه) وُلد بالسودان سنة إحدى عشرة وتسعمائة وألف للميلاد -١٩١١م-، درس الهندسة بكلية الخرطوم التذكارية التي صارت فيما بعد (جامعة الخرطوم) وتخرج منها سنة ست وثلاثين وتسعمائة ألف للميلاد -١٩٣٦م-، وعمل مهندسًا لبعض الوقت، ثم اتصل بالشيوعيين، وعمل معهم وأخذ يدعو إلى ما يدعون إليه، ثم تأثر بحركات التنصير التي كانت نشطة ومنتشرة أيام الاحتلال الإنجليزي للسُّودان، ثم تأثر- أيضًا- بالاتجاهات الصوفية الغالية كالتيجانية وغيرها، كل هذه المؤثرات أنتجت منه تلك الشخصية المضطربة الحادة الحائرة، وذلك الفكر المشوش المختلط، الذي

يقوم على ادعائه في بداية أمره أن الدين ليس وحيًا من عند الله -تعالى-، ولكنه نشأ كظاهرة اجتماعية بسبب خوف الإنسان من الطبيعة، وهو يردد مقولة الشيوعيين التي تقول: (**إن الله لم يخلق الإنسان، ولكن الإنسان هو الذي خلق الله**)، يقصدون- أخزاهم الله-: أن الله -تعالى- لا وجود له، ولكن الإنسان هو الذي أوجده بفكره -سبحانه وتعالى عما يصفون-، ولكن الرجل مرةً أخرى يزعم أن الله -تعالى- موجود، وأنه أرسله إلى الناس بلا واسطة من ملك، أو وحي، وقد استطاع بسبب قدرته على الجدال والملاحاة أن يضلل عددًا من الناس فيتبعوه.

وبسبب هذه الأفكار الضالة الكافرة أودعته حكومة السودان السجن، ثم أفرجت عنه، وحين أُفرج عنه من السجن كان المسئولون قد أعلنوا عن عزمِهم تطبيقَ الشريعة الإسلامية، فجن جنونه، وقام بحملة مسعورة ضد الإسلام وتطبيق شريعته، واتصل بزعماء النصارى في الجنوب يحرضهم ضد تطبيق الشريعة الإسلامية، مما دعا المسئولين أن يُمسكوا به ويحاكموه وقد حُكم عليه وعلى أربعة من زملائه بالإعدام، وأُعطيَ مهلةً ليتوب فرفض، وتم إعدامه سنة خمس وثمانين وتسعمائة وألف للميلاد -١٩٨٥م-، وأما زملاؤه الأربعة فقد أعلنوا توبتهم وأَفلتوا من القتل حدًّا.

❁ ❁ ❁

وفي نهاية عرضنا هذا نُذَكِّر بما يلي:

أولًا: (الجمهوريون) حركة أسسها رجل اسمه (محمود محمد طه) ولد بالسودان، وعمل مهندسًا، ثم بدأ ضلالته هذه داعيًا إلى تكوين جمهورية شيوعية

ديموقراطية تحكم بما أسماه: (الشريعة الإنسانية).

ثانيًا: يزعم (الجمهوريون) أن التكاليف الشرعية تلزم الإنسان حتى ينصلح حاله، ثم تسقط بعد ذلك، فلا يكون ثمةَ تكليفٌ.

ثالثًا: يزعم بأن الخوف من الله هو أساس فساد الخُلُق والسلوك.

رابعًا: يرفض الجمهوريون أمورًا كثيرة، لا يقرون بأنها من الشريعة الإسلامية، مثل: الزكاة، وحجاب المرأة، والتعدد في الزواج، وذبح الأضاحي، فهذه كلها- عندهم- ليست من الدين.

خامسًا: اعتقد أتباعه أنه المسيحُ المنتظَر، فرحَّب بذلك، وأقرَّهم على هذه العقيدة، ولكن الله -سبحانه-، قد أراح المسلمين من شروره وذلك بإعدامه، وبذلك انتهت فتنته- أو كادت-؛ إذ لم يعد للفكر الجمهوري وجود إلا بين فئة ضئيلة نرجو لها الهداية.

الحداثة

نَعرض في هذا المبحث لتيار من التيارات التي وفدت إلينا من الغرب النصراني بهدف القضاء على الدين والأخلاق والقيم بخاصة، وكل ما هو حق وثابت وموروث بعامة، وسبيل هذا التيار لتحقيق هذه الأغراض الخبيثة هو محاولته القضاء على لغتنا العربية، وذلك بالقضاء على مبانيها الثابتة، ثم على ما تحمله مبانيها من محتوى معنوي، ومستوى بلاغي وبياني عظيم، أسسته لغة العرب الفريدة، وتوَّجه القرآن المجيد المعجز، ثم محاولة القضاء على الجانب العقلي والوجداني في اللغة، أو ما نستطيع أن نسميه: **(منطقية اللغة)** إن صح هذا، وما نحسبه إلا صحيحًا.

حديثنا- إذن- عن هذا التيار، أو عن هذه البدعة الضلالة المسماة: **(الحداثة)**.

والحداثة مذهب إلحادي كفري علماني يستلهم أسسه، ويستمد جذوره من المذاهب الإلحادية، مثل: الداروينية، والشيوعية، والوجودية، وغير ذلك من مذاهبَ قامت على معاداة الدين والقيم واللغة، وكل حق ثابت في حياة الأمة.

❁ ❁ ❁

نشأة تيار الحداثة:

نشأت الحداثة في الغرب نتيجةَ عواملِ القلق والحيرة والاضطراب، ففي

الغرب عقب تخلص الشعوب الأوروبية من طغيان الكنيسة وجبروت الملوك، أصيب الناس بالفوضى والتخبط في كل شئون الحياة تقريبًا، وفي مجال الأدب ظهر هذا التخبط بوضوح، حيث توالت المذاهب الأدبية ينقض بعضها بعضًا.

فقد كانت الكلاسيكية التي تحافظ على التقاليد والموروث، ثم جاءت الرومانسية ثورة على الكلاسيكية، فحاربت الموروث من دين وأخلاق وتقاليد، ثم جاءت المدرسة الواقعية لتقيم نوعًا من التوازن، وتخفف من جنوح الرومانسية، ثم- وتحت عوامل معينة- تمخضت الواقعية عن **(المدرسة الرمزية)** التي تُعتبر الرافدَ الأساسي لمدرسة الحداثة.

والمدرسة الرمزية التي هي أصل للحداثة مدرسة تتحلل من العقائد والقيم، وتنفصل عن عالم الواقع جانحة إلى عالم الخيال، وتعبر عن نفسها بالرمز.

ولقد جاءت مدارس الحداثة فأوغلت في الرمزية حتى أفرغت المباني اللغوية من معانيها التي تواضع عليها أهل اللغة، واعتدت على محتواها الوجداني وتأثيرها النفسي، ومن المعلوم أن ألفاظ اللغة وتراكيبها تحتوي على معانٍ عقلية، وشحنات وجدانية، وأن مجموع الأمرين هو ما يريد المتكلم إيصاله إلى الآخَر، أو إلى المخاطب، فإذا جاء تيار الحداثة وزبانيته فأفسدوا من المباني اللغوية باختراع أو نحت مبانٍ جديدة غير مستعملة ولا مفهومة، أو باستعمالها في غير ما وضعت له، أو اخترعوا تركيبات جديدة لإفساد معاني اللغة، واللغة هي وعاء الدين، ووعاء القيم والأخلاق، ووسيلة التواصل بين الناس، فإذا ما تم إفسادها بالعبث بمبانيها؛ فإن ذلك يعني: الإساءة إلى كل ما تعبر عنه اللغة وتنطق به، وبخاصة كتاب الله -تعالى- القرآن المجيد، وسنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المطهرة، الَّذَينِ هما

مصدر الإسلام، ولا يمكن أن يفهما إلا بها.

إن مذهب الحداثة ظهر في الغرب في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ثم انتشر واستشرى على أيدي جماعة من الأدباء الفرنسيين المنحلين خلقًا ودينًا، الغارقين في مهاوي الرذيلة والسكر والفساد، وكان من أشهر هؤلاء: (شارل بودلير) الكاتب الفرنسي الذي قضَى حياته يدعو إلى الفوضى الخلقية والجنسية.

ثم انتقلت هذه البدعة الضلالة إلى العالم العربي على أيدي بعض الحاقدين على الإسلام، ومن أشهرهم: كاتب نصيري سوري يدعَى: (علي أحمد سعيد)، والذي اختار لنفسه اسم: (أدونيس) أحد آلهة الإغريق الوثنية؛ كراهية لاسمه العربي المسلم، و(أدونيس) هذا هو المروِّج الأول للحداثة في العالم العربي، وقد عاش في أوربا فترة، ثم جاء حاملًا ميكروب الحداثة، وقد حصل على درجة الدكتوراه من جامعة (سان جوزيف)، أو (القديس يوسف) بلبنان، وقد وضع رسالته للدكتوراه تحت عنوان (الثابت والمتحول) وقد قصد بالثابت الدين والأخلاق واللغة، أما المتحول فهو الجديد الذي يسعى الحداثيون إلى الوصول إليه من خلال تحطيمهم الثوابت كلها؛ من دين وأخلاق ولغة وموروثات، وقد دعا (أدونيس) في رسالته هذه صراحة إلى إعلان الحرب على الله -سبحانه-، والقضاء على الدين واللغة وكل موروث؛ لأن الدين والقيم تمثل عنده عوائقَ وقيودًا تمنع الحداثيين من التقدم.

❁ ❁ ❁

أهداف الحداثيين:

أولًا: إعلان الحرب على الله -ﷻ- ورسله -صلوات الله عليهم- وذلك برفض

القرآن السنة واللغة، وبالتالي رفض الشريعة الإسلامية وأحكامها رفضًا تامًّا.

ثانيًا: الثورة على كل ما يتصل بالدين من قيم وأخلاق، ورفض كل ثقافة ناشئة عن الدين كالتفسير والحديث والفقه وأصوله وغير ذلك.

ثالثًا: اللغة العربية- عندهم- قوة ضخمة من قوى الفكر المتخلف المتراكم الفاسد؛ لذا يجب القضاء عليها لتأتي على أنقاضها لغة الحداثة.

رابعًا: بدأ الحداثيون في نشر أفكارهم على استحياء، ثم أخذوا يتبجحون في وضوح، كفعل عبد الوهاب البياتي هذا الذي نشر قصيدة تمجد (لينين) وتدعو إلى زلزلة الإسلام تحت الفكر الشيوعي، يقول فيها:

وفي أقوال لينين، وهي تلهم الأجيال، وتصنع الرجال.

ألمحها في وطني تزلزل الجبال، يا إخوتي العمال.

أو كقول البياتي- أيضًا-:

«الله في مدينتي يبيعه اليهود، الله في مدينتي مشرد طريد، أراده الغزاة أن يكون لهم أجيرًا شاعرًا قوَّادا! يخدع في قيثاره المذهَّب العباد! لكنه أُصيبَ بالجنون؛ لأنه أراد أن يصونْ زنابق الحقول من جرادهم، أراد أن يكون!».

تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا!!

خامسًا: وأخيرًا فلعله قد بان لنا- من المثالين الذَين ذكرناهما، وغيرهما آلاف أفحش من هذا وأخبث-: ماذا تريد هذه الحركة الإلحادية التي تمجد الشيوعية وتدعوها إلى أن تزلزل الجبال في بلاد الإسلام، وتلهم الأجيال.

أما نحن فَنُحذر أشدَّ التحذير من هذه الحركة، وندعو الأجيال أن تستلهم القرآن المجيد والسنة النبوية، وأن تزلزل بهما جبال الكفر والإلحاد والزندقة.

أسلمة الأدب

نتناول في هذا المبحث موضوعًا من الموضوعات الهامة، وهو ما نستطيع أن نسميه: (**التوجه الإسلامي في الأدب**)، أو (**إسلامية الأدب**)، أو (**أسلمة الأدب**).

إننا نعيش في عالم تحكمه أديان وعقائد، وأفكار ومذاهب، وتيارات مختلفة- أشد ما يكون الاختلاف- ومتناقضة- أعظم ما يكون التناقض- وهذه الأديان والمذاهب والتيارات تشمل الناس جميعًا، لم يعد في عالمنا هذا جماعات، أو طوائف تعيش بلا مذهب، أو تيار، أو دين يحكمها ويوجهها، حتى هؤلاء الذين يسمون في عالم الفكر (**عبثيين**)- نسبة إلى العبث- قد أضحى لهم تيار يحكمهم، له معالمه، وله أهدافه ووسائله، أطلق عليه في عالم الفكر: تيار (**العبثية**) فالعالم كله- بشعوبه وأجناسه، وطوائفه وفرقائه- يجتمع تحت أديان ومذاهب وتيارات، كل طائفة، أو فرقة، أو أمة اختارت لنفسها دينًا، أو مذهبًا، أو تيارًا انتسبت إليه، وانضوت تحته، تدعو إليه، وتنافح عنه، وكل من هؤلاء الطوائف والفرقاء يتعصب لنحلته أشدَّ التعصب، ويتشدد في الولاء لمذهبه، ويستميت في الدفاع عنه.

وهذه الديانات والمذاهب والتيارات كلها ضلال وزيغ، وفساد وانحراف، ظلمات بعضها فوق بعض، إلا من رحم الله -تعالى- من مؤمن مسلم، هداه الله، -سبحانه- إلى الدين الحق، والعقيدة الصحيحة، وحاشا أن يكون هؤلاء إلا أمة واحدة تلك التي قال الله -ﷻ- فيها:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

فهؤلاء وأولئك رغم أنهم جميعًا- عدا المؤمنين المسلمين- على ضلال وزيغ، كل منهم يفكر ويقدر، ويجد ويجتهد في البحث عن الوسائل المتاحة، وتسخيرها في الدعوة إلى ضلاله وبهتانه، والدفاع عنه.

والسؤال المطروح هنا: إذا كان هؤلاء على ضلالهم وزيغهم يفعلون ذلك، ويسخرون كل الوسائل لنشر ضلالهم وبهتانهم؛ أو لسنا- نحن المسلمين- أولى منهم بذلك، ونحن من دونهم جميعًا على دين الله الحق الإسلام، ونحن على الصراط المستقيم، وعلى طريق الله القويم، إننا بلا شك أولى من هؤلاء جميعًا بالبحث عن كل وسيلة يمكن أن تخدم دين الله الحق، لهداية الناس إليه، وما أكثر هؤلاء الضالين الزائغين الذين نتحمل أمام الله -سبحانه- مسئولية هدايتهم إلى دين الحق، وأمانة إخراجهم من الظلمات إلى النور.

إننا حين نفتش وننقب عن الوسائل التي تعيننا على نشر دين الله الحق، والدفاع عنه ضد أعدائه المتربصين به، نجد وسائل كثيرة لم تُستغل من جانبنا الاستغلالَ الأمثل، ولم توظف التوظيفَ المؤثر المنتج، فبعض هذه الوسائل قد يكون مهملًا تمامًا، وبعضها قد يكون مستَغَلًّا ولكن بصورة غير مؤثرة.

من هذه الوسائل- التي لم تستغل في سبيل الدعوة إلى دين الله -تعالى- الاستغلال الأمثل، والتي تحتاج منا إلى عناية أكبر، وتوظيف أكثر، واهتمام بها، وتوجُّه إليها، والتي هي موضوع هذا المبحث-: الأدب، أو الآداب بأنواعها.

إننا حين نتحدث عن الأدب، أو الآداب باعتبارها وسيلة فعالة ومؤثرة، في

نشر ديننا، والدفاع عنه، وهداية الناس إليه قد يعجب بعض القراء، وقد لا يتحمس بعض آخر، وقد يرى البعض أن الأمر غير ذي بال، وهذا دليل على صدق كلامنا حين نبهنا إلى أن الأدب كوسيلة فعالة مؤثرة في نشر الدعوة الإسلامية، لم يجد منا الاهتمام اللائق به، وبمدى ما له من خطر وتأثير وفعالية في مجال الدعوة.

إن الطوائف والفرقاء من أصحاب الأديان الباطلة، والمذاهب الإلحادية، والتيارات الهدامة، قد تنبهوا إلى ما للأدب من أهمية كبيرة، وتأثير خطير في نشر أضاليلهم وبهتانهم، فاستغلوا الأدب بجميع صوره، وسخروه للتعريف بمذاهبهم، والترويج لتياراتهم، وصوَّروا ضلالاتهم هذه عن طريق الأدب تصويرًا وجدانيًّا مؤثرًا، وأظهروها بمظهر براق لامع جذاب، وقدموها للآخرين على أنها مذاهب هامة وخطيرة، ولا غنى لأحد عنها، وألبسوها لكل فئة من الناس اللباسَ الذي يروقهم ويؤثر فيهم، فكان ذلك سببًا في انتشار تلك المذاهب على ضلالها وبهتانها وفساد محتواها، وزيف مضمونها.

والأمثلة على تأثير الأدب في نشر المذاهب الفاسدة الهدامة كثيرة، وسنكتفي بإيراد مثال واحد عن مذهب يعتبر أحطَّ المذاهب والتيارات، وأكثرها ضلالًا وإسفافًا بكل المقاييس، نقصد بذلك تيار (الوجودية).

إن هذا المذهب قد أسسه رجلُ دينٍ نصراني ألماني اسمه: (سورين كيركجارد) وقد ظل يدعو إلى مذهبه، ورغم أنه قد جعل لمذهبه مسحة دينية نصرانية، إلا أن أحدًا لم يلتفت إليه، ثم جاء بعده كثيرون، من أشهرهم: (جبريل مارسيل)

الفرنسي، ولكن لم يكد أحد يلتفت إليه، وكاد المذهب ينضوي ويتلاشى، حتى تلقفه شيطان الوجودية (جان بول سارتر) فجرَّد المذهب الوجودي تمامًا من الدين والأخلاق والقيم، وأغرقه في هاوية الإلحاد والانحلال، لكنه سخر لنشره إمكاناته الأدبية الواسعة، فكتب الكثير من القصص والروايات والمسرحيات والمقالات، وكلها تعريف بالمذهب، ودعوة إليه، وترغيب فيه، وإظهاره أمام الشباب بصورة براقة خادعة، فكان أن أقبل عليه الشباب الغربي، بل وصل به الأمر إلى أن دخل على المسلمين بعض مجتمعاتهم، لكنه- بحمد الله -تعالى- أوشك أن يندثر بعد هلاك (سارتر) وكبار تلامذته، هذا مثال واحد واقعي موضوعي عاصرناه، وخبرنا مسيرته الضالة، وغير ذلك أمثلة كثيرة، تظهر بوضوح ما للأدب- بصوره المتعددة- من أثر فعال في التأثير على الناس بفئاتهم المختلفة ثقافة وأعمارًا، وفي جذبهم إلى الحق، وإقناعهم به، وهذا ما نريد أن نصل إليه من لفت الأنظار وتحفيز الهمم نحو التفاف جميع من لهم اهتمامات أدبية إلى ما نسميه: (أدبًا إسلاميًّا) أو: (التوجه الإسلامي في الأدب)، أو (إسلامية الأدب)، أو (أسلمة الأدب) ليس المهم أي اسم نختار، لكن المهم أن نبدأ بتوضيح الهدف ورسم الطريق وتحفيز الهمم، وهذا ما سنوضحه فيما يلي:

❁ ❁ ❁

بيَّنا فيما سبق أهمية الأدب بصوره المختلفة والمتنوعة كوسيلة من الوسائل المؤثرة الفعالة في نشر الإسلام، وتوضيح قضاياه، والدفاع عنه، وهداية الناس إليه، وقد ضربنا مثالًا بيَّنا به ما للأدب من تأثير منتج فعَّال في نشر المذاهب

والتيارات، حتى ما كان منها ضلالًا وفسادًا، ونحن المسلمين- من دون الناس أجمعين- قد هدانا الله -تعالى- إلى دينه الحق، وبين لنا صراطه المستقيم، وأكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ثم حمَّلنا الله -تعالى- مسئولية تبليغ دينه، ووضع في أعناقنا أمانة إيصال الدعوة إلى من تنكَّب الطريق وضل عن سواء السبيل، ولقد حضَّنا الله -تعالى- ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على استغلال كلِّ وسيلة توصل إلى ذلك الهدف العظيم، ما دامت وسيلة طاهرة وشريفة، وهذا بعض معاني (الحكمة) في قوله -سبحانه- مخاطبًا رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والخطاب للأمة كلها-:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالحكمة تعني: ضمن ما تعني: اختيار الوسيلة المناسبة على أن تكون شريفة وطاهرة، والأدب من الوسائل التي تتأثر بمستعملها، وتتلون بلونه، فقد تكون مع الخبيث خبيثة، ولكنها مع المسلم وسيلة طاهرة نظيفة شريفة؛ لأن المسلم بطبعه طاهر شريف.

من أجل ذلك دعونا وندعو إلى ما نسميه: (أسلمة الأدب) أو: (الإسلامية في الأدب)، أو بمعنى أوضح في بيان هدفنا من تلك الدعوة، فلنقل: (**أدب الدعوة**) وهذه الأسماء على تعددها ذات مضمون واحد، وتهدف إلى غاية واحدة، وهي تسخير الأدب في خدمة الإسلام، وقد نحقق- ونحن في سبيلنا إلى تحقيق هذه الغاية- هدفًا آخَرَ ضمنيًّا فنكون قد حققنا من الأدب هدفين، وليس هدفًا واحدًا.

الهدف الأول: أننا ابتعدنا بالأدب عن مهاوي الإسفاف والرذيلة، وأن يكون

أداة ووسيلة إلى نشر البذيء والمسف من التيارات والمذاهب والأفكار.

الهدف الثاني: أننا نكون قد ارتفعنا به إلى أسمى وأنبل غاية يمكن أن يُسَخَّرَ الأدبُ من أجلها، وتلك هي الدعوة إلى الله -تعالى-، وخدمة الإسلام في المجالات المتعددة، وبخاصة في الدفاع عنه ضد المتربصين به.

إن إسلامية الأدب، أو أدب الدعوة هدف تدعو إليه الضرورة في كل زمان، ولكن الحاجة إليه في عصرنا أصبحت أكثر ضرورة وأكثر إلحاحًا؛ ذلكم أن الأدب قديمًا كان محدودًا ومحصورًا في جانبين:

الجانب الأول: جانب صوره وأشكاله.

الجانب الثاني: جانب وسائل نشره وإيصاله إلى الآخرين.

فالأدب قديمًا كان إما شعرًا وإما نثرًا، ثم أصبح في عصرنا شعرًا ونثرًا، وقصةً، وروايةً، وحوارًا ومقالًا، ونقدًا وسينما، ومسرحيةً، وتحقيقاتٍ... إلى غير ذلك من صور كثيرة ومتنوعة، وقد كانت سبل نشر الأدب قديمًا الراوية والكتاب، ثم أضحى لنشره عشرات السبل، من صحف، وكتب، وقصة، ورواية، ودواوين شعر، ومقالات، وإذاعة، وتلفاز، ومسرح، ومعاهد للدراسة بأنواعها ومستوياتها، إلى غير ذلك من سبل لا تكاد تحصى، يضاف إلى ذلك عامل آخر خطير: هو سرعة انتقال الكلمة، وسهولة هجرة الأفكار؛ فقد أصبحت الكلمة تنتقل عبر الأقمار الصناعية من منبعها إلى أقصى مكان في ثوانٍ معدودة، تلقى الكلمة، أو تنشر في أقصى الغرب، فلا تمر ثوان حتى تكون قد طبقت الآفاق، وانتقلت إلى أقصى الشرق.

ووسيلة هذه صورها وأنواعها، وهذه سبل نشرها ووسائل نقلها، وهذه سرعة وصولها إلى الآخر، لا يحل إهمالها وإخراجها من مجال المعركة الدعوية الإسلامية، بل إن تركها وإهمالها يعتبر جرمًا كبيرًا؛ لأنه يجردنا من سلاح خطير وفعال ومؤثر في الدعوة إلى الإسلام، وتوضيح قضاياه، والدفاع عنه.

❁ ❁ ❁

إن الدعوة إلى (إسلامية الأدب)، أو (أدب الدعوة) تنطلق من عدة ثوابت هامة وأصيلة، أهمها:

أولًا: أن الدعوة إلى دين الله -تعالى- والتعريف به، والدفاع عنه، لا تقتصر على وسيلة معينة، أو وسائل محددة، بل كل الوسائل في ذلك متاحة ومطلوبة، ما دامت نافعة ومفيدة من جانب، ونظيفة وطاهرة وشريفة من جانب آخر، والأدب بكافة أشكاله وصوره هو في يد المسلم من الوسائل الطاهرة النظيفة السامية التي يمكن أن نخدم بها الإسلام، ونوضح قضاياه- عقائدَ وعباداتٍ ومعاملاتٍ وآدابًا وأخلاقًا- من جانبٍ، ونشهره- كذلك- سلاحًا مؤثِّرًا فتَّاكًا في وجوه أعداء الأمة من جانبٍ آخَرَ.

ثانيًا: أن ثمة مجالاتٍ كثيرةً لا يسهل لغير الأدب اختراقها، وليس من اليسير إيصال كلمة الإسلام إلى هذه المجالات والمشتغلين بها إلا من خلال الأدب بصوره كلها أو بعضها، وذلك كالمشتغلين بالأدب كتابة، أو قراءة، وبالشعر، والمسرح، والصحافة، ومنتديات الأدب، وهؤلاء جمهور لا يكاد يحصى عددًا، وتأثيره في الآخرين لا يقدر إن عرف دين الله -تعالى- واقتنع به.

ثالثًا: أن هناك الكثير من التيارات والمذاهب الإلحادية، التي قامت على أساس من الإلحاد، ومحاربة الأديان بعامة، والإسلام بخاصة، مثل: الوجودية، والحداثة وغيرها، كل هذه المدارس كانت وسيلتها الوحيدة التي انتشرت من خلالها هي الأدب بصوره المختلفة، ولن نتمكن من الرد على هذه المدارس والمذاهب إلا من خلال نفس وسيلتها، ومحاربتها بنفس سلاحها، وهو الأدب، فهذا أجدى وأنفع.

نماذج من الأدب المعادي للإسلام

إن المدارس والمذاهب والتيارات التي استعملت الأدب دعوة إلى إلحادها من جانب، ومحاربة الإسلام من جانب آخر كثيرة ومتنوعة، وبخاصة في عصرنا الذي نعيشه، وهذا يحتاج منا وقفة نبين فيها بعض نماذج لهذه التيارات المعاصرة المعادية للإسلام والمسلمين.

وقد بيَّنا فيما سبق حاجتنا الملحة إلى استعمال الأدب وسيلة من الوسائل التي تخدم الإسلام دين الله الحق، في بيان قضاياه، والدعوة إليه، كذلك يجب استغلال الأدب في توضيح قضايانا، نحن المسلمين بأنواعها، وبخاصة القضايا السياسية كقضية المسلمين في كوسوفا، وفي الشيشان وفي كشمير وغيرهما، وقضايا المسلمين هنا، أو هناك هي في ذات الوقت قضايا الإسلام، وقد بيَّنا كذلك أن أعداء الإسلام عبر العصور المختلفة قد استعملوا الأدب بصوره المتاحة ضد الإسلام والمسلمين، وما تزال الكتب التي وُضعت تحت عنوان: (الأدب)، ومنها: الموسوعات الكبيرة، تنطوي على السم الزعاف مخلوطًا بدسم الأدب وطرافته.

ومثالًا على ذلك كتاب (الأغاني) الذي لا تخلو منه مكتبة عامة، ولا تكاد تخلو منه مكتبة خاصة، قد دس أنواعًا من الطعن والتنقيص والتشهير بسلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، والطعن في هؤلاء طعن في الإسلام، وإيذاء لله

ورسوله والمسلمين، ومثل الأغاني كتب كثيرة، يغفل عنها المثقفون فضلًا عن عامة المسلم، وإذا ما تخطينا العصور السابقة بما فيها من طعن على الإسلام- وهو كثير- إلى عصرنا الذي نعيشه، فسنجد المطابع تدفع بالآلاف من المؤلفات التي تُصَنَّفُ تحت الأدب شعرًا، ونثرًا وقصةً، وروايةً، وتمثيليةً، وفيلمًا سينمائيًّا، وتلفازيًّا، إلى غير ذلك من صور تصنف تحت مسمى الأدب، كلها تحارب الإسلام، وتتهجم على المسلمين، وقد وعدنا بأن نعطي نماذج قليلة لبعض هذا الذي يجري على الساحة المسلمة، وفي قلب المجتمعات المسلمة تحت سمع وبصر المسلمين، والأمثلة كثيرة، والنماذج عديدة، لكنا نكتفي بإيراد بعض منها، من باب الإعلام للمسلمين بما يجري في بعض مجتمعاتهم حتى لا يتعلل البعض بالجهل، ثم ليكون ذلك حفزًا للهمم وإيقاظًا للعزائم.

النموذج الأول لاستعمال الأدب وسيلة للطعن في الإسلام: وقع هذا في شهر رمضان الكريم، وقد اختار أعداء الله شهر رمضان تحديدًا؛ لأنه شهر عبادة وطاعة، ولأن الناس فيه يتزودون في مجال العلم بشتَّى المعارف الإسلامية، ويعيش فيه المسلمون جوًّا من التقوى والروحانية والعبادة؛ ثم لأن جماهير الناس- للأسف الشديد- تجتمع حول جهاز التلفاز يقضون حوله ساعات السهرة الطويلة. انتهز أعداء الإسلام هذا كله وصنعوا تمثيلية دسُّوا فيها أنواعًا من الطعن في الإسلام والتهجم على دين الله، ألَّف هذه التمثيلية مؤلف معروف عنه عداؤه للإسلام، وكان قد ألَّف قبل ذلك قصة أساءت إلى الإسلام قضى بسببها في السجن بضعة شهور، هذا المؤلف ألَّف تمثيلية، وقام بإخراجها وتمثيلها

جماعة تعادي الإسلام وتدعو إلى الانحلال عن عراه، وكانت التمثيلية كلها ضد الإسلام، وضد الدعاة إليه تظهرهم بصورة تهكمية ساخرة تنفيرًا منهم، لكن الذي أثار المسلمين أن بطل التمثيلية في أحد المشاهد أخذ يحدث الناس وهو جالس على المقهى ساخرًا من هؤلاء الذين يعتقدون في حساب القبر وعذابه يصفهم بأنهم جهلة متخلفون، تعشش في رءوسهم الأساطير والخرافات، ويقول للناس: أما آن لنا أن ننفضَ عن كاهلنا هذه الخرافات، ونتخلص من الذين ينشرونها بيننا، وبينما المسلمون ثائرون لهذا التعدي السافر على عقائد الإسلام، إذا الممثل نفسه في الحلقة التالية يجري حوارًا في نفس المقهى مع زملائه يسخر فيه ويتهكم من هؤلاء الحمقى الذين يزعمون أن الله -سبحانه- قد أمدَّ المسلمين في غزوة بدر بالملائكة تحارب معهم، ويقول الممثل: إن الرسول أذكى من أن يطلب من ربه ملائكة تحارب معه؛ لأن هذا مستحيل، ويصف هذا بالأسطورة والوهم والجهل، وقد ثارت ثائرة المسلمين، ووصل الأمر إلى القضاء، وكل ما حدث أن المخرج اعتذر عن هذا الخطأ البسيط، غير المقصود، لكن التمثيلية ظلت تذاع على الناس حتى اكتملت حلقاتها، ولكن المؤلف الفاسد ومن معه لم يعاقبوا على ما جنوا ضد الإسلام والمسلمين، وذلك بحجة ما يسمى: حرية التفكير والتعبير.

ذلك الشعار الفاسد الذي يتوارى خلفه أعداء الإسلام والمسلمين، وتقف وراءهم السلطة تحميهم وتدافع عنهم.

ونموذجٌ ثانٍ: وهو ما قام به مؤلف فاسق بتأليف كتاب ضمَّنه عددًا من قصائد الشعر الحداثي، وأطلق على كل قصيدة اسم سورة تهكمًا بالقرآن المجيد،

وأسمى تلك السور البذيئة بأحرف الهجاء، فسورة (أ)، وسورة (ب)، وهكذا، ثم أطلق على المجموعة كلها اسم سورة (ج)، وحرف (ج) في اللهجة العامية يعني: التطير والتشاؤم، ونذير الشر والخراب، فإذا سئل إنسان عن حاله، فقال: الحالة (ج)، كان معنى ذلك: أنه في غاية الفقر والشقاء والتعاسة، وقد اختار الكاتب الملحد هذا الحرف ليشير من طَرْفٍ خفي إلى أن الكتاب المجيد القرآن، وما فيه من سور قرآنية، إنما هي سبب ما فيه العرب والمسلمون من تخلف وجور وشقاء وفقر، وقد ضمن هذا الملحد أشعاره البذيئة صورًا من الخلاعة والمجون والانحلال يعفُّ القلم عن الإشارة إلى بعضها، وهذا المؤلف نفسه قد ألف قصة يسخر فيها ويتهكم من رسل الله وأنبيائه- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- وقد حكم عليه القضاء بسبب هذين الكتابين بالسجن ثلاث سنوات، لكنه لم يقضِ بالسجن سوى بضعة شهور، ثم أُطلق سراحه، بحجة ما يسمى: (**حرية التفكير والتعبير**) هذه الحرية، أو هذه الفوضى التي جاء بها التيار الانحلالي عن القيم والأخلاق، والذي تحت شعاره انطلق الملاحدة يطعنون في الإسلام بشتى الوسائل كتابةً ورسمًا وتمثيلًا وقصةً وروايةً، وكلما قمنا ندافع عن ديننا تعللوا بما يسمى: (حرية التفكير والتعبير) والذي ستكون لنا معه وقفة- بحول الله -تعالى-

إن نماذج الضلال والفساد كثيرة لا تكاد تحصى، وليس كلامنا عنها هدفًا في ذاته، لكنا ذكرنا ذلك- كما قلنا- من باب تحفيز الهمم وإيقاظ العزائم للاتجاه إلى استعمال الأدب كوسيلة إسلامية نقية فعالة، ولسنا في هذا المجال روادًا، بل لقد كانت الريادة في أسلمة الأدب، أو في توجيه الأدب لخدمة الإسلام، كان ذلك

لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم لأصحابه وأتباعه -رضوان الله عليهم أجمعين- الذين اقتدوا به في هذا المجال الطيب، وستكون لنا وقفة نبين فيها الأمثلة واضحة من فعل الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه وسلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- في هذا المجال.

❁ ❁ ❁

لقد تحدثنا عن الأدب باعتباره وسيلة من الوسائل الفعالة والمنتجة في إقناع الناس والتأثير عليهم، وتحذيرهم من المذاهب والتيارات الضالة الكافرة، وضربنا لذلك أمثلة بيَّنا بها أثر الأدب بصوره المختلفة في هذا المجال، ودعونا وندعو إلى ضرورة استغلال الأدب في خدمة الإسلام وقضايا المسلمين، ولقد بان لنا كيف أن أعداء الإسلام من الملاحدة- شيوعيين وعلمانيين وغيرهم- قد استغلوا الأدب في جانبين:

الجانب الأول: في نشر مذاهبهم الإلحادية الفاجرة.

والجانب الثاني: في إعلان الحرب على الإسلام دين الله الحق، ومحاولة النيل من عقائده وتشريعاته، وقد قدمنا لذلك نموذجين من الواقع الذي عشناه وشاركنا في مقاومته وكشف مخططاته.

من أجل ذلك دعونا- وسنظل ندعو- إلى استعمال الأدب بصوره المختلفة، وأساليبه المتنوعة لخدمة قضايا الإسلام، ويتم ذلك من جانبين- أيضًا-:

الجانب الأول: نستعمل الأدب في التعريف بالإسلام، والدعوة إليه، ونشر تعاليمه وأحكامه، ثم التعريف بقضايا المسلمين في كشمير وكوسوفا والبوسنة والشيشان وغيرها.

وأما الجانب الثاني: فاستغلال الأدب في الدفاع عن الإسلام ضد أعدائه من الكفرة الفجرة الذين يهتبلون كل مناسبة لمحاولة النيل من الإسلام، وتشويهه، كما حدث في المثالين الذين ذكرناهما.

والدعوة إلى (أدب إسلامي)، أو (أسلمة الأدب)، أو استعمال الأدب سلاحًا في الدفاع عن الإسلام، ليست من إنشائنا، ولا نحن السابقين إليها، أو الرواد فيها، ذلكم أن تلك الدعوة بدأت بوادرها الأولى على يد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبتوجيهه ومباركته، بل بأمره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإلزامه، ولقد كان لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شعراء وأدباء وجههم إلى أن يدفعوا عن الإسلام بشعرهم ونثرهم، فاستجابوا لأمر الله ورسوله، فكان لهم البلاء الحسن في الدفاع عن الإسلام وردع المشركين، وكان رائدهم في ذلك الصحابي الجليل حسان بن ثابت -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، الذي استنفر رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قريحَتَهُ الشعريةَ، فقام يدفع هجاء المشركين لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بهجاءٍ أشدَّ منه وأوجعَ، فأسكت شعراء الكفر والشرك وانتصر عليهم، وفيه وفي أصحابه شعراء رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نزل قول الله -تعالى-:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧].

فشعراء المشركين هم الغاوون، ومن يتبعهم ويصدقهم غاوون- أيضًا- ومعتدون، لكن شعراء رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هم الذين آمنوا وعملوا

الصالحات وذكروا الله كثيرًا، وهجاؤهم للمشركين ليس اعتداءً، وإنما هو دفاع وانتصار للإسلام ولرسول الله وللمسلمين، فهجاء الكفار لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظلم واعتداء، وهجاء شعراء الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- انتصار ودفع لذلك الظلم.

وقد كان من شعراء رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المشهورين: الصحابي الجليل (عبد الله بن رواحة) الذي كان يرتجز في الغزوة قبل أن يستشهد قائلًا:

والله لـــولا الله مـــا اهتـــدينا ولا تصـــــدقنا ولا صـــــلينا

فـــأنزلن ســـكينة علينـــا وثبـــت الأقـــدام إن لاقينـــا [1]

ومنهم كذلك: (كعب بن زهير) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- صاحب قصيدة (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول) والتي مدح فيها رسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأصحابه، ومن لحظتها اعتبره رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شاعر الإسلام، **فألقى على كعب بن زهير بردته الشريفة تعبيرًا عن رضاه عنه، بعد أن كان قد أهدر دمه.**

إلى هذا الحد كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقدر الأدب بعامة، والشعر بخاصة حين يكون في خدمة العقيدة والدفاع عنها، وهؤلاء الثلاثة هم أشهر شعراء رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إذا عرفنا هذا من رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه، -رضوان الله عليهم- ثم تخطينا القرون حتى وصلنا إلى قرننا الحاضر، فسيتضح لنا أنه قد أتى على المسلمين حين من الدهر لم يهتموا بالأدب، ولم يقتدوا

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٢).

برسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما بيناه سابقًا، من اهتمامه بالأدب، واستنفاره الشعراءَ للدفاع عن الإسلام، ولقد ظل الأمر كذلك حتى قام الداعية الإسلامي الأديب الشيخ: (أبو الحسن الندوي) بإنشاء (**رابطة الأدب الإسلامي**) وقد أعلن عن تأسيسها في شهر نوفمبر من عام ١٩٨٢ م، وقد بارك الله -تعالى- في الرابطة بفضل جهود مؤسسها ورفقائه الكرام، وأصبح لها فروع ومكاتب في بعض البلاد العربية، وفي الهند وغيرها، وقد رأس أول مكتب للبلاد العربية الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا -رَحِمَهُ اللَّهُ-، ثم خلفه على المكتب بعد رحيله أ. د. عبد القدوس أبو صالح، وللمكتب إسهامات لا بأس بها من النشرات، وهذا كله طيب يشكر القائمون عليه، لكنا من باب الحرص على إسلامية الأدب، وعلى الرابطة الداعية إليه، نلاحظ أن الإعلام برابطة الأدب الإسلامي ضعيف، وبالتالي فإن أثرها يكاد يكون محدودًا، ونتمنى أن تجتهد الرابطة في الاتصال بالمسلمين النشطاء على الساحة الإسلامية سواء كانوا شعراء، أو كُتَّاب، أو متحدثين، وتمدَّ حبالها إليهم، وأن تعلنَ عن أنشطتها الأدبية الإسلامية لكل من يهمه أمر الإسلام ويعمل لذلك، ليس تنقيصًا من نشاطها، ولا تقليلًا من شأنها، لكنه أمل في أن يتسع ذلك النشاط المبارك، ويعم أثره الساحة الإسلامية كلها، والله من وراء القصد.

حرية التفكير وحرية التعبير

نتكلم في هذا المبحث عن نابتة سوء نبتت في مجتمعاتنا تحت عوامل وظروف معينة، تلك الظروف والعوامل التي تتمثل في افتتان المجتمعات الإسلامية بالغرب النصراني في كل ما يشيع فيه من مفاسد وضلالات، ثم فيما يزعمه المفتنون بالغرب من دعوى التحضر والتثقف، أو التقدم والتحرر والانفتاح على المجتمعات الغربية، تحت هذين العاملين:

١- الافتتنان بكل ما يشيع في الغرب النصراني، تحت الزعم بأن هذا يمثل الحضارة والتقدم.

٢- محاولة التشبه بالغرب، وأخذ كل ما عنده دون تمحيص، أو تبصر.

تحت هذين العاملين نشأ كل ما يشيع في مجتمعاتنا الإسلامية من فساد وضلال، وانحلال وانحراف، وتفسخ وتعفن، وهذان العاملان هما أساس شيوع التيارات الضالة، والمذاهب الفاسدة الهدامة في بلادنا وبين أولادنا، ونابته السوء هذه، أو هذا التيار الذي نتحدث عنه هو ما يسمى: (**حرية التفكير وحرية التعبير**).

والأمران بينهما علاقة وثيقة؛ فالتفكير أمر داخلي باطني لا يطلع عليه أحد، وليس بإمكان إنسان أن يعرف فيم يفكر إنسان آخر، ولا كيف يفكر، وعند هذه المرحلة لا علاقة لإنسان بآخر، ولا مسئولية على الإنسان المفكر أمام الآخرين؛ لأنه ليس بإمكان إنسان أن يطلع على دخائل الآخرين، أو أن يعرف ما يفكرون

فيه، ومسئولية الإنسان حين يفكر تنحصر فيما بينه وبين الله -تعالى- الذي يعلم السر وأخفى، فما دام الإنسان في مرحلة التفكير فلا مسئولية عليه أمام الآخرين.

لكن مسئوليته أمام الآخرين تبدأ حين يبدأ هو في التعبير عما يفكر فيه، وتصبح مسئوليته أمام الناس أمرًا لازمًا وحتميًّا؛ فإن كان تفكيره سويًّا، وأسلوب التعبير عن هذا الفكر سليمًا ونقيًّا، وكان كل من الفكر والتعبير عنه لا يمثل اعتداء على حرمات الآخرين، ولا إساءة إلى ما يجلون ويقدسون، كان الأمر عاديًّا، ولا بأس من التفكير، ولا حرج على التعبير.

أما إذا كان الفكر منحرفًا، والتعبير عنه شاذًّا وفاسدًا، وكان كل من التفكير والتعبير يمثلان انتهاكًا لمقدسات الآخرين، واعتداءً على حرماتهم، هناك يجب الحساب.

وحرية التفكير، وما يتصل بها من حرية التعبير لها عند الغرب الصليبي أحاديث ذات أشجان؛ ذلكم أن الغرب النصراني قد مرَّ بقرون طويلة كان الناس فيها محرومين من حرية التفكير وحرية التعبير، وكانت الكنيسة من جانب، والملوك والأباطرة من جانب آخر يعاملون الشعوب الغربية معاملة العبيد الأرقاء، وكان يحرم على الإنسان في الغرب أن يعبر عن شيء غير مسموح به من رجال الكنيسة، أو الملوك، وسواء كان التعبير كلمة منطوقة، أو مكتوبة، أو صورة مرسومة، أو غير ذلك، فقد كان يؤدي إلى عقوبات قد يكون أخفها الموت السريع، وأشدها التعذيب الفظيع، هكذا كانت الشعوب الغربية محرومة من وسائل التعبير، حتى إنهم يروون مثلًا لما كان فيه الإنسان الغربي من كبت وحجر على حريته في التعبير، فيقولون: إن إنسانًا رأى كلبًا يزمجر غاضبًا، ثم ينبح مهدِّدًا، ولما ألقى إليه بكسرة خبز أكلها وهو يحدث أصوات الرضا والسعادة، فقال

الرجل للكلب: (ما أسعدك وأنت تعبر عن كل ما يجول بخاطرك دون خوف من قتل، أو تعذيب) هكذا كان الأمر لدى الغربيين، ولما جاء الوقت الذي ثار فيه الغربيون على ثنائي الجريمة: الكنيسة، والملوك، وأتيح للشعوب الغربية أن تعبر عما في نفوسها بحرية، أو قل: بفوضى وغوغائية، شعروا بأنهم وصلوا إلى أقصى ما كانوا يتمنون، وأنهم نالوا ما حُرِموا منه ألف عام، أو تزيد، فانقلبوا من حرمان كامل إلى فوضى عارمة، وانطلقوا يعبر كل منهم عما يجول بخاطره دون ضوابطَ، واستمسكوا بما سمي: (حرية التفكير والتعبير) بلا قيود ولا حدود، وانقلبت الحرية إلى فوضى، كل يقول ما يَعِنُّ له، ويكتب ما يرضيه، ويرسم ما يشتهيه، دون رعاية لحرمة عامة، أو خاصة، ودون حفاظ على دين، أو مقدسات، ودون رعاية لما يجب للمجتمع ومن يعيشون فيه من طهر وعفة ونقاء، بل صارت كلمة (حرية) تمثل- عندهم- هوسًا عصابيًّا، ومرضًا نفسيًّا لا علاج له، وذلك نتيجة لكل الظروف التي ذكرناها، فصارت المجتمعات خالية من الرقابة الدينية والسلوكية، وصار كل يفعل ما يشاء تحت مسمى: (حرية التفكير والتعبير).

هذا في المجتمع النصراني الغربي.

فماذا عن المجتمعات الإسلامية؟

في المجتمعات الإسلامية يعرف المسلمون الحرية انطلاقًا من دينهم دين الله الحق الإسلام، والحرية في المجتمعات المسلمة تعني: «أن يقول الإنسان ويفعل ما يشاء في إطار من كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-»، فالإطار والإسار الذي يحكم أقوال المسلم وأفعاله إنما هو الشرع الشريف- كتابًا وسنةً- فهما اللذان يحددان للمسلم ما يأخذ وما يدع، فالمسلم هو الوحيد في هذا العالم

الذي تقوم الحرية عنده على ضوابط مستمدة من الوحي الإلهي المعصوم، أما الآخرون فيستمدون ضوابطهم- إن كان لهم ضوابط- من منفعة شخصية، أو لذة وقتية، أو هوى متبع من هذا الهوس الذي أسموه: (حرية التفكير التعبير) والذي أقاموا أسسه على أن الإنسان وُلِدَ حرًّا، فلا يجوز أن يوضع أي قيد على حريته؛ لأن ذلك مناقض لطبيعته.

من هذا الهوس نشأت لدى الغرب كل مذاهب الضلال والفوضى والانحلال، وما أكثر هؤلاء المصابين بما نسميه: (**عتهًا فكريًّا**)، أو (**خبالًا عقليًّا**).

يختلي الواحد منهم بنفسه فيفكر، ثم ينطلق ليعبر، وكلما كان شاذًّا في تفكيره غريبًا نافرًا في تعبيره نال الإعجاب، وسُمِّيَ- لديهم- فيلسوفًا صاحب مذهب، ويتلقف دعاة العصرية- أو كما يسمون مذهبهم: (**العصرانية**)- هذه المذاهب الغريبة، ويحيطونها بهالة من التقريظ والثناء، مركزين في كتاباتهم على ما يسمونه: حرية الفكر، أو التفكير، وإنما ذلك حرية الكفر، أو التكفير، هذه هي قصة الحرية- عندهم- عافانا الله من كل سوء، وحفظ لنا ديننا وعقولنا وقيمنا وأخلاقنا.

الإلحاد

في هذا المبحث لن يكون عرضنا لتيار معين من التيارات الضالة الفاسدة، ولن يكون عن مذهب محدد من المذاهب الكافرة، ولكن سيكون عن أصل هذه التيارات كلها، وعن القاسم المشترك فيها جميعها؛ فهذا التيار هو جماع المذاهب الضالة، ومِلاك التيارات الفاسدة، إن التيار موضوع حديثنا هو **(الإلحاد)**.

والإلحاد هو الأصل الذي تنشأ عنه تيارات الضلال، وهو الغاية التي تنتهي إليها، فهذا التيار- إذن- ليس قسيمًا للتيارات الأخرى، ولكنه أصلها وجماعها.

وكلمة (إلحاد) التي تطلق على هذا التيار مأخوذة من (ألحد) أي: مال، يقال: ألحد الرجل، أي: مال عن الحق إلى الباطل، وألحد في الدين، أي: طعن في الدين وكذَّب به، وألحد في آيات الله -سبحانه-، أي: طعن في صدقها وكذَّب بها، ومن ذلك: قول الله -تعالى-:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت: ٤٠].

أي: إن الذين يُكذبون بآياتنا وأدلتنا التي نصبناها على صدق الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فالإلحاد- إذن- هو الميل عن الحق إلى الباطل، والطعن في الدين، والتكذيب بآيات الله -تعالى-، وما جاء به رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

والإلحاد، أو (تيار الإلحاد) الذي نتحدث عنه بهذا المعنى الذي بيناه يصدق على مذاهب عديدة، وتيارات كثيرة، واتجاهات، أو كما يقولون، وجهات لا تكاد تحصى، لكنا نستطيع أن نقسم تلك التيارات والمذاهب التي تقع تحت مسمى (الإلحاد) إلى قسمين، أو نوعين رئيسين:

النوع الأول: تيارات لا تؤمن بوجود إله لهذا الكون خالق له مدبر لأمره، بل تؤمن بأن الطبيعة المادية هي التي أوجدت نفسها، دون موجد من خارجها، وأن كل شيء هو من فعل الطبيعة، فهم إذ ينكرون وجود إله خالق مدبر، فإنهم يخلعون صفات الله -سبحانه- على الطبيعة، والطبيعة- عندهم- هي الموجِدة والخالقة والمحيية، إن كان إيجاد وخلق وإحياء، وهي كذلك المعدِمة والمفنِية والمميتة، إن كان إعدام وإفناء وإماتة، وأصحاب هذا النوع أدخلُ في الكفر من غيرهم، وهم الأكثر استحقاقًا له، فكما أن الإيمان درجات فإن الكفر دركات، وهذا النوع من الملاحدة يُعَبَّرُ عنهم- في تاريخ الأديان، أو في الفلسفات لدى الباحثين- بأسماء، أو مصطلحات كثيرة، كلها تدور حول المعنى الذي ذكرناه عنهم، وهو أنهم لا يدينون بإله لهذا الكون، وأنهم ينكرون الإله الخالق البديع المدبر، ويسندون ذلك كله إلى الطبيعة، فأحيانًا يُسميهم الدارسون: (**الدهريين**)، نسبة إلى الدهر، وهي بفتح الدال، والبعض يضمها لأسباب لديه، والدُّهر- عندهم- هو الطبيعة، وأحيانًا يطلقون عليهم اسم (**الطبعيون**)، أو (**الطبائعيون**) كما هو المصطلح المشهور لدى الباحثين- على خطأ لغوي في قاعدة النسب، فإن اللغة لا تجيز النسب إلى الجمع- وأحيانًا يسمونهم: (**الماديين**) نسبة إلى المادة؛ لأنهم لا يؤمنون إلا بالمادة، ولا يؤمنون بما وراءها من عالم الغيب، والمادة والطبيعة شيء

واحد، وأحيانًا غالبة يُكتفَى في التعبير عن هذا الصنف باسم: (الملاحدة) دون تحديد، فإن أطلق وصف (الملاحدة) دون تخصيصه بوصف سابق، أو لاحق انصرف الوصف مباشرة إلى هذا النوع من الملاحدة الدهريين، الذين لا يؤمنون بوجود خالق لهذا الكون، ويسندون فعل الله -سبحانه- من إيجاد وخلق وتدبير إلى الطبيعة المادية الجامدة.

وقد تحدث القرآن المجيد، وكذلك السنة النبوية عن هذا النوع من الملاحدة، أما القرآن العظيم فقد جاء الحديث عن هؤلاء في آيات كثيرة، منها: قوله -ﷻ- حكايةً عما يقوله الدهريون الملاحدة-:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

فهم يردون كل شيء إلى الدهر؛ ولذلك سموا (دهريين) والدهر والطبيعة واحد- عندهم- فهم كذلك (طبعيون)، وأما حديث رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن هذا الصنف من الدهريين فكثير، ومن ذلك: أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، صلى بالناس الصبح عقب ليلة ممطرة، ثم التفت -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى الناس فقال: «عن زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» [(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، وسلم (٧١).

فهؤلاء الدهريون الملاحدة الذين يَرُدُّون المطر وغيره إلى الطبيعة، ومنها: الكواكب والأفلاك، فهؤلاء يؤمنون بالطبيعة ويكفرون بالله، وهم ملاحدة النوع الأول.

أما النوع الثاني من الملاحدة: فهم أولئك الذين يؤمنون بأن هذا الكون مربوب مألوه، وأن للوجود كله ربًّا خلقه وأبدعه، وهو الخالق والمحيي والمفني والمميت، وأنه المتصرف في الكون كله خلقًا وتدبيرًا، لكن هؤلاء حين يسألون عن ربهم ورب الوجود يلحدون، أي: يميلون عن الحق، والإلحاد عند هؤلاء أصناف وأشكال وصور.

فمنهم: الذين يلحدون في ذات الله -ﷻ-، فيتخذون لهم أربابًا آلهة من دونه، أو يجعلون له، -سبحانه- شريكًا.

ومنهم: من يلحد في صفاته، ومن يلحد في أسمائه، ويدخل في هذا القسم أصناف شتى من أصحاب الملل الباطلة، والنحل الفاسدة، فمنهم: أهل الكتاب الذين يجسمون ويشبهون ويصفونه -سبحانه- بالفقر، ويصفون أنفسهم بالغنَى، فيقولون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، ومنهم: الكتابيون الذين يجعلون اللهَ -سبحانه- عما يقولون- ثالثَ ثلاثة، ومنهم: أصحاب النحل الوضعية، وهم أصناف كثر، فهؤلاء وأولئك يصدق عليهم أنهم ملاحدة، وأنهم من ذلك التيار الذي نتحدث عنه.

أصناف الملاحدة

عرفنا أن الإلحاد اسم يطلق على اتجاهات كثيرة، وتيارات عديدة، تخالف دين الله الحق الإسلام، وأشهر الاتجاهات الإلحادية اتجاهان أساسيان:

الاتجاه الأول: اتجاه ينكر وجود الله -سبحانه-، ويجحد أن للعالم خالقًا موجِدًا، ويزعم أن الطبيعة المادية هي أوجدت نفسها دون موجِدٍ، وأنها تدبر نفسها دون مدبر، وأصحاب هذا الاتجاه يطلق عليهم أسماء كثيرة، منها: (الطبعيون)، أو (الطبائعيون) على خلل في قواعد النسب، ومنها: (الدهريون) نسبة إلى الدهر، ومنها (الماديون) نسبة إلى المادة، من حيث إنهم لا يؤمنون إلا بالمادة المحسوسة، وينكرون ما عداها من عالم الغيب، وأخصه الخالق -سبحانه وتعالى-، وعلى كثرة الأسماء التي تطلق على هذا الاتجاه، فإنه يجمعها اسم: (الإلحاد) باعتباره شاملًا ومعبرًا عن هذه الأسماء، أو الصفات جميعها؛ فكلمة (إلحاد) إذا أطلقت انصرفت إلى هذا النوع؛ لأن الإلحاد هو الميل عن الحق إلى الباطل، وهذا الصنف من الملاحدة قد مال عن أحق الحق؛ وهو الإيمان بالله -تعالى-، خالقًا لهذا الوجود ومدبرًا له، إلى أبطل الباطل؛ وهو إسناد فعل الله -تعالى- إلى الطبيعة الجامدة، واعتبارها هي الخالقة والمدبرة.

وأما الاتجاه الثاني من اتجاهَيِ الإلحادِ: فنستطيع أن نسميه: (إلحاد المتدينين)

وهو اتجاه يؤمن أصحابه بوجود إله لهذا الوجود، وأنه الخالق المدبر، المحيي المميت، لكنهم مع ذلك يلحدون، وإلحادهم أنواع؛ فمنهم: من يلحد في ذات الله -تعالى-، فيجعلون لله -سبحانه- أندادًا يحبونهم كحب الله، ويتخذون من دونه شركاء يخشونهم كخشية الله، أو أشد خشية، ومنهم: من يلحد في صفات الله -ﷻ-، وهؤلاء صنفان؛ منهم: المعطِّل، ومنهم: المجسم المشبه، ومنهم: مَن يلحد في أسماء الله -سبحانه-، كالنصارى الذين يسمونه: تعالى: **(الآب)** بمعنى: **(الأب)** وكالفلاسفة الذين يسمونه: **(العلة الأولى)** أو: **(المحرك الأول)**- تعالى الله عما يقول الظالمون؛ فهؤلاء جميعًا أصناف الملاحدة، أو أهم وأخطر أصناف الملاحدة شيوعًا، وسنتناول هذه الأصناف بما يكفي للتعريف بها.

أما عن الصنف الأول؛ وهم الملاحدة الطبيعون، أو الدهريون، أو الماديون، فسنعرض لهذه الطائفة من جوانب ثلاثة:

الجانب الأول: عن تاريخهم.

والجانب الثاني: عن أهم مبادئهم.

والجانب الثالث: عن أخطر تأثيراتهم في المجتمعات بعامة، والمجتمعات الإسلامية بخاصة.

إن أوثق ما وصل إلينا عن هؤلاء الملاحدة الدهريين، إنما هو قول الله -ﷻ- حكايةً عنهم وعن جوهر معتقدهم، وقد ورد ذلك في آيات، منها: قوله -سبحانه- من سورة الأنعام-:

﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

ومن ذلك حكاية القرآن المجيد لقول رءوس الملاحدة لأقوامهم عن رسول من رسل الله -صلوات الله عليهم أجمعين-:

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٥- ٣٧].

ومن ذلك: ما ورد في سورة الجاثية، واشتمل على ذكر الدهر، يقول تعالى:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

أما عن تاريخهم، أو تاريخ ظهور هذا التيار الإلحادي، فقد بين القرآن العظيم أن تاريخ الملاحدة قديم، حيث قال الله- في سورة المؤمنون- في شأن هؤلاء الدهريين-:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤١- ٤٦].

فهذه الآيات الكريمة بينت أن الله -تعالى- عاقب هؤلاء الملاحدة بالصيحة، ثم أنشأ بعدهم قرونًا، أي أممًا وأقوامًا، ثم أرسل رسلًا كثيرين متتابعين بين كل رسول ورسول زمان طويل، وهذا التاريخ القديم الذي ذكره القرآن المجيد كان أقدم وأوثق مما وصل إليه التاريخ البشري بقرون طويلة؛ حيث إن أقدم صور

الإلحاد التي وصل إليها المؤرخون كان لدى اليونان القدماء، وهم يُعتبرون حديثين نسبيًّا؛ فإن تاريخهم لا يتعدى الألف الأولى قبل الميلاد، وقد كان هؤلاء اليونان الملاحدة يسمونهم في تاريخ الفلسفة بـ:(الطبعيين)، أو (الطبائعيين) نسبة إلى الطبيعة، حيث إن هذه الطائفة لم تكن تؤمن إلا بالطبيعة، وتنكر كل ما عداها، وتسند إلى الطبيعة فعل الخلق والتدبير كما أن جل بحوثهم كانت حول الطبيعة المادية وهم من أوائل من قالوا بالعناصر الأربعة: الماء والتراب السُّفليين والهواء والنار العلويين، وقد كان اليونان في الألف الأولى قبل الميلاد منقسمين إلى طوائف، فمنهم: الطبعيون الدهريون الذين اصطلح على تسميتهم (**المدرسة الطبيعية**)، ومنهم: الوثنيون الذين كانوا يؤمنون بعدد كبير من الآلهة، أو الأوثان، ويعتقدون أنها تتصرف في الوجود، لكن هؤلاء الآلهة كانت ترجع في أصلها إلى مظاهر الطبيعة وظواهرها، فللريح إله، وللمطر إله، وللصيد إله، وحتى الجنس له إله- عندهم- فآلهتهم الوثنية ترجع- بشكل أو بآخر- إلى الطبيعة، فهم- إذن- جميعًا ماديون دهريون، وقد عنينا بتاريخ اليونان الإلحادي بشكل خاص؛ لِـمَا أن اليونان هم أسلاف الأمم الغربية، وأن كل ما يثار في الغرب النصراني من تيارات إلحادية إنما يعود في جملته إلى الإلحاد اليوناني القديم، كما سيتضح لنا فيما هو آتٍ -بحوله تعالى-.

مبادئ الإلحاد

تحدثنا في المبحث السابق عن الإلحاد، وبيَّنا أنواعه، وبيَّنا كذلك أن تاريخ الإلحاد بأنواعه يضرب في عمق الوجود البشري، كما تحدث القرآن المجيد في قصصه عن الأمم الماضية، وأما المؤرخون من بني البشر فأقصى ما وصل إلى علمهم من التاريخ القديم للإلحاد، كان الإلحاد لدى اليونان قبل الميلاد، واليونان القدامى هم أسلاف الغرب النصراني، وكما كان الإلحاد لدى الأسلاف والأجداد، فقد تردد صداه، وعمت بلواه لدى الأحفاد، وقد كنا وعدنا أن نتكلم في موضوع الإلحاد عن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تاريخ الإلحاد في المجتمعات البشرية.

والأمر الثاني: أهم المبادئ التي يقوم عليها الإلحاد المادي.

والأمر الثالث: أهم آثار الإلحاد في المجتمعات البشرية بعامة، والإسلامية بخاصة.

وقد تحدثنا عن تاريخ الإلحاد في المجتمعات البشرية بما يغني عن الإعادة، وفي هذا المبحث سوف نتحدث عن:

❁ ❁ ❁

أهم المبادئ التي يقوم عليها الإلحاد المادي:

هذه المبادئ كثيرة ومتشعبة، وتستوعب شتى مناحي الحياة، فللملحدين

مبادئ فيما يتصل بالربوبية والدين، ولهم مبادئ بشأن النفس والروح، ومبادئ خاصة بالمسئولية والجزاء، ولهم مبادئ خاصة بالحياة والموت، إلى غير ذلك، وسنحاول أن نوجز بيان هذه المبادئ، حتى تتضح لنا حقيقة الإلحاد، وتتبين لنا خطورته على المجتمعات البشرية بعامة، والمجتمعات الإسلامية بخاصة، وسوف نوجز هذه المبادئ في هذه النقاط:

أولًا: في مجال الألوهية: يقوم الفكر المادي الإلحادي في قضية الألوهية على أساس واضح، هو الإنكار الكامل، والرفض المطلق لهذه الحقيقة التي أقر بها كل حي وجامد، وأذعن لها كل ناطق وصامت، كما أخبر بذلك رب العزة -سبحانه- بقوله: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

هذه الحقيقة ينكرها الماديون الملاحدة، ويكفرون بها؛ إذ ليس لديهم في الوجود كله سوى المادة، أو الطبيعة المادية، وليس وراء المادة خالق بديع، خلق ويخلق كل شيء، ودبر ويدبر كل أمر؛ فالمادة- عندهم- هي كل شيء منها يبدأ الوجود كله، وإليها ينتهي، فهي الفاعلة والصانعة، وهي مصدر الوجود والحياة، وهي كذلك مصدر العدم والفناء، وطبعي أن الملاحدة الماديين إذا كانوا ينكرون وجود الله -سبحانه- فهم بالتالي ينكرون الرسالات، ويكفرون بالرسل، وبكل ما جاء به الرسل -صلوات الله عليهم- من عقائد وشرائع، وعبادات ومعاملات، وحلال وحرام، وهم حين ينكرون الشرائع والأحكام الإلهية؛ فإنهم يجعلون الإنسان وحده هو مصدر التشريع في هذا الوجود، فالأحكام

والتشريعات، والنظم والقوانين، إنما هي من وضع الإنسان، وأي كلام عن تشريعات إلهية، وأحكام دينية هو- عندهم- كلام مرفوض؛ ولذلك كان تاريخ الماديين الملاحدة قائمًا على المعارضة الدائمة، والرفض التام لتطبيق شرع الله -سبحانه- في المجتمعات الإسلامية التي تطبق القوانين الوضعية؛ بل كانوا وراء الحركات التي استبدلت القوانين الوضعية بشرع الله -تعالى- في البلاد الإسلامية، ثم هم كذلك وراء كل القوى والآراء الرافضة لعودة المجتمعات الإسلامية إلى الحكم بشرع الله -سبحانه-.

ثانيًا: في مجال النفس أو الروح: إن الفكر الإلحادي المادي ينكر وجود النفس أو الروح إنكارًا تامًّا، ذلكم أن النفس ليست شيئًا ماديًّا محسوسًا يدركونه بحواسهم المجردة، أو بالآلات التي تعين الحواس على إدراك ما دقَّ وخفي عليها من الأشياء المادية، فالنفس غيب من خلق الله -سبحانه-، والماديون الملاحدة ينكرون كل شيء غاب عنهم ولا يعترفون به، بل ويسلكونه في سلك الخرافات والأوهام، وإذا كنا- نحن المؤمنين- نؤمن بأن الإنسان ثنائي التركيب، حيث خلقه الله -ﷻ- من جسد ونفس، وأن الإنسان لا يكون إنسانًا مكلفًا إلا بالعنصرين معًا، وأن الله تبارك وتعالى حين أمر الملائكة بالسجود لآدم، لم يأمرهم بالسجود لجسد فقط، أو لهيكله المادي، وإنما أمرهم بالسجود له حين اكتمل فيه العنصران الضروريان لحياته، وذلك كما قال -سبحانه-:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص: ٧١- ٧٢].

فقد رتب الله -تعالى- السجود لآدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، على نفخة الروح فيه، نقول: إذا كان ذلك شأننا نحن المؤمنين؛ فإن الماديين الملحدين الذين ينكرون كل ما وراء المادة، يقررون أن الإنسان أَحَدِيُّ التركيب، بمعنى: أنه لا وجود لما يسمى: بالنفس، أو الروح، وأن الإنسان في حقيقته- عندهم- ليس إلا ذلك الجسد المادي المحسوس، ولا شيء سوى ذلك، هو ذلك الكم من اللحم والشحم والعظم، وكما قال قائلهم: «إذا أردت أن تعرف نفسك، أو تعرف من أنت، فانظر في المرآة، فذلك الشبح الذي تراه منعكسًا على صفحة المرآة هو أنت، وليس ثمة شيء سوى ذلك»! وإذا كان الماديون الملحدون ينكرون النفس، أو الروح، فما تعليلهم لحدوث الحياة في الأحياء، ثم مفارقتها إياهم وتحولهم إلى موتى، ثم بم يعللون المشاعر والوجدانات؛ من حب وكره، وذكر ونسيان، وكيف يرجعون ذلك كله إلى المادة؟ إننا- نحن المؤمنين- نؤمن بأن الحياة تكون عن نفخ الملك الروح في الجسد، وأن الموت إنما يقع حين تنزع النفس من الجسد، فماذا عن الماديين الملحدين؟ وماذا هم قائلون تفسيرًا لحقيقة الموت والحياة؟ إن الماديين إذ ينكرون النفس، أو الروح، فإنهم يردون الحياة والموت إلى المادة، أو الطبيعة، كشأنهم دائمًا في رَجْع كل شيء إلى المادة، ويفسرون ذلك، بأن الحياة إنما تنشأ في الكائنات نتيجة تفاعلات كيميائية معينة لخصائص العناصر المادية، وهذه التفاعلات الكيميائية لخصائص المادة إذا تحققت على نسق ونظام معين نشأت عنها الحياة، ويظل الكائن حيًّا وبصحة جيدة ما دامت تلك التفاعلات الكيميائية داخل جسمه على أفضل حال، أما إذا حدث خلل في تلك التفاعلات، أو فساد في

العناصر المادية المتفاعلة داخل جسمه، نتيجة ميكروبات، أو فيروسات معينة، فإن الكائن الحي يمرض ويضعف، فإذا ما وصل الخلل في التفاعلات الكيميائية لعناصر المادة حدًّا معينًا فقد الكائن حياته، وحدث الموت، فهم إذن يَرْجِعون الحياة إلى تفاعلات المادة، والصحة والمرض كذلك، ويَرْجِعون الموت إلى خلل، أو عطب يصيب تلك التفاعلات داخل جسم الكائن الحي، فيعطلها، وينهي ما نشأ عنها من حياة، وحينئذ يقع الموت.

هذه تفسيرات الماديين لحدوث الحياة في الكائنات، ثم لوقوع الموت بها.

ثالثًا: في مجال العقل والفكر والشعور: لا يختلف موقف الماديين الملحدين هنا عن موقفهم من تعليل وتفسير الحياة والموت، وكلامهم هنا في تعليل العقل والفكر والشعور، أو في تفسيرهم؛ كيف يفكر الإنسان؟ وكيف يعقل؟ وكيف يشعر وينفعل؟ وكيف يذكر أحيانًا، وينسى أحيانًا؟ كلامهم هنا هو نفس كلامهم عن الحياة والموت، فهم يرجعون قضايا العقل والفكر والشعور، وكل ما يتصل بذلك من ذكاء، أو غباء، ومن علم، أو جهل، ومن تذكر، أو نسيان، كل ذلك يردونه إلى التفاعلات الكيميائية لعناصر تلك المادة الهلامية البيضاء التي تسكن تجويف الدماغ، والتي تسمى: (المخ)، فالمخ الذي يملأ تجويف الدماغ تتم بداخله تفاعلات كيميائية ينتج عنها جميع العمليات العقلية؛ من: فكر وفهم، وذكاء وغباء، وذكر ونسيان، بل يَرْجِعون إلى تلك العمليات التي تتم داخل المخ جميع الأحاسيس الباطنة من حب وكره، وسعادة وتعاسة، ورضا وغضب إلى غير ذلك من أمور معنوية عقلية ووجدانية، يرجعونها كلَّها إلى المادة وتفاعلاتها.

رابعًا: في مجال الأخلاق والسلوك: ينبغي أن نوضح أن التيار المادي الإلحادي خالٍ من الأخلاق، عارٍ عن القيم، مجردٌ من المبادئ السامية، وذلك أمر طَبَعِي بَدَهِيّ؛ لأن الأخلاق والقيم أمور معنوية، وليست مادية، فالصلة بينها وبين المادية مقطوعة، فالقيم من: حق وخير وجمال، وعدل وإحسان، وعفة وطهر، كل ذلك لا محل له في الفكر المادي الإلحادي، يتبع ذلك أمر هام وخطير، ونعني به: فقدان المسئولية الفردية، وكذلك المسئولية الجماعية، فهذه المسئولية لا وجود لها لدى الماديين؛ لأن المسئولية إنما تقوم لدى الإنسان على أساس من دينه وضميره وقيمه، فالدين يغرس فيه الخوف من الله -سبحانه-، وضميره الذي تربَّى في إطار الدين هو الصوت المسموع لدى صاحبه، وهو المعَبَّرُ عنه بالنفس اللوامة التي تلوم صاحبها، وتحجزه عن ارتكاب المحظورات، ثم قيمه التي جاء بها الدين، والتي يقف الضمير رقيبًا يرعاها وينفذها، أين نجد ذلك لدى الإنسان المادي الملحد الذي لا دين له ولا ضمير عنده، وليس لديه من القيم إلا أهواؤه وشهواته، ونزواته ونزغاته؟ من أجل ذلك قلنا: إن هؤلاء الذين رفضوا الدين، فقدوا الضمير وخلوا من القيم، فلا مسئولية لديهم؛ لأنهم لا يؤمنون بجزاء ينتظرهم؛ لذلك فهم ينطلقون في الحياة انطلاق السوائم من الأنعام التي لا تعي ولا تدرك مما حولها سوى ما تدفعها إليه غرائزها، ونستغفر الله -سبحانه-؛ فإنه تعالى قد حفظ للسوائم من الأنعام مكانة أسمى من هؤلاء الماديين الملاحدة، حين قال -سبحانه- عنهم:

﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

والأصل في المسئولية الفردية، أو الجماعية، أنها مرتبطة وقائمة على ما يسمى: (القوة الملزمة) ونعني بالقوة الملزمة: تلك القوة التي تخيف الإنسان وتجعله يفعل أمورًا، ويبتعد عن أمور، فلا يجرؤ على فعلها، فالقوانين الوضعية وعقوباتها هي قوة ملزمة لمن يخضعون لها، فهي تخيفهم وتلزمهم وتمنعهم، والناس يخافونها؛ أما نحن فالقوة الملزمة لدينا هي خوفنا من غضب الله -سبحانه-، وحرصنا على رضاه -سبحانه-، وضميرنا الذي تربَّى في إطار ما يَحِلُّ لنا وما يَحْرُم علينا، هذه تجعل المؤمن مسئولًا أمام ربه عن فعله، وإذا كنا كذلك، فماذا عن الملاحدة الذين لا يؤمنون بوجود الله، وليس لديهم أية قوة ملزمة، إنهم- إذن- خالون من المسئولية.

هذه هي أهم الأسس التي يقوم عليها التيار المادي الإلحادي في المجالات المختلفة، وقد ذكرناها بشيء من التفصيل.

❁ ❁ ❁

موقف الملاحدة من الدين والتدين:

إن الفكر المادي الإلحادي ينكر الدين كله، ويكفر بالأديان جميعها، وذلك أمر بدهي طبعي؛ لأن الماديين الملحدين لا يعرفون إلا المادة، ولا يؤمنون إلا بالمحسوسات التي يحسونها، إما بحواسهم المجردة، أو بالآلات والمجاهر التي تعين الحواس على إدراك ما خفي ودقَّ عليها من عناصر العالم المادي المحسوس.

أما عالم الغيب فالماديون يرفضونه، ويصفونه المغيبات بأنها أوهام وخرافات وأساطير ورثها المتدينون عن الأمم الماضية، وقد ذكر القرآن المجيد هذا عنهم في مواضع كثيرة، من ذلك: قوله -سبحانه-:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١].

ومن ذلك قوله -ﷻ-:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَـٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [النمل: ٦٧-٦٨].

ولأن الأمر كذلك فقد كفروا بالله رب العالمين وإنكروا أن للوجود خالقًا، وكفروا كذلك بالملائكة والشياطين والجن وكل ما هو من عالم الغيب- على ما أشرنا إلى بعض ذلك آنفًا.

والماديون- على اختلاف مشاربهم، وتعدد طوائفهم، وكثرة مذاهبهم- لديهم حساسية شديدة ضد كلمة دين وبخاصة الإسلام، ولديهم مقت أشد للمتدينين، وبخاصة المسلمون، فهم يمقتون الأديان والمتدينين بعامة، ولكنهم يحتفظون للإسلام والمسلمين بحظ أوفر من المقت والكراهية، وقدر أكبر من المنابذة والمقاومة، بل والحرب المعلنة.

أما لماذا ينال الإسلامَ والمسلمين- دون الأديان الأخرى والمتدينين- ذلك القسطُ الوافرُ من كراهية الملاحدة وحربهم؛ فذلكم لأن الأديان الأخرى باطلة، فهي تهادن الماديين وتلاينهم وتخادنهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر؛ فإن الأديان الأخرى- كتابية كانت أم وضعية- تقتصر على ما لديها من طقوس يزاولها من يزاولها من أتباعها داخل جدران معابدهم وكنائسهم، ثم ينتهي أمر هذه الأديان عند هذا الحد، أما الحياة وما يضطرب فيها من أنشطة سياسية، أو

اقتصادية، أو اجتماعية، وما يكون من ذلك كله على مستوى الفرد، أو الجماعة، فالأديان الباطلة تتركها للناس، أو تترك الناس يفعلون ما يشاءون بذلك كله حسب ما يشتهون، فتلك الأديان لا تزاحم الماديين الملاحدة في نظم الحياة وأنشطتها وجوانبها المختلفة.

أما الإسلام دين الله الحق؛ فهو دين الوجود كله، ونظام الحياة جميعها، شمل بتشريعاته كافة جوانب الحياة، وعمَّ بأحكامه جميع أنشطة الأحياء، لم يترك الإسلامُ كبيرة ولا صغيرة، ولا خطيرة ولا حقيرة إلا وشرع لها، وفصَّل أحكامها، وألزم المسلمين تطبيقَ شرع الله -تعالى-، والسيرَ على هداه فيها، فليس ثمة سياسة، أو اجتماع، أو اقتصاد، أو عمل فردي، أو جماعي، إلا والمسلم ملزَمٌ أن يهتدي فيه بهدي الله -تعالى-، وأن يستنير فيه بنور الإسلام، وأن يطبق فيه شرع الله -سبحانه-.

فالإسلام- إذن- هو الدين الحق بين الأديان، وهو الذي يزاحم الماديين الملحدين في شتى مناحي الحياة، ويغلق دروب الحياة أمام ضلالاتهم، ويقف عقبة كَأْداء تمنعهم من تطبيق ما يشتهون من عبث بالحياة والأحياء، من أجل ذلك حظي الإسلام بالحظ الأوفر من عدائهم وحربهم.

هذا موقف الملاحدة من الدين والمتدينين بعامة، ومن الإسلام والمسلمين بخاصة، فهم يخلعون على الدين كل صفات التهكم والسخرية، ويخصون المتدينين بكل سمات التحقير والتنقيص، ويَرْجِعون إلى الدين كلَّ أسباب التخلف والفساد الذي لحق ويلحق بالبشرية، ومن هذه الصفات التي يصفون بها الدين:

أنه خرافات وأساطير بدائية، وأنه كذلك خداع وتضليل وتخلف، وأنه كذلك مخدِّر الأمم وأفيون الشعوب، كما يصفون الوحي إلى الأنبياء والرسل -صلوات الله عليهم أجمعين- بأنه هواجسُ نفسيةٌ، وأوهام وحالات عصبية، ويصفون الأنبياء أنفسهم بأنهم مرضى بالصرع، أسرى الوهم، غارقون في الخيال.

❁ ❁ ❁

أما عن آثار التيار الإلحادي على المجتمعات بعامة؛ فيكفي أن تنظر- رزقك الله نفاذ البصيرة- إلى المجتمعات الغربية- التي تمثل ساحات مفتوحة أمام إبليس وجنده، وقد أجَّجوا فيها نار الشهوات، وأشعلوا فيها سعار النزوات، حتى صارت كأنها ماخور كبير، ضاع في ضجيج الشهوات فيه أصوات الواعظين المحذرين- على قلتهم عددًا، وضعفهم عدةً- وهي تندفع في طريق الانهيار كالسيل المندفع من أعلى الجبل إلى وهدة الوادي. أما المجتمعات الإسلامية فإن البعض منها يتخذ من تلك الغربية مثلًا، وهي في ذلك كضال يسعى بظلفه إلى حتفه، لولا رحمة الله -تعالى- بالمجتمعات الإسلامية، تلك الرحمة التي تتمثل في اعتصام بعضها بحبل الله -تعالى- وتطبيق شرعه، وكذلك في جهود العلماء العاملين الذين يمسكون بحجز تلك المجتمعات حتى تعود إلى عقيدة سلفها، وتستمسك بشريعة ربها، والله المستعان في حماية مجتمعاتنا من ضلال الإلحاد وفساد الملحدين.

إلحاد المتدينين

بينا فيما سبق أن الإلحاد نوعان:

النوع الأول: إلحاد ينكر وجود الله -سبحانه-، ويجحد الخالق البارئ المدبر، ويسند فعل الله -تعالى- إلى الطبيعة، وهذا النوع من الإلحاد يطلق على أصحابه: الدهريون، والطبعيون، والماديون، والشيوعيون، إلى آخر هذه الأسماء التي إذا أطلقت دلت مباشرة على هذا النوع من الملاحدة.

أما النوع الثاني: فإلحاد يؤمن أصحابه بوجود الله -ﷻ-، ويؤمنون بأنه -سبحانه- الخالق البارئ المدبر، المحيي المميت، المجازي كلًّا بما كسبت يداه، وهذا النوع من الإلحاد يطلق عليه: **(إلحاد المتدينين)** بمعنى: أن أصحابه من الذين يدينون بوجود إله لهذا الكون، ويسندون إليه في الجملة كل ما يجرى في هذا الكون ونقول: في الجملة.

هذان هما نوعا الإلحاد اللذان أشرنا إليهما قبل قليل.

أما النوع الأول؛ فقد بسطنا الكلام عنه، وبيَّنا الأسس التي يقوم عليها، وموقفه من الدين والمتدينين، ثم آثاره على المجتمعات بعامة، والإسلامية بخاصة.

وأما النوع الثاني؛ فهو موضوع حديثنا هنا:

للإلحاد لدى أصحاب الأديان والفلسفات صور كثيرة، وأشكال عديدة،

لكننا نستطيع أن نُجمل هذه الصور والأشكال في أنوع ثلاثة:

النوع الأول: إلحاد في ذات الله -سبحانه وتعالى-.

والنوع الثاني: إلحاد في صفات الله -ﷻ-.

والنوع الثالث: إلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى.

وهذه الأنواع الثلاثة بعضها أعمُّ وأخطرُ من بعض؛ فالإلحاد في ذات الله -سبحانه- أعمُّ وأخطرُ من الإلحاد في أسمائه وصفاته، وهكذا.

أما النوع الأول: وهو الإلحاد في ذات الله -سبحانه- فيدخل فيه كل الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين على اختلاف طوائفهم، وتعدد صورهم، فكل الذين يدينون بغير الإسلام، هم من الملحدين في ذات الله -سبحانه وتعالى-، وطَبَعيٌّ أن الإلحاد في ذات الله -ﷻ- يؤدي إلى الإلحاد في أسمائه تعالى، وصفاته، فالإلحاد في ذات الله أعم كما بينا.

وبنوع من التفصيل نعرف: أن جميع الذين يدينون بعبادة الأصنام والأوثان- ويشمل ذلك كل الذين يدينون بالأديان الوضعية- هم من الملحدين في ذات الله -تعالى-، وكذلك أصحاب الدينين الكتابيين، يهودًا ونصارى، هم من الملحدين في ذات الله -تبارك وتعالى-.

وأصحاب الأديان الوضعية كالهندوس والبوذيين إلحادهم في ذات الله -تعالى- واضح، وأما اليهود والنصارى فقد زعم كل منهم أن لله ابنًا- تعالى الله عما يقولون- يقول الله -ﷻ- حاكيًا مقالتهم تلك:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ

ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

واليهود والنصارى لم يقفوا عند الزعم بأن لله تعالى ولدًا، بل زادوا على ذلك إلحادًا حيث تركوا شرع الله -تعالى-، فلم يُحكِّموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم، وركنوا إلى أحبارهم ورهبانهم يأخذون عنهم من الشرائع ما لم ينزل الله به سلطانًا، يقول الله -ﷻ- عن اليهود والنصارى:

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

فإلحاد اليهود والنصارى في ذات الله -تعالى- له أوجه متعددة، حيث جعل كل منهم لله -سبحانه- ابنًا، ثم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم مشرِّعين يتبعونهم تاركين شرع الله -تعالى-، وقول الله عنهم:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

نصٌّ قاطع في عبادتهم غيرَ الله -سبحانه-.

وإلحاد النصارى أشد من إلحاد اليهود حيث جعل النصارى اللهَ -سبحانه- ثالثَ ثلاثة، وجعلوا رسولهم الذي أُرسل إليهم شريكًا لله -سبحانه-، وقد قال الله -تعالى- عنهم:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴾ [المائدة: ١٧].

وقال -ﷻ-:

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

ومن إلحاد اليهود في صفات الله -ﷻ- قولهم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقولهم:

﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

- تعالى الله عما يقولون.

ومن إلحاد النصارى في أسماء الله -تعالى- تسميتهم الله -تعالى- (الآب) بمعنى: (الأب) ووصفهم الله -تعالى- بـ(**بالأقنوم الأول**) فهذا من إلحادهم في أسماء الله وصفاته، إن من الإلحاد إلحادًا جليًّا؛ كالذي ذكرناه عن اليهود والنصارى، وإلحادًا خفيًّا.

ومن الإلحاد الخفي: أن يتوجه العبد بدعائه إلى غير الله -تعالى- طلبًا لنفع، أو دفعًا لضر، والدعاء عبادة، بل هو العبادة، كما ورد عن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، [(١)] والتوجه بشيء من العبادة إلى غير الله -تعالى- إلحاد واضح، وقد قلنا: إنه خفي، لا لخفاء الحكم فيه، بل لخفائه على طوائف من الأمة، وبخاصة العوام في كثير من المجتمعات الإسلامية، وتبعةُ ذلك تقع في جزء كبير منها على العلماء

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢) والترمذي (٣٣٧٢) وقال: حسن صحيح. عن النعمان بن بشير، أن رسول الله ﷺ، قال: « إن الدعاء هو العبادة »، ثم قرأ: «﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]»

الذين لا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر.

ومن الإلحاد في أسماء الله -تعالى-: إلحاد طوائف المتكلمين الذي يسمون الله -تعالى-: (واجبَ الوجود) ويسمونه تعالى: (القديمَ).

ومن الإلحاد في صفات الله -تعالى-: إلحاد الفِرق الكلامية، وإلحادهم في صفات الله -تعالى- أنواع، فمنهم: من يلحد في صفات الله -تعالى- بالتأويل، فَيُئَوِّلُ صفات الله إلى غير ما أنزل الله، ومنهم: من يلحد فيها بالتعطيل، فينفي صفات الله -تعالى- جملة مثل المعتزلة، ومن جرى مجراهم.

ومن الإلحاد في صفات الله -تعالى-: إلحاد المشبِّهة والمجسمة الذين يشبهون الله -سبحانه- ببعض خلقه.

هذه أهم اتجاهات الملحدين. نسأل الله -تعالى- لنا ولكم اعتصامًا بكتاب الله، واستمساكًا بسنة رسوله، واقتداءً بالسلف المهتدين.

الماسونية العالمية

موضوعنا في هذا المبحث سيكون حول واحد من أخطر التيارات الوافدة- إن لم يكن أخطرها على الإطلاق في زماننا- وهذا التيار الذي نتحدث عنه هو أصل لكثير من التيارات التي تفرعت عنه وانبثقت منه، وهي كلها تيارات ضالة فاسدة مفسدة مخربة، موضوعنا عن(**الماسونية**).

والماسونية منظمة يهودية إرهابية تخريبية غامضة، تهدف من خلال فروعها الكثيرة، وتنظيماتها المحكمة إلى تقويض بنيان الدين والقيم والأخلاق والنظم الدولية الشرعية، وإحكام سيطرة اليهود على العالم، وأهم وسائلها لتحقيق ذلك الإلحاد، والجنس، والتفسخ الخلقي والاجتماعي، والقضاء على الولاء للدين والوطن والأمة، بحيث لا يكون ثمة ولاء إلا لها هي، ولليهودية العالمية من خلالها.

ولفظة: (ماسونية) مصطلح لاتيني يعنون به: البنائين الأحرار، ويُقصد بهم: البناءون الذين بنوا هيكل سليمان -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، كما تصوره التوراة اليهودية المحرفة، ويقصد بكلمة (**الأحرار**)- أيضًا- كل صاحب حرفة استقل بحرفته بعيدًا عن نظام الدولة، فلم ينتسب لنقابة، أو جمعية، أو منظمة، هذا من حيث الظاهر، أما المقصود من وراء هذا المصطلح في الحقيقة فهو كل عامل، أو موظف، أو مواطن عنده استعداد أن يتحرر من الدين والقيم والتقاليد والأخلاق، وكل ما

هو موروث، وتحديدًا يتحرر من ثلاثة (الدين، الأمة، الوطن)، ويحصر ولاءه فقط في الماسونية وأهدافها وتنفيذ مخططاتها.

نشأة الماسونية:

تاريخ هذا المنظمة اليهودية العالمية غامض نوعًا ما، فالبعض يُرجع تاريخ نشأتها وتكوينها إلى ما قبل ألفي عام، حيثُ أنشأها وأسَّسها (هيرودس الثاني) الذي كان ملكًا على اليهود من قِبل الرومان، وذلك بمعونة وتوجيه من قِبل معاونيه اليهود، ولقد ظلت عبر القرون الطويلة تظهر حينًا وتختفي أحيانًا حتى جاء عام سبعين وسبعمائة وألف -١٧٧٠م-، والذي يعتبر بداية ظهورها وتأثيرها واستمرارها على الساحة العالمية، وقد كان يطلق عليها في البداية اسم: **(جمعية القوى الخفية)**، ثم استقرت على اسمها الحالي: الماسونية.

أهداف الماسونية:

للماسونية نوعان من الأهداف: أهداف معلنة منشورة، وأهداف خفية مستورة.

أما النوع الأول: فهي الأهداف المعلنة، ويُقصد بها إظهار الماسونية أمام الناس بمظهر طيب حسن؛ لترغيب الناس في الانضمام بها، والماسونية تعلن دائمًا تلك الأهداف المحصورة في: **(الحرية، والإخاء، والمساواة، والإنسانية)**، وهي أهداف برَّاقة قُصد بها إلهاءُ الناس عن أهدافها الحقيقية.

وأما النوع الثاني: فهو الأهداف الخفية التي قامت الماسونية لتحقيقها، وتتمثل في تقويض الأديان، والقضاء على النظم الشرعية والاستقرار في الدول، وإذلال الشعوب، وتمكين اليهود من السيطرة على العالم كله للانتقام من شعوب العالم

الذين ساموهم سوء العذاب عبر القرون الطويلة، وهذا هو هدفها، أو أهدافها الحقيقية التي تخفيها وراء الواجهة الزائفة التي تُظهرها للناس، والتي تعلن فيها أنها قامت لتحقق الحرية والإخاء والمساواة لجميع الأمم والشعوب.

وسائل الماسونية لتحقيق أهدافها الخفية:

للماسونية وسائل كثيرة لتحقيق أهدافها الخفية، أو الحقيقية، منها:

١- نشرُ الإلحاد والتشكيك في العقائد الدينية والسخرية من الغيبيات، واعتبارها خرافاتٍ وأوهامًا.

٢- إباحة الجنس وإتاحته للجميع بكافة أشكاله وصوره، واستعمال المرأة وسيلة فعالة في هذا.

٣- دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة وتيسير أسبابها.

٤- إباحة الاتصال بالمحارم، والقضاء على الروابط الأسرية والعلاقات الزوجية.

٥- السيطرة على أجهزة الدعاية والإعلام والصحافة والنشر والسينما والمسرح والتلفاز، وكافة الوسائل المؤثرة عالميًّا وجماهيريًّا، وعن طريق ذلك تنشر أفكارها، وتسيطر وتصوغ أفكار الجماهير ووجداناتهم، وتوجههم إلى حيث تريد.

٦- السيطرة على الأشخاص البارزين، والذين يعملون في مراكز حساسة على مستوى دولهم، أو على المستوى العالمي، سواء في المجال السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو حتى الديني، فإذا ما سيطروا على واحد من هؤلاء وصار خادمًا لأهدافهم وقفوا وراءه ودفعوه لتولي أعلى المناصب في بلده، أو حتى على المستوى العالمي؛ ليكون أكثر نفعًا وتحقيقًا لأهدافهم.

❁ ❁ ❁

أما نظام المساونية وبناؤها الداخلي فهو يقوم على تقسيم المنتسبين إليها إلى مستويات ثلاثة:

المستوى الأول: (العُميُ الصِّغار)، ويقصدون بالعمي الصغار المنضمين حديثًا إلى الماسونية.

وأما المستوى الثاني: فيطلقون عليهم (الماسونية الملكية)، وهذه لا يصل إليها إلا كل منكر لدينه ووطنه وأمته، ولم يعد لديه ولاء إلا للماسونية واليهودية.

وأما المستوى الثالث: فيسمى: **(الماسونية الكونية).**

وهم القمة في النظام، وهؤلاء أفراد معدودون، وكلهم يهود، وكل زعماء اليهود، أو أكثرهم من هذه الطبقة، أما درجات الرقي في خدمتها فتصل إلى ثلاث وثلاثين، والحاصلون على الدرجة الثالثة والثلاثين كلهم يهود وهم الزعماء الحقيقيون للماسونية.

حقائق عن الماسونية:

الحقيقة الأولى: أن الماسونية منظمة إرهابية يهودية تخريبية، هدفها القضاء على الأديان بعامة، والإسلام بخاصة، ومن قبل ذلك القضاء على الأخلاق والقيم والفضيلة.

الحقيقة الثانية: يحرم على المسلم أن يهادن هذه المنظمة، أو ينتسب إليها، سواء هي، أو إحدى بُنَيَّاتِها من الروتاري، أو الليونز، أو غير ذلك، وقد أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي فتوى خاصة بالماسونية، جاء فيها: «لذلك؛ ولكثير من المعلومات التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى، وتلبيساتها الخبيثة، وأهدافها الماكرة، يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها وهو على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله».[1]

---

(١) قرارت المجمع الفقهي الإسلامي، قرار ١ (١/ ١).

الـروتــاري

في الصفحات السابقة تكلمنا عن الماسونية، وقلنا: إنها أصل للكثير من التيارات الضالة المخربة للدين والأخلاق والقيم والمجتمعات، وفي هذا المبحث نتكلم عن بعض هذه التيارات التي تفرعت عن الماسونية، وتمشي على نفس خطاها، لتحقق نفس الأهداف وبنفس الوسائل، نتحدث عن نوادي **(الروتاري)** و**(الإنتراكت)**، و**(الرواتركت)**، وقد آثرنا أن نتناولها كلها معًا؛ لاتفاقها اتفاقًا تامًّا في الأهداف وإن تنوعت الوسائل التي يأخذ بها كل منها.

أما (الروتاري) فهو نادٍ، أو جمعية يهودية ماسونية عالمية، قام هذا النادي ليؤدي نفس الأهداف التي تؤديها الماسونية، بل إن الماسونية قد أنشأت هذه النوادي لتحل محلها، فإذا ما اكْتُشِف أمرُ الماسونية في بلد ما وأغلقت فروعها، قامت نوادي الروتاري وفروعها بأداء نفس الدور في غياب الماسونية، فالأهداف التي أنشئت من أجلها نوادي الروتاري هي تقويض بنيان الأخلاق والقيم والأديان بعامة، والإسلام بخاصة، ولقد سلكت نوادي الروتاري نفس المسلك الماسوني من حيث الأهداف، فقد أعلنت على الناس أهدافها زائفة مثل: تحسين العلاقات بين البشر، وإشاعة الأخوة والمساواة وتشجيع الأخلاق السامية بين أصحاب المهن الحرة، أما أهدافها الحقيقية فهي إفساد الدين والخلق، وإشاعة الانحلال والتفسخ الخلقي والاجتماعي،

والتمكين لليهودية العالمية من السيطرة على دول العالم.

ونوادي الروتاري تشترط في أعضائها أن يكونوا من أصحاب المهن الحرة ورجال الأعمال، فهي لا تضم موظفين حكوميين؛ ولذلك يتسم أعضاؤها بالثراء وقوة النفوذ.

وكلمة (روتاري) كلمة إنجليزية تعني: (الدوران، أو المناوبة) وقد سميت بذلك؛ لأن النادي كان يعقد اجتماعاته في مكاتب، أو منازل الأعضاء بالتناوب، وكذلك كانت رئاسة النادي بالتناوب بين الأعضاء المؤسسين.

وقد أُسس أول نادٍ للروتاري عام خمسة وتسعمائة وألف -١٩٠٥م-، أسسه محامٍ أمريكيٌّ يدعى (بول هاريس)، وسرعان ما انتشرت فروع الروتاري بمساعدة الماسونية العالمية حتى وصلت إلى فتح فروع لها في سبع وخمسين ومائة دولة -١٥٧-، وقد قسم الروتاريون الدول إلى مجموعات، كل مجموعة فيها تمثل منطقة لها رقم معين- عندهم- والمنطقة التي رقمها خمسة وأربعون ومائة -١٤٥- تضم مصر والسودان ولبنان والأردن والبحرين وإسرائيل وقبرص.

وتعميمًا لأنشطة الروتاري، وحتى يشمل كافة القطاعات البشرية؛ فقد قرر مؤتمر الروتاري المنعقد في عام ١٩٦٢م إنشاء نوعٍ آخَرَ من الأندية تقتصر عضويته على طلاب المدارس المتوسطة والثانوية ممن تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة، والثامنة عشرة وقد أطلقوا على هذا النادي اسم (الإنتراكت) أي: الطلائع، أو طلائع ورواد الروتاري، والغرض منه صياغة هؤلاء الأطفال، أو الشباب اليافع وتطويع أهدافهم وأفكارهم حتى يشب وقد تشبع بكل ما يغرس فيه، وفي نفس

الوقت يكون قد تخلى تمامًا عن دينه وخلقه وقيمه وأمته، بل يكون عدوًّا لها كلها، بقدر ما يكون ولاؤه للروتاري واليهودية العالمية.

وقد انتشرت فروع هذا النادي حتى وصل إلى واحد وعشرين ومائة فرع يضم قرابة المائة ألف عضو من هؤلاء الشباب اليافع الذي وقع فريسة بين أنياب اليهودية العالمية المدمرة، واتباعًا لنفس السياسة الماسونية اليهودية، وحتى تكتمل الحلقة، ويتم الحصار وتغطي جميع الأعمار، فقد قرر مؤتمر الروتاري المنعقد عام ثمانية وستين وتسعمائة وألف -١٩٦٨- إنشاء نوع ثالث من النوادي تحت اسم: (الروتراكت)، ويقصد به شباب الروتاري، ويضم طلاب الجامعة وخريجيها من سن الثامنة عشرة وحتى الثامنة والعشرين، وأما النادي الأصل وهو (الروتاري) فيتصيد فرائسه من هؤلاء بعد أن يكونوا قد صِيغوا الصياغةَ المناسبة، وفقدوا الدين والخلق والقيم، وأضحى ولاؤهم للروتاري واليهود، فيوجههم إلى حيث يحققون أهدافه، وهم صم وبكم في الظلمات، لا أمل لهم في الخروج منها، بعد أن أصبحوا آلات في أيدي اليهودية ومؤسساتها.

أما الأساليب التي تتبعها نوادي الروتاري والإنتراكت والروتراكت مع الشباب وطلاب المتوسطة والثانوية والجامعة في تحويلهم إلى آلات مجردة عن الدين والخلق والقيم، فيكفي أن نشير إلى شيء منها:

١- تقيم تلك النوادي حفلات تعارف للأعضاء الجدد يشترك فيها الشباب من الجنسين، ويتم التعارف وسط حفلات صاخبة تظل حتى بزوغ الفجر تتسم بالتحلل والإباحية والتهتك مع تشجيع المسئولين للشباب على التحرر من

كل ضوابط السلوك والأخلاق، كل هذا يقدَّم لشباب مراهق مكبوت، مما يجعل الشباب مدمنين على أمثال هذه الحفلات المدمرة للدين والأخلاق.

٢- من المشاريع الهامة لإفساد الشباب في تلك النوادي: مشروع تبادل الشباب الذي يطبقه النادي، وذلك بأن تذهب من الشباب وفود إلى الدولة الأجنبية لمدة ثلاثة أسابيع، ينزل فيها كل شاب ضيفًا على أسرة طوال المدة، على أن يكون ولي أمر الشاب مستعدًّا لقبول طالب، أو طالبة ضيفًا مدة مماثلة، وبذلك يخرج الشباب المسلم لينزل ضيفًا على أسرة يهودية إسرائيلية، وحدِّثْ ولا حرج عما يحدث للشباب المسلم وسط تلك الأسر، سواء كان شابًّا، أو شابَّةً، ثم تأتي الفتيات اليهوديات الإسرائيليات ليكُنَّ ضيفاتٍ رذيلاتٍ على بعض البيوت المسلمة، والباقي معلوم.

٣- تطبيقًا لهذا سافر إلى مصر وفد من يهود إسرائيل من الجنسين ونزل الجميع ضيوفًا على أسر مسلمة، وبالمقابل سافر نفس العدد من فتيات وفتيان المسلمين لينزلوا ضيوفًا على الإسرائيليين، وقد أقيم حفل ترحيب بالشباب اليهودي الإسرائيلي بنادي (سبورتنج) بالإسكندرية أحيته فرقة موسيقية صاخبة ظل فيها الشباب المسلم مع الشابات اليهوديات في رقص وإباحية حتى الصباح.

لكل ذلك بادرت جهات الفتوى في البلاد الإسلامية بالتحذير من هذه المؤسسات المشبوهة الفاسدة المفسدة، وإعلان أن كل من انتسب إليها بنفسه، أو يسَّرَ الانتساب إليها لغيره فهو خارج عن الملة، معادٍ للإسلام وأهله.

الليـونـز

نعرض في هذا المبحث لتيارٍ آخَرَ من التيارات التي تفرَّعت عن الماسونية العالمية، ونقصد بذلك التيار: تلك النوادي التي يسمونها: (نوادي الليونز).

و(الليونز) اسم يطلق على عدد من النوادي التي تنتشر في مائة وخمسين دولة من دول العالم، أما فروعها فأكثر من ذلك بكثير، حيث إن الدولة الواحدة يكون بها -عادة- أكثر من فرع لهذا النادي الماسوني اليهودي.

فهذه النوادي تظهر للناس أنها أُنشئت لأغراض خيرية يعود خيرها على المجتمع، لكنها في واقع أمرها واحدة من المنظمات التابعة للماسونية العالمية التي تديرها وتوجهها الصهيونية، بهدف القضاء على الدين والقيم والأخلاق وتمكين اليهود من التسلط على الأمم والشعوب، ولقد أنشئ أول نادٍ لليونز في سنة خمس عشرة وتسعمائة وألف للميلاد -١٩١٥م-، دعا إلى إنشائه رجل أعمال أمريكي اسمه: (ملفن جونز)، ثم ظهرت هذه النوادي على هيئة منظمة عالمية بعد ذلك بعامين، وقد عُقد أول اجتماع لنوادي الليونز في (شيكاغو) بأمريكا، حيث يوجد أقدم نادٍ للروتاري، مما يدل على الصِّلة الوثيقة بين النوادي الثلاث: الماسونية، والروتاري، والليونز، وأنها كلها واجهات متعددة لمنظمة واحدة ذات أهداف واحدة.

وكلمة (الليونز) كلمة إنجليزية، تعني: (الأسود) مما يوحي للمنضمين إليها بالقوة والجرأة في تحقيق ما يُطلب منهم تحقيقه من أهداف النادي دون تردد، أو

خوف؛ كذلك فإن كل حرف من كلمة (lions) الإنجليزية يرمز لهدف من الأهداف السرية لهذه النوادي لا يعرفه إلا كبار المسئولين عن هذه النوادي، وكلهم من اليهود الماسونيين.

والسؤال الهام هنا: ما هي تلك الأهداف التي قامت نوادي الليونز لتحقيقها، والتي يلتزم أعضاؤها بتنفيذها في جرأة الأسود؟

لا شك أن الليونز- كأخواتها من الماسونية والروتاري وما تفرَّع عنها- لها نوعان من الأهداف:

أهداف واضحة معلنة، ونوع آخر هو أهداف سرية مستورة.

أما الأهداف المعلنة: فهي لذر الرماد في العيون، أو لإظهار هذه النوادي أمام الناس بمظهر المؤسسات الخيرية التي تهدف إلى خدمة المجتمع، وهم في هذا المجال يعلنون في كل المناسبات أن نوادي الليونز قد قامت لمساعدة المحتاجين، ورعاية الأيتام، ومعونة المعاقين وكبار السن، ودعم كافة المشروعات الخيرية، هذه أهدافها المعلنة، وكلها أهداف زائفة كاذبة، وهي واجهة تتوارى خلفها الأهداف الحقيقية التي قامت هذه النوادي لتحقيقها.

وأما الأهداف السرية فأهمها: تقويض بنيان الأديان بعامة، والإسلام بخاصة، والقضاء على القيم والأخلاق، وإشاعة الانحلال والتفسخ الاجتماعي حتى تنهار المجتمعات من داخلها، فتتمكن منها اليهودية العالمية، وهذه الأهداف هي نفسها التي أُنشئت نوادي الروتاري ومحافل الماسونية لتحقيقها، فهذه النوادي ليست فقط متشابهة الأهداف، بل إن بعضها ينوب عن بعض، بحيث إذا اكتشفت الأهداف الحقيقية وراء نادٍ منها فأغلقه المسئولون في بلد ما، فإن النوادي الأخرى

تؤدي نفس أهدافه في عيبته، فكلها أسماء وواجهات لليهودية العالمية، تتفق في كل شيء ولا تختلف إلا في الأسماء فقط.

إن هذه النوادي تولي اهتمامًا خاصًّا، وتبذل جهدًا مكثفًا ومضاعَفًا بالنسبة للمنطقة العربية والإسلامية، وقد قلنا: إن من أهدافها القضاء على الأديان، ولكنها تولي اهتمامًا قويًّا للقضاء على الإسلام وإفساد المجتمعات الإسلامية، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: أن البلاد والشعوب غير الإسلامية منحلة عن القيم، فاسدة الأخلاق بطبعها، فهي لا تحتاج من هؤلاء إلى جهد في هذا المجال.

والأمر الثاني: أن الإسلام يمثل الخطر الأكبر، والسد المنيع أمام هذه التيارات الضالة الفاسدة، فالنصرانية- على سبيل المثل- لا صلة لها بحياة الناس، فهي قد حبست نفسها داخل جدران الكنائس، وتركت النصارى أحرارًا يفعلون بحياتهم ما يشاءون، أما الإسلام دين الله الحق فهو دين حياة، يشمل شئون المسلم الحياتية جميعها فلا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا وهو مهيمن عليها بأحكامه وتشريعاته، من هنا أضحى الإسلام بمثل العقبة الكئود والعدو الألد لهذه المذاهب والتيارات الضالة، ومن أجل ذلك تبذل هذه المؤسسات المشبوهة: (الماسونية، والروتاري، والليونز) أقصى طاقاتها، وتحيك أخبث مكائدها للإسلام وأهله.

وأول مكائدها: أنها تبذل كافة السبل لتتسلل إلى داخل البلاد والمجتمعات الإسلامية، وقد نجحت في ذلك إلى حد كبير، حيث أصبح لها فروع عديدة في كثير من البلاد الإسلامية، مثل: مصر، وسوريا، ولبنان، والأردن، والبحرين، والمغرب، وتونس، والعراق، وفي هذه البلاد والمجتمعات الإسلامية العربية يزاولون مخططاتهم الهدامة التي منها: إطلاق الشعارات الباطلة مثل: (**الدين لله**،

والوطن للجميع) ويقصدون من ذلك أن الدين صلة شخصية بين الإنسان وربه، وينبغي على أعضاء هذه النوادي تنحيته وتجاهله في تعاملاتهم، وأن الذي يجمع بين الأمة ليس الدين، بل الوطن، ومن مكائدهم: أنهم يجعلون الأديان كلها متماثلة لا فرق بين دين وآخر، ويرتبون الأديان أبجديات حسب الأبجدية الإنجليزية هكذا: البوذية، النصرانية، الكونفوشيوسية، الهندوكي، اليهودية، المحمدية،إلخ، ويطلقون على الإسلام: المحمدية، أي: المذهب المحمدي إيحاء للناس أن الإسلام من صنع محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وليس وحيًا من عند الله، ومن أهم مكائدهم: أنهم يشترطون في الأعضاء المنتسبين إليهم أن يتخلَّوا تمامًا عن رابطة الدين، وما يفرض الدين من أحكام وتشريعات.

وفي نهاية ما ذكرناه عن الماسونية، وما تفرع عنها من الروتاري والليونز نُذكر بما يلي:

أولًا: هذه النوادي كلها (ماسونية، روتاري، ليونز) وكل من ينتسب إليها، أو يسهل لها وسائلها عدو للإسلام والمسلمين، معادٍ لله ورسوله، وهي كلها واجهات مختلفة لمؤسسة واحدة هدفها القضاء على الإسلام وأمة الإسلام، والتمكين لليهود والصهيونية.

ثانيًا: تأكيدًا لذلك؛ فقد أصدر المؤتمر الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية الذي انعقد بمكة المكرمة في ١٣٩٤هـ، قراراته بشأن هذه المنظمات الثلاثية، وما يماثلها، بأنها تناقض الإسلام مناقضة كلية، وعلى المسلمين أن يعادوا كل من ينتسب إليها، وعليهم أن يفضحوها بالكتب والنشرات والأحاديث وغيرها ليحذر منها المسلمون، وبخاصة الشباب.

الروحية الحديثة

الروحية الحديثة أو (**جمعيات تحضير الأرواح**) تيار من التيارات الضالة التي وفدت إلينا من الغرب بهدف إفساد ديننا، وتشكيكنا في عقيدتنا، وزلزلة ما هو معلوم من الدين بالضرورة لدينا، وهذه الجمعيات بدأت في مطلع هذا القرن بأمريكا وأوربا، ثم وفدت على العالم الإسلامي، وفُتن بها البعض عن قصد لإفساد الدين، أو عن غير قصد، وقد انتشرت حتى صار لها فروع في العديد من الدول العربية والإسلامية، وصارت لها صحف ومجلات تتحدث باسمها، وتنشر فكرها الفاسد، وهذه الجمعيات تقوم على الزعم بأنهم يتصلون بأرواح الموتى، ويستحضرون هذه الأرواح، ويخاطبونها، ويسألونها عما يَعِنُّ لهم من مسائل، ويزعمون أن الأرواح تجيبهم على أسئلتهم، وبخاصة فيما يتصل بالماضي والمستقبل والحاضر، وكما عهدنا في كل التيارات الضالة التي وفدت علينا أنها من صنع اليهود ومعاونيهم؛ كذلك نجد هذا التيار الضال قد وقفت وراءه اليهود وأعداء الإسلام، يروِّجون له وينشرونه بكل وسائلهم المتاحة.

❁ ❁ ❁

نشأة هذا التيار الخبيث:

هذا التيار لم يُعرف له مؤسس على وجه التحديد، لكنه بدأ بأمريكا، ثم بأوربا، وقد تحمس له العديد من الشخصيات هناك، وقد كان التحمس لهذه

الجمعيات في أمريكا وأوربا ناتجًا عن انغماس هذه المجتمعات في المادية وإنكار ما وراء المادة، فلما ظهرت جمعيات تتحدث عن الروح تحمس لها الناس كردٍّ فعل للمادية الجامدة التي يعيشون فيها.

وقد أُسس أول مركز لها بأمريكا تحت اسم: (المعهد الدولي للبحث الروحي)، ثم تلا ذلك مركز آخر أسس بإنجلترا تحت اسم: (جمعية مارلبورن الروحية)، ثم ما لبث هذا التيار أن أوجد له جمعية في دولة عربية هي مصر، تحت اسم: (الجمعية المصرية للبحوث الروحية)، أنشأها رجل يسمى: «أحمد فهمي أبو الخير»، وقد أنشأ لها مجلة تتحدث باسمها، وتنشر أفكارها، وما زالت هذه المجلة توزع شهريًّا تحت اسم: (عالم الروح)، ثم أُنشئ بمصر- أيضًا- فرع آخر لهذا التيار الضال تحت اسم: (**جمعية الأهرام الروحية**)، أَسس هذا الفرع الثاني رجل يسمى: «علي عبد الجليل راضي» وقد ألف كتابًا أسماه: (مشاهداتي في جمعية لندن الروحية)، ملأه بالأكاذيب والأراجيف التي تُعارض الإسلام وتُناقض ضروراته، ورغم أن هذه الجمعيات ليست لها موارد مالية معروفة، إلا أنها تنفق ببذخ، مما يدل على وجود جهات مشبوهة تقف وراءها وتساندها وتنفق عليها.

❁ ❁ ❁

الأسلوب الذي تتبعه تلك الجمعيات:

يجتمعون في حجرة شبه مظلمة، تضاء بنور أحمر خافت مع أصوات للموسيقى بقصد إشاعة الرهبة والخوف، وصرف أذهان الحاضرين عن حقيقة ما يجري، وفي هذا الجو الكئيب يجلس المشتركون حول منضدة مستديرة، وإذا كان هناك نساء فيكون الجلوس على هيئة رجل، ثم امرأة، ثم رجل، وهكذا، ويشبك

الحاضرون أيديهم، ثم يجلس في وسطهم من يسمونه: الوسيط، والوسيط رجل، أو امرأة يزعمون أن الروح التي يستدعونها تحل في جسده وتتحدث بلسانه، وهكذا يأتي حديث الوسيط، الذي يزعمون أنه صوت الروح التي استحضروها، وفي الحديث كل الضلالات والأكاذيب التي يُرَوِّجون لها، وحقيقة الأمر: أن الذي ينطق بلسان الوسيط إنما هي أصوات الجن والشياطين الذين يُلَبِّسُون على الناس دينهم، ويفسدون عليهم قيمهم وأخلاقهم، وذلك كما شهد به واحد من الذين عاشوا وسطهم سنين، ثم أزال الله -تعالى- عن عينيه الغشاوة، فخرج فارًّا بدينه منهم، وأخذ يندد بأضاليلهم، ويفضح أكاذيبهم، ونقصد بذلك الأستاذ «حسن عبد الوهاب» الذي كان يشغل منصب سكرتير عام جمعية الأهرام الروحية، والذي ظل معهم سنوات، ولكنه ما لبث بعد أن أنقذه الله -تعالى- من ضلالهم أن تبرأ منهم، وانقلب عليهم، وأخذ يفضح أضاليلهم ويذكر فضائحهم، وكان مما ذكره: أن الذي ينطق على لسان الوسيط إنما هم الجن والشياطين التي تَستغل هذه الجلسات لإفساد الدين والقيم والخلق، وكان مما ذكره هذا التائب: أن هذه الجلسات ليست لتحضير الأرواح، بل هي في الواقع لتحضير الجن واستدعاء الشياطين التي لا تحتاج في حقيقة الأمر إلى استدعاء، بل هي التي تُسَخِّرُ هؤلاء لخدمة أغراضها من التلبيس على الناس، وإفساد عقائدهم.

❁ ❁ ❁

أما مزاعم هؤلاء وأكاذيبهم فنشير إلى أهمها فيما يلي:

أولًا: يزعمون أنهم يستدعون أرواح الموتى كُلًّا في تخصصه للاستفادة منه، فإن كانت لديهم معضلة طبية استدعوا روح طبيب مشهور في ذلك التخصص:

باطنى، أو قلب، أو خلافه، وتتولى الروح الكشف على المريض وتشخيص المرض ووصف العلاج الذي يكون الأطباء الأحياء قد عجزوا عنه، وإن كانت المشكلة جريمة غامضة استعانوا بالأرواح لكشف المجرم، وهكذا، ومما عاصرناه بأنفسنا: أن الأدباء بمصر اختلفوا حول بعض القصائد الشعرية: هل هي لأمير الشعراء شوقي، أو لغيره، فَعَرَضَتْ عليهم إحدى هذه الجمعيات تحضير روح شوقي ليحل بنفسه هذه المشكلة، وقد زعموا كذبًا وزورًا أن الروح حضرت وأجابتهم، وقد أرادوا أن يتأكدوا أنها روح شوقي فعلًا، فطلبوا منها أن تنظم لهم شعرًا فنظمت لهم على البديهة قصيدة جيدة، هذا زعمهم، وإنهم لكاذبون!!

ثانيًا: يرفضون الأديان، ويسخرون من الوحي، ويزعمون أنه من حديث الأرواح السابقة إلى ما يُسَمَّون بالأنبياء، ويزعمون أن معجزات الأنبياء إنما هي قدرات نفسية روحية من أنواع السحر والشعوذة، من نوع ما يجرى في حجرات تحضير الأرواح، ويزعمون أن بإمكانهم صنع معجزات مثل معجزات الأنبياء، كذلك فإنهم يزعمون أن أرواح بعض من اتصلوا بهم من الكفار تعيش في السماء في سعادة كاملة، وهذا كله مناقض ومصادم لدين الله الحق.

هذه بعض أضاليل جمعيات الأرواح، وهي بذاتها كافية في بيان ضلالاتهم وأكاذيبهم والتحذير من التأثر بهم، أو تصديقهم في كل، أو بعض ما يَدَّعون؛ فإن في ذلك كفرًا بالله ورسوله وكتبه ودينه.

الخاتمة

صحبناكم -أيها القراء الكرام- عبر رحلة طويلة في ثنايا هذا الكتاب تعرفنا فيها على أهم التيارات والمذاهب التي وفدت على الأمة المسلمة، وشاعت في الكثير من مجتمعاتها، وألقت بظلالها القاتمة على شئون المسلمين في تلك المجتمعات، وكانت لها آثارها السلبية الخطيرة على عقيدة المسلمين وأخلاقهم وسلوكهم، ولقد رأينا من هذه التيارات ما قد تخلل تلكم المجتمعات حتى وصل منها إلى القاع، ومنها: ما لم يَزَلْ على السطح ولا يزال يحاول أن يجد له مكانًا في مجتمعات المسلمين، وقد كان منهجنا يقوم على بيان التيار الوافد، والتعريف به، وبيان خطورته، وتاريخه، والقائمين به، والداعين إليه، ثم بيان موقف الإسلام منه، وواجب المسلم تجاهه، كان هذا منهجنا بالنسبة لكل تيار أو مذهب تعرضنا له، أو أَثَرْنا الحديث حوله، وبقيت الكلمة الأخيرة التي تتعلق بالتيارات كلِّها، وتتصل بالمذاهب جميعها.

وسوف نوجز هنا ما مرَّ بنا في نقاط محددة إيجازًا وتوضيحًا.

أولًا: إن أيَّ تيار من التيارات الضالة- مهما كان له من قوة، ومهما بلغ الدعاة إليه من سطوة، ومهما كان لدى دعاته من إمكانات، وتوفر لهم من أدوات وآلات لنشر تيارهم الفاسد- لا يمكن أن يلج هذا التيار إلى مجتمع من المجتمعات إلا إذا كان هذا المجتمع به نوع من الخلل، وقدر من الانحراف والزلل، وكان به من

الضعف والوهن ما يجعل به من الثغرات والمنافذ ما يمكن لهذا التيار الضال أن ينفذ من خلالها، ولو كان المجتمع قويًّا سويًّا، وكان خاليًا من أسباب الضعف والوهن، لما استطاع تيار من التيارات أن يغزوه، أو يتسلل إليه، أو يجد له مكانًا فيه، فالأمر- إذن- ليس رهنًا بقوة التيار، أو ضعفه، ولكنه رهن بالدرجة الأولى بقوة المجتمعات وضعفها، ومدى ما في بنائها العقدي من منافذ وثغرات تسمح للتيارات الفاسدة من أن تلج فيها وتقتحمها، ولو أننا نظرنا إلى عوامل القوة والضعف في المجتمعات، وتحديدًا في المجتمعات الإسلامية، لرأينا أن الأمر في جملته يتعلق بعقيدة المسلم، ومدى التزامه بتلك العقيدة الحقة، واعتصامه بها في كافة مناحي الحياة، ومدى تمثلها في كل ما يأخذ من شئون الحياة وما يدع، ذلكم أن استمساك المؤمن المسلم بعقيدته الحقة يعتبر خط الدفاع الأول ضد كل التيارات والمذاهب التي غزت وتغزو الكثير من المجتمعات الإسلامية، فالسبب الأساس- إذن- في غزو التيارات الضالة للكثير من مجتمعاتنا إنما يرجع في الجانب الأكبر إلى ضعف استمساك تلك المجتمعات بإسلامها الصحيح، وعقيدتها الحقة، واستبدالها بإسلامها عاداتٍ موروثةً، وتقاليدَ مألوفةً، مثلت ركامًا هائلًا من البدع والضلالات، أضعفت الدين في نفوس المسلمين، مما جعلهم فريسة سهلة للتيارات والمذاهب الهدامة.

ثانيًا: التخلف العلمي في الجوانب المادية الذي ران على الأمة المسلمة زمنًا طويلًا، بينما تقدم الغرب النصراني في العلوم المادية والتقنية، جعل المسلمين يشعرون بأنهم أقل من الغرب النصراني وأضعف، وبخاصة وأن المجتمعات

الإسلامية تعيش عالة على الغرب في كل ما تحتاجه من منتجات وآلات وسيارات وغير ذلك، كل هذا أصاب المسلمين بنوع من انعدام الثقة بالنفس، ورسخ في شعورهم أن الغرب النصراني هو الأفضل والأمثل، ومن هنا؛ ولهذه الأمور التي ذكرنا، بدأت مسيرة التردي في وهدة التقليد الأعمى للغرب، وذلك تطبيقًا للقاعدة التي تقرر أن الضعيف يقلد القوي، وأن المغلوب يُفتن بالغالب.

ثالثًا: فيما يتصل بقضية التقليد وقع المسلمون فريسة خطأين فادحين:

الخطأ الأول: تمثل في افتتان المسلمين بالتقدم العلمي الذي أحرزه الغربُ النصراني في الجوانب المادية والتقنية، وفي مسيرة الافتتان هذه نسي الكثيرون- أو تناسوا- ما صاحب ذلك التقدم المادي في الغرب من تخلف هائل، وتردٍّ مريع في الجوانب الخلقية والسلوكية والإنسانية بصورة عامة، وكان على المجتمعات المسلمة أن تزنَ الأمورَ بميزان عقيدتها الإسلامية الحقة، وتُوَازِنَ بين ذلك التقدم الهائل في الجوانب المادية، وذلكم التردي المريع في الجوانب الخلقية والسلوكية والإنسانية، مما يجعل الناس في المجتمعات الغربية يرتكبون من الفواحش ما يعفُّ عنه الحيوان في غابه.

الخطأ الثاني الذي وقع فيه الكثير من المجتمعات المسلمة: أنها في تقليدها الغربَ النصرانيَّ لم تميز بين ما هو نافع وما هو ضار، ولم تفرق بين ما يستقيم مع دينها وعقيدتها وما يتناقض مع تلك العقيدة، بل ما ينقضها، بل أخذت تقلد الغرب في كل شيء، وقد ساعد على ذلك دعاة التغريب، ممن خلعوا ربقةَ الإسلام، ورموا بأنفسهم بين أحضان الغرب بضلالاته ومفاسده، ولو أن

المسلمين وعوا لأخذوا عن الغرب علومه وتقنياته النافعة المفيدة، وتركوا له ما يشيع فيه من تحلل في القيم، وتفسخ في الأخلاق، ولكان ذلك نافعًا ومفيدًا.

رابعًا: وأخيرًا، بعد أن وضعنا أيدينا على مكان الداء، فأين هو الدواء؟ وكيف يكون العلاج؟ إن الدواء يكمن في العقيدة الإسلامية الحقة، والعلاج إنما يكون بالالتزام بديننا وعقيدتنا، وأن يكون لدينا اليقين المطلق بأن عقيدة المسلم هي هويته، وهي مدار وجوده، وعصمة أمره، وأن يكون تمسكنا بعقيدتنا ليس كلمة تقال، ولا دعوى تُدَّعى، بل حقيقة واقعة، وحياة تعاش، ووجود يؤثر، وأن يكون استمساكنا بعقيدتنا وديننا في مثل وضوح الشمس في رائعة النهار، وأن نُشعر الوجود كله من حولنا بذلك، وإنما يتم هذا حينما تتحول العقيدة الحقة فينا إلى أقوال، وأفعال، وواقع، هنالك تنزوي تيارات الضلال عنها، وَيَقْنط دعاتها من الوصول إلينا، أو التأثير فينا.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك.

محمود محمد مزروعة

محتويات الكتاب

مقدمة ٥

تمهيد ١٠

الطوائف التي نشأت في أعقاب الفتح الإسلامي ١٢

فتنة ابن السوداء ١٦

التيارات الباطنية وصنائعها في الإسلام ١٩

الاتجاه الصوفي ٢٣

أخطر عقائد التصوف الفاسد ٢٦

وحدة الوجود ٢٩

أسس التصوف العام ٣٢

الشاذلية الصوفية ٣٧

نشأة الطريقة الشاذلية ٣٧

عقائد الطريقة الشاذلية ٣٩

البريلوية ٤١

نشأة الحركة البريلوية ٤١

عقائد البريلوية ٤٥

الأحباش ٤٧

الدروز ٥١

العقائد التي تقوم عليها الديانة الدرزية ٥٢

النصيرية ٥٥

نشأة النصيرية ٥٥

أشهر خلفاء (ابن نصير) ٥٦

عقائد النصيرية ٥٨

طوائف الإسماعيلية ٦٠

طائفة القرامطة ٦٢

عقائد القرامطة ٦٣

طائفة البُهْرَة ٦٥

البابية ٦٩

عقائد البابية ٧١

البهائية ٧٢

نشأة البهائية ٧٢

عقائد البهائية ٧٤

القاديانية ٧٥

نشأة القاديانية وتطورها ٧٦

عبدة الشيطان ٨٠

نشأة هذه الطائفة وجذورها ٨٠

عقائد الطائفة، وعباداتها ٨٢

أسباب انتساب الطائفة إلى يزيد ٨٤

أصناف الكافرين ٨٧

القرآنيون ٨٩

أسس المذهب ٩٢

منكرو السنة عبر التاريخ ٩٦

* **الاتجاه الفلسفي** ١٠٠

ضلالات الاتجاهات الفلسفية ١٠٤

عقيدة الفلاسفة في الإيمان بالغيب ١١١

الدعوة إلى وحدة الأديان ١١٦

الوجودية ١٢٠

نشأة الوجودية ١٢١

الأسس التي تقوم عليها الوجودية ١٢٢

الشيوعية الماركسية ١٢٨

أسس الشيوعية ١٣١

المبدأ الأول من مبادئ الشيوعية ١٣٢

المبدأ الثاني من مبادئ الشيوعية ١٣٥
خصائص التيار الشيوعي الهدام ١٣٨
العلمانية ١٤٢
نشأة العلمانية ١٤٣
أسباب انتقال العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية ١٤٥
أهم معتقدات العلمانيين في العالم العربي والإسلامي ١٤٧
الداروينية ١٥١
الأسس التي بنى عليها دارون نظريته ١٥٧
نقد النظرية ١٥٩
الآثار المدمرة لنظرية التطور ١٦٣
موقف علماء الإسلام من التطور ١٦٦
أصناف العباد وأنواع الهداية ١٧٢
أنواع الهداية ١٧٥
العقلانية ١٧٩
التعريف بالعقلانية ١٨٢
أسس الاتجاه العقلاني ١٨٣
نشأة التيار العقلاني ١٨٤
مسيرة التيار العقلاني ١٨٦
أثر التيار العقلاني على الطوائف الإسلامية ١٩٠

القومية العربية ١٩٥

الأسس التي تقوم عليها القومية العربية ونقدها ١٩٩

الديمقراطية ٢٠٤

أسباب تمسك الشعوب الغربية بالديمقراطية ٢٠٨

الجمهوريون ٢١٢

نشأة هذه الحركة ومؤسسها ٢١٣

الحداثة ٢١٦

نشأة تيار الحداثة ٢١٦

أهداف الحداثيين ٢١٨

أسلمة الأدب ٢٢٠

نماذج من الأدب المعادي للإسلام ٢٢٨

حرية التفكير وحرية التعبير ٢٣٦

الإلحاد ٢٤٠

أصناف الملاحدة ٢٤٤

مبادئ الإلحاد ٢٤٨

أهم المبادئ التي يقوم عليها الإلحاد المادي ٢٤٨

موقف الملاحدة من الدين والتدين ٢٥٤

إلحاد المتدينين ٢٥٨

الماسونية العالمية ٢٦٣
نشأة الماسونية ٢٦٤
أهداف الماسونية ٢٦٤
وسائل الماسونية لتحقيق أهدافها الخفية ٢٦٥
حقائق عن الماسونية ٢٦٦
الروتاري ٢٦٧
الليونز ٢٧١
الروحية الحديثة ٢٧٥
نشأة هذا التيار الخبيث ٢٧٥
الأسلوب الذي تتبعه تلك الجمعيات ٢٧٦
الخاتمة ٢٧٩
محتويات الكتاب ٢٨٣

تم بحمد الله